عبدالقادر طاش

سيرة حياة

إعداد: د. عبدالعزيز قاسم

ⓒ عبدالعزيز محمد قاسم، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قاسم، عبدالعزيز محمد

عبدالقادر طاش.. سيرة حياة / عبدالعزيز محمد قاسم ـ جدة، ١٤٢٨هـ

١٩٧ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩ ـ ١٥ ـ ٦١ ـ ٥٧ ـ ٩٩٦٠

١. طاش، عبدالقادر، ١٣٧١ ـ ١٤٢٥هـ أ. العنوان

ديوي ١, ٩٢٢ ١٤٢٨/٢٥٢٤

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٥٢٤

ردمك: ٩ ـ ١٥ ـ ٦١ ـ ٥٧ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ

طبعت بمطابع دار العلم بجدة

هاتف ٦٧١٢١٠٠ فاكس ٦٧١٥٧٤٤

المملكة العربية السعودية

عبد القادر طاش

سيرة حياة

إعداد: د. عبدالعزيز قاسم

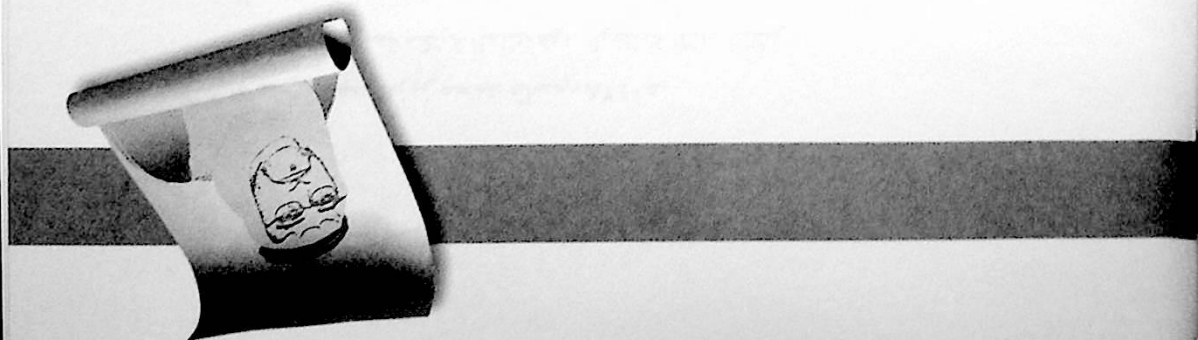

الإهداء

إلى أم عادل

السيدة: خديجة حبيب

زوج الدكتور عبدالقادر طاش

أداءً لحقها..

وعرفانًا بفضلها..

وتأكيدًا لمكانتها في نفس أستاذي الراحل

طاش..

حياً ركبت الموت كي يسامرك الخلود

بقلم: الطيب برير يوسف *

جبلٌ هَوَى
تَسّاقطُ الآهاتُ حُزناً في تَلافيف الرُّؤى
إذْ لَسْتَ تُمْسكُ حُزْنَها
أو كَيْفَ تَمْسَحُ دَمْعَها
والدّمعُ قنديلُ توقّدَ مِنْ ثريات الوفَا
خُذْ جَمْرةً من مِحْرَقِ الرُّوحِ الشَّفيفْ
خُذْ ما يُعبِّرُ أو يُماثلُ طيفَ أطيافِ الأسَى
خُذنا هُنا
فالدّمع مسبارٌ يُشاجنُ مُقلةً
والحزنُ أوْسَعُ مِن بَراحاتِ المَدَى

• • •

حَمداً أُعاودُ كيْ أعود مكبَّلاً
فالحرفُ يخنقهُ التّلفُّتُ في المساحاتِ اليَبابْ
للّه نُذْعِنُ بالخُضُوعِ وبالرُّجوعُ وبالإيابْ
هيَ دمعةٌ حَرّي
وقلبٌ مُثْكَلُ النَّبَضاتِ
أوْحَشَهُ الغِيَابْ

* أديب وشاعر سوداني

حَمْداً يُخالِطُ دَمْعَ صَبْرٍ
خُنّ بالإجْهَاشِ مِنْ فَرْطِ المُصَابِ

• • •

يا (طَاشُ)..
والدّنيا أذانٌ بالرّحيلِ
فليسَ ثمّةَ من إيابْ
دَعنا نفتّش عَنْك في الذّكْرَى
سطورَ العمر
عنوانَ الكتابْ
قَدْ كُنْتَ مثلَ الحُلْم تَصْفُو
في عَميقِ الجُرْحِ تَصْحُو
ثُمَّ تُشْرِقُ في عُيُونِ الصِّدْقِ
في صَحْوِ المهابةِ
في الصِّحَابْ
يا أيّها الحرفُ المُفَرْقدُ بالتَّفرُّدِ
سَامقًا
مثل احتمالات الإبانةِ
ناسجًا عمرًا تَلامع
في ثُريات العَطَاءْ
يا نَخْوَ إيثارِ الوفاءْ
آهٍ من حزنٍ تكثّف في المراثي
مُعلناً هذا الغِيابْ

يا (طاشُ)..
إنّي وقفتُ محيّيًا كلَّ الرُّؤى في نَاظِريكْ
مستجليًا غيث المواعظ إذ تسحّ كواثرًا
متسيّجًا في خافقيكْ
يطّلّعُ الحرفُ الوَضيئُ بشارةً
عندَ القراءة سَائحًا في مُقلتيكْ
أدنيتَ في كَنَف التّوسُّط راحةً
سُفُنٌ رستْ أمناً بِقُربي سَاحليكْ

• • •

(اقرأ) تنوحُ الآنَ في سَمْعِ الأثيرْ
(المسلمونُ) تقلّبُ الصَّفْحاتِ حَيْرَى
في مَسَاليكِ الحَنينْ
قلبي تَعلّقَ في (الرِّسالة) سائلاً
عَنْ هُدى المَضْمُون (طَاشْ)
(المدينةُ) بَاكرتْ صَوْتَ المُشَيِّع
دَمْعُهَا في نهرِ حُزْنِ الجَمْعِ جَاشْ
مَنْ ذا يُسائلُ (جدّةَ) الأفراحَ
كيفَ تيتّمَتْ فيها المقالةُ والفُنُونْ؟!
قلبي تعلَّقَ حيثُ رُحْتَ مُشيَّعاً
هلْ يفقدِ الصَّوتُ الرَّنينْ؟
هلْ يفقدُ الحرفُ التماعَ الصِّدْقِ
في القولِ الرَّصينْ

يا طاشُ..
قُمْ في ذاتِ نُمْتَ مذكّرًا
فِي ذلكَ الملأ الرَّحِيبْ
ثِقْ يا حَبيبْ
إذْ لمْ تَمُتْ..
ما زالَ وجْهُكَ كالمرايَا حَاضرًا
في قلبِ مَنْ عرف الأديبْ
ما زالَ خَطْوُكَ بذرةً
في تُربةِ الوطنِ الخَصيبْ
ثِقْ يا حَبيبْ
لا شيء يفصلُ بينَنا
لا شيء يَمْنَعُ..
لا لحودَ ولا حُدودْ
هِي رحلةٌ
حيّاً ركبتَ الموتَ فيها
كَيْ يُسامرَكَ الخُلُودْ

طِبتَ حياً وميتاً

بقلم: معالي الدكتور محمد عبده يماني *

ورحل رسول الله ﷺ وكان قدوة هذه الأمة وأسوتها وأعلنها القرآن الكريم صريحة وواضحة (إنك ميت وإنهم ميتون) وأردف بجلاء حتمية هذه النهاية (أفإن مت فهم الخالدون) وفي غمرة الحزن والألم الذي أصاب الصحابة الكرام وأهل بيت رسول الله ﷺ إلا أنهم سلموا وامتثلوا مؤمنين بقضاء الله وقدره، وجاءت العبارة الرائعة الجميلة من الحبيبة الكريمة الزهراء البتول وهي تودعه إلى مثواه الأخير (يا أبتاه طبت حياً وميتاً) وبهذا رسمت لوحة خالدة في كلمات معبرة عما يجب أن نقوله في رثاء رجال أو نساء ساروا على هدى رسول الله ﷺ أحبوه واتبعوه حتى شهد لهم كل من كان حولهم من عدو أو صديق أنهم من المؤمنين بالله الصادقين في الدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ..

ولذلك فرغم الألم الذي شعرت به يوم وفاة الابن والصديق العزيز الدكتور عبدالقادر طاش. وكنت أغالب دموعاً في عيني إلا إني شعرت براحة غامرة وأنا أرى الناس من حولي تدعو له وتشهد بأنه كان من خيرة الرجال العاملين الصادقين الذين حملوا لواء الدعوة وكانوا من الدعاة المخلصين الواضحين، ومن أولئك النفر الذين يدعون إلى الله على بصيرة ويحرصون على أن يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلون الناس بالتي هي أحسن. ذلك هو الأخ الراحل عبدالقادر طاش. وقد قدرت للابن العزيز الدكتور عبدالعزيز قاسم أن دفع إلي هذا الكتاب لأقدم له لأن عبدالعزيز ابنٌ بارٌ ورجلٌ وفيٌ حرص على تكريم أستاذه وقول كلمة الحق فيه فجمع أشتات ما كتب عن أستاذه الكريم الراحل العزيز عبدالقادر طاش..

* مفكر إسلامي. وزير الإعلام السعودي الأسبق

وأنا هنا أكتفي في هذا التقديم الذي شرفت وسعدت به بأن القي بعض الضوء في ومضات سريعة على بعض جوانب حياة المرحوم بإذن الله عبدالقادر طاش والذي يعد واحداً من أبرز رجال الفكر الإعلامي الإسلامي في المملكة العربية السعودية ولا مبالغة إذا قلت: بل وفي العالم العربي والإسلامي.. فمن ثمار جهده وفكره الصحفي الإسلامي (جريدة المسلمون) وتطويره الملموس لجريدة (العالم الإسلامي) التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي خلال فترة رئاسته لتحريرها.. ومن ثمار جهده تطوير أداء قناة (اقرأ) لاسيما برنامجه الأسبوعي الذي أعده وهو أحد أهم برامج القناة (مدارات الأحداث) فلا عجب أن أطلق عليه ـ يرحمه الله ـ لقب (رائد من رواد الإعلام الإسلامي المعاصر والحديث) وفي المؤلف الثرى الذي أقدم له هنا ما يعفيني من المزيد من سيرة الدكتور عبدالقادر طاش ـ يرحمه الله ـ في هذا الجانب من جوانب حياته القصيرة (٥٠ عاماً) والمضيئة والعامرة بالإسهامات الثرية والكبيرة في حقل الإعلام الإسلامي وهمومه المعاصرة..

من المحطات المشعة بنور الإيمان والعقيدة والعامرة بصالح الأعمال أن صاحب هذه السيرة ـ يرحمه الله تعالى ـ كان من الدعاة الذين تمتعوا بخصائص دعاة الإصلاح وأخلاقهم الكريمة، كما كان من أبرز الدعاة للإسلام، وقد عرف عنه ذلك منذ فجر شبابه ثم في سني دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية حتى توفاه الله ـ عز وجل ـ في الخمسين من عمره المبارك.. ففي مقالة له ـ يرحمه الله ـ قال: (هل يملك الإسلام نموذجاً حضارياً) يمكن أن يكون بديلاً عن النموذج الحضاري الغربي أو يكون على الأقل خياراً متاحاً يلفت الأنظار إليه ويدعو الآخرين للتفكير فيه.. لا ريب في أن الإسلام وفر لإتباعه ومعتنقيه في الماضي والحاضر الأسس والمقومات التي قادتهم إلى بناء حضارة إسلامية متميزة.. فقد أحدث الدين نقلة في حياة العرب تمثلت أساسا في تغيير القيم، وكان محور هذا التغيير كما يقول المستشرق الدنمركي (جوستان فون جرو نيباوم): (هو تحديد هدف الحياة وغايتها لأن الإسلام جعل قيمة أي إنجاز بشري مرتبط بالحساب والجزاء في الدار الآخرة الباقية)..

بهذا الفكر الإسلامي المشبع بأخلاقه وسلوكه.. سلك ـ يرحمه الله ـ طريقه في سبيل الدعوة لدين الإسلام تماماً.. كما وصفه الإعلامي والكاتب (تركي الدخيل) في كلمة عزائه التي كتبها لابنه (عادل عبدالقادر طاش) ومنها قوله: (قد قضى أبوك ـ يرحمه الله ـ عمره كله ليكون دمث الخلق طيب السجايا، حسن الخصال، وكما قال عنه زميله في الدراسة الدكتور سعيد الصيني، كانت أخلاقه عالية، وكان متميزاً في دراسته ونشيطاً إسلامياً، هذه الجوانب من شخصية هذا الرجل الكريم تزيد من احترامنا وتقديرينا له، فطوبى له، فإنه يذكرنا بأخلاق رجال الإسلام الأوائل الذين نشروا الإسلام في شرق آسيا وجنوبها الشرقي وفى شرق أفريقيا وأواسطها وغربها بحسن تعاملهم وأمانتهم وكريم خلقهم، وليت شبابنا الإعلاميين يتخذونه قدوة لهم، وليكن خلقهم الإسلام ليكونوا خير دعاة له..

وقد أشارت إلى ذلك الدكتورة سهيلة زين العابدين بأن سيرة الدكتور طاش ـ يرحمه الله ـ خلال قيامه بالدعوة إلي الإسلام أثناء دراسته، تذكرنا برجال الإسلام الأوائل الذين نشروا الإسلام في شرق الأرض وغربها، وأربط بين هذه الفقرة والفقرة التي جاءت في هذه (السيرة) التي أقدم لها، والتي جاءت بعنوان: (رؤية في الحضارة الأمريكية) وتلك التي تلتها (ندم على عدم التفاعلية مع الغرب) والربط هنا من وجهة نطري يُثير إشكالية حضارية وأزمة نعيشها.. فقد قامت الحضارة الإسلامية التي امتدت زهاء ثمانية عقود من الزمن ومنذ إشعاع نور الرسالة الإسلامية، قامت على الدعوة لدين الإسلام الحق كما قامت أيضاً على خصائص من أهمها ـ أنها انفتحت على الحضارات الأخرى وتفاعلت معها فأعطتها وأخذت منها الإيجابيات في مختلف جوانب الحياة وخاصة منها الجوانب الحضارية العلمية والثقافية والصناعية ولذلك سادت الحضارة الإسلامية وانتشر شعاعها ليكون أساساً للحضارة الغربية التي اتخذت الحضارة الإسلامية أساساً لتقدمها وتطورها في كل ميادين العلوم التطبيقية والكونية من طب وهندسة وكيمياء وفيزياء ورياضيات وهندسة وفي الصناعة والزراعة، ولكنها أضاعت الكثير الكثير..

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ تجربته في أمريكا فقال: لم تكن رؤيتي وتفاعلي مع الحضارة الغربية وقسمات الفكر الغربي استسلاماً وتفاعلاً كلياً وإنما كان به جانب نقدي، فمثلاً كنت أراسل الصحف والمجلات العربية في المملكة والخليج، وكانت لي آراء في طرح الفكر الغربي الذي يمكن أن يستفاد منه والجانب المضي في الحضارة الغربية، لم تكن كتاباتي كلها نقداً في الحضارة الغربية، ولم تكن آرائي فيها سلبية بالكامل، وإنما كانت هناك كتابات متوازنة في مقالاتي الأخرى)

وتحت عنوان: (ندم على عدم التفاعلية مع الغرب) يستدرك الدكتور طاش ـ يرحمه الله ـ فيقول: (لو عاد بي الزمن ربما وسعت دائرة التفاعل مع المجتمع الأمريكي،

وربما أكون قد انشغلت أكثر بتفاعلي مع القضايا الإسلامية، وربما أضعت جزءاً من الجانب الفكري العميق في الحضارة الغربية، كانت معظم مصادري في الثقافة الغربية الأمريكية من الجانب الإسلامي. لذلك ربما تكون ثقافتي إعلامية أكثر منها فكرية، لم أكن من الأخوان الذين تابعوا عمالقة الفكر الغربي، إنما أخذت مقتطفات ولم أتعمق في ذلك، كان تفاعلي معاصراً وحيّاً أكثر منه عميقاً مؤصلاً في الفكر الغربي)..

وهنا أود أن أقول: إنه من الجميل أن نسجل سير النابهين من أصحاب الفكر والتخصص في مختلف المجالات وفاءً وعرفاناً لهم وتكريماً لما قدموه لمجتمعهم، ولكن الأجمل أن تكون هذه السيرة إرهاصة لتحرك أكبر أثراً في الاستفادة من جوانب فكر صاحب السيرة وإحياء لها وتطويراً لدورها وأثرها في المجتمع.. ولإعداد جيل . ولا أقول

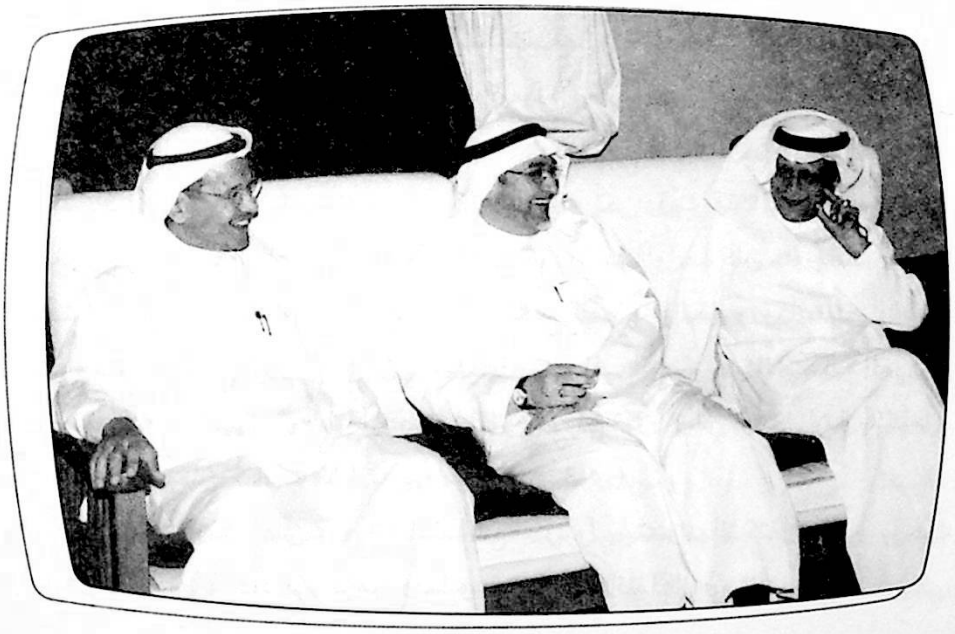

استنساخ جيل ـ جديد يتبنى هذا الفكر ويسير به قدماً إلي الأمام وهذا لا يتسنى أبداً ما لم تتحرك النوادي الأدبية والفكرية والعلمية والإعلامية والاجتماعية والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة، ورجال الفكر والقلم ـ بدراسة هذه السير الذاتية دراسات نقدية تحليلية لاستخلاص نظريات ومناهج علمية واضحة من فكر صاحب السيرة بعيداً عن التقليدية.. وإخضاع تلك الدراسات النقدية لمزيد من النقد والخروج ببحوث ومؤتمرات وندوات وملتقيات يشارك فيها جيل الشباب من أصحاب التخصص وبما يجعل هذا الفكر ليس مجرد فكر وسيرة لرجل من الرواد إنما أطروحات علمية وعملية حية متفاعلة ومتطورة، وليس ثمة وسيلة وسبيل للنهوض بالفكر سوى ذلك للتوصل إلى التعرف عليه وتوظيفه حضارياً، ولذلك أهيب بالمؤسسات الإعلامية وبكليات الإعلام في المملكة أن يخضعوا سيرة الدكتور عبدالقادر طاش للدراسة والتمحيص لكل ما كتبه وألفه.. وكذلك أمثاله من العلماء والمفكرين لاستخلاص تجاربهم الإعلامية والاستفادة منها علمياً من جانب ولتكون بمثابة بحوث يستفيد منها الدارسون الشباب في ميدان الإعلام وإعداداً لهم ليثروا هذا الجانب الإعلامي الإسلامي المهم في عالم اليوم ولعل قناة (اقرأ) الفضائية معنية وفاءً وعرفاناً للمرحوم عبدالقادر طاش أن تنظم (ندوة) لمناقشة فكره وسيرته ـ يرحمه الله ...

وأخيراً: لا يسعني إلا أن أشكر سعادة الابن الدكتور عبدالعزيز قاسم لهذا الجهد الكبير الذي قام به وفاءً لأستاذه الدكتور عبدالقادر طاش الذي كان أحد أبرز الرواد في الإعلام الإسلامي وسيظل فكره نبعاً لطلاب العلم والمعرفة الإعلامية الإسلامية.. وأشكره لأنه أتاح لي فرصة التقديم لهذه السيرة الزكية لأخي المرحوم عبدالقادر طاش ـ تغمده الله برحمته ـ وجزاه بما قدم للفكر الإسلامي وللإسلام خير أجر، وأجزل له الثواب..

والحمد لله رب العالمين..

عبدالقادر طاش:
أسطرة أستاذ في وجدان مريد

بقلم: د. عبدالعزيز محمد قاسم *

دكتور طاش.. بدايات العلاقة وأجواء التلمذة:

تناهي إلى مسمعي، وأنا لازلت طالبًا في الجامعة، اسم الإعلامي السعودي عبدالقادر طاش عبر برنامجه: (المجلة الإسلامية) التي كان يقدّمها في التلفاز السعودي، وبالرغم من أن الدكتور طاش عمل قبلاً في مجلة (الدعوة)، إلاّ أنها لم تك حاضرة في أجوائنا، ولا متوافرة بين أيدينا آنذاك.

امتدت بنا الأيام تترى، وعند تخرجي في الجامعة في العام ١٤١٠هـ، عُينت في ثانوية بدر المطوّرة، وصادف أن تلميذًا هادئًا متفوقًا في العام ١٤١١هـ كنتُ أدرسه مادة الرياضيات، اسمه خالد عبدالقادر طاش، وأتذكّر أنني أرسلت رسالة إلى والده، عبّرت فيها عن إعجابي الشديد، ومتابعتي لمقالاته في صحيفة (المسلمون)، وردّ عليّ عبر ابنه طالبًا زيارته في مبنى الشركة السعودية، وضرب لي موعدًا ، إلاّ أنَّ الله لم يُرد لي رؤيته. فقد طرأ له ظرف فلم أظفر برؤيته.

انتقلت إلى مكة المكرمة بغية إكمال دراساتي العليا، ومضت بنا السنون، وبالطبع كانت لي حكاية أخرى، وأولى في مكة المكرمة مع أستاذي الأول، والأحبّ بكر بصفر - مدير عام تعليم العاصمة المقدسة الآن - حيث كان هو من أقنعني بالولوج إلى عالم الصحافة في العام ١٤١٣هـ، بعد أن توسّم في كاتب السطور بعضًا من الموهبة الإعلامية، وباشرت من فوري الالتحاق بمجموعة زملاء في سني، أراد الأستاذ بصفر أن يكوّن منهم إعلاميون يخدمون الدعوة عبر الإعلام.

---

* مدير تحرير صحيفة (المدينة)، مشرف ملحق (الرسالة) الإسلامي

تتلمذت على يدي ذلك الملهم ألف باء الصحافة، وكانت مرحلة مكة المكرمة تمثل لكاتب هذه السطور مرحلة التأسيس وحجر الزاوية التي تعلّم فيها الكثير عن العمل الصحفي من الناحية النظرية، حيث كانت الجلسات الثقافية والفكرية المركزة، تغذّى الوقدة، وتشحن الرؤى، وتفتح ما استغلق من الكوى، من مثل البحث في الكتب الفكرية، وتلخيصها وتقديم قراءة نقدية فيها وهكذا، وكنت طيلة ذلك الوقت متابعًا دؤوبًا لما يكتبه أستاذي الراحل دكتور طاش في زاويته بصحيفة (المسلمون)، حتى أقيل منها، بعد وشايات قام بها طيف ديني محلي، وتوقفت بعدئذٍ.

في العام ١٤١٨هـ انتقلت إلى مدينة جدة مديرًا تنفيذيًّا لمكتب ملف (قطوف) الصحافي، وواكبت تلك الفترة الاستعدادات لإطلاق قناة (اقرأ) الفضائية، وقد رشحني أستاذي بكر بصفر للدكتور عبدالقادر طاش - يرحمه الله - للعمل معه، وبادرتُ من فوري بالالتحاق به، ولم يك يعرف عني شيئًا، سوى أن الأستاذ بكر دفع بي إليه بديلاً عنه، بل نسي - يرحمه الله - تمامًا قصة تلك الرسالة، إلى أن ذكّرته بها بعد سنوات من العمل معه، تذكّرها بعد جهد! غير أنني من جهتي أستحضر - بعد تلك السنوات - اتصاله الكريم بي في شهر ربيع الأول من عام ١٤١٨هـ، وطلبه رؤيتي في مكتبه في برج (دلة). ذهبت متهيّبًا، ولا أنسى مكوثي

وجلاً عند سكرتيره السوداني منتظرًا دوري، كنت أتساءل كيف سيلقاني، وبدأت أزوّر بنفسي بضعة مفردات، همهمتُ بها كي أدلقها على مسمعه، وإذ دلفت عليه من باب الغرفة بادرني بالوقوف والسلام عليّ بالتقبيل وكأنه يعرفني، كانت تلك إشارة أخوية أولى منه، أزالت ما بنفسي من حرج. وما لبث أن جلس أمامي على الكرسي المقابل، وتلك إشارة ثانية تلقفتها بكثير من التقدير، وبعد أن سألني الأسئلة التقليدية والمجامِلة بدماثة خلق رفيعة، جبّلة منه لا تصنعًا، طلب مني الاجتماع للإعداد لبرنامجه السياسي (مدارات الأحداث)، وكان ثالثنا الأستاذ جمال خاشقجي، الذي ما لبث أن اعتذر لإدراكه من البداية صعوبة العمل.

بالطبع خرجت من ذلك الاجتماع جذلاً، لأنني ببساطة شعرت بأنني سجّلت اسمي كتلميذ في مدرسة عبدالقادر طاش الإعلامية والفكرية، في تلك الفاصلة التاريخية، لحظة أن خرجت من مكتبه لم أدرِ - أيُّها السادة - أن بوصلة حياتي كلها ستتغيّر، وأن نهر الحياة يتجه نحو دلتا لم تكن في الخاطر.

خلاصات الدروس والهامات المعلم:

عملي مع الدكتور طاش كان انتقالة مهنية وفكرية كبرى في حياتي، فمن جهة اكتشف الدكتور طاش من وهلته استعداداتي الإعلامية، ونضجي الجزئي الذي أعدني فيه أستاذي الأول بكر بصفر، ففجّر الدكتور طاش طاقاتي ومواهبي، ووجّهني خير توجيه بحنكة مربٍّ، فضلاً على أنه كان من أعاد صياغتي الفكرية عبر سبع سنوات من الملاصقة الشديدة بأكثر مما كنته مع أستاذي الأول بكر بصفر، وأحمد للراحل أنني تعلّمت منه أشياء عديدة، تأتي في مقدمتها روح التسامح، واحتواء الآخر، وحُسن الظن به، بعد أن كانت تربيتي مغالية في هذه الناحية.. ليعيد الميزان في ناظري إلى قوامة التسامح وقسطاس الاعتدال، وكانت تلك أولى بشارات التلمذة، وبادرات البيدر الفسيح في صحبة الدكتور طاش.

أستفسر من شرفة ذكرياتي الآن عن الفرق بين أستاذيّ: الأنبل بكر بصفر، والمعلّم عبدالقادر طاش، فأقول بأن الدكتور طاش وجّه طاقاتي منُ بعد إلى الوجهات المهنية

الصحيحة في الإعلام، وخصوصًا الفضائي، وأعطاني الفرصة ميدانيًّا، وأتاح لي تحمّل المسؤولية مباشرة، عكس الأستاذ بكر الذي كان من طبيعته المركزية الشديدة، ومعاييره الكاملة التي لا يقبل بأقل منها، فيَتعب ويُتعب مَن يعمل معه. وإن كان للكلمات أن توجز المقارنة فالدكتور طاش عرف (إمكانياتي) فوظّفها حيث ينبغي. أما الأستاذ بكر فكان يبحث عن (مثال) في داخله ليقيمه في دواخلنا.

وجدني إذن دكتور طاش متمرّسًا معتمدًا على تأسيسي الأوّلي، إلى درجة أنني كنت أعدّ برنامجه الفضائي من الألف إلى الياء، وفي الصحافة كنتُ أصنع المادة والتحقيق، وأشرف على ملحق (الرسالة)، أو (البلاد الجمعة) لاحقًا، دون أن أعود إليه، بينما أخذ الأستاذ بكر بصفر على عاتقه تأسيسي الحقيقي، وعزّز تثقيفي الذاتي.. عبر إشراف مباشر. والذي لا أزال أدين له بالفضل بعد الله سبحانه وتعالى.

ربما الأهم مما استفدته من الدكتور طاش هو انتقالي للعمل الفضائي، وملازمتي له في سفرياته، والوقت الطويل المتاح لي أن أسأله عن تجاربه، كنت أنشد المعلومة بروح التلميذ الذي تشرّب حبّ أستاذه، وبنفسية المريد الذي نمذج شيخه في نفسه، فضلاً على رابطة الدم، والتوجه الفكري التي شعرنا بها كلانا، ما أفادني كثيرًا، وتكسّرت بالتالي كل الحواجز النفسية التي عادة ما يستغرق تلاشيها زمنًا.

أستاذي الراحل مدرسة فكرية، أشعر أنني تأثرتُ بها كثيرًا، وتقمّصتها لاحقًا، وأعيش بها الآن. تعلّمت من تلك المدرسة الانفتاح على الآخر، وسعة الصدر مع المخالف، وبُعد النظر، وعدم التعصّب للرأي.

كنتُ محبًّا له إلى درجة بعيدة، ومعجبًا جدًا بكثير من أخلاقه التي لا يستطيع أحد أن يتصنّعها، فهي جبّلة فيه، وُخلقٌ وهبه الله إيّاه. وبادلني بدوره الاستئناس في بداية الأمر ثم إلى اعتباري أحد أفراد أسرته كأخ أصغر له، فلا توجد لديه مناسبة عائلية خاصة إلاّ ويدعوني. وقد أصبحت فردًا من أسرته؛ حتى هذه اللحظة. وبعد رحيله. لازال أخوه محمد، وابنه الدكتور عادل يكرمانني باتصالاتهما، ويدعواننني لمناسباتهما التي ألبيها سعيدًا.

ربما كانت سطوري التي كتبتها بعد موته. يرحمه الله.. في أول مقالة لي بعد رحيله هي خير مَن تصف مشاعري ونفسيتي تجاه أستاذي، كتبتُ وقتها (وأنا بصفّ العزاء، وقد تراصّ الفضلاء وأولئك الأوفياء الذين تقاطروا إلينا، يقدّمون لنا واجب التعزية في فقيدنا الكبير أستاذي عبدالقادر طاش. لا يملك المرء إلّا أن ينفث آهة مصدور، ومبتلى، ويجاهد دمعة تترقرق في عينيه أن تنساب، وهو يصغي لرجل في الثمانينيات من عمره، معتمرًا كوفيته البيضاء، ومتكئًا على عصاه، وقد ارتسم الذهول على تقاسيم وجهه، يتحشرج صوته في نحيب المصدوم، متمتمًا بلغته التركستانية: ابني.. ابني. ينشج بها كلّما لمست يد معزٍّ كتفه.. ليزيدنا وجعًا إلى فجيعة..

وإن كان العمّ طاش محمد عبّر بمشاعر الأب المكلوم في فَقْد ابنه الأكبر، فما عسانا نحن ـ تلامذته، وأبناءه ـ أن نبوح بما في دواخلنا؟! وكيف لنا أن نعبّر إلا ببكاء صامت، يترجم انفطار قلوبنا على فراق أستاذ جيل، قدّم لنا، ولوطنه، وأمته عطاءات فكرية عديدة، انبثقت من تربية شرعية، وثقافة إسلامية أصيلة، عمادها الوسطية والاعتدال، والتي ترجمها سلوكًا وواقعًا، شهد له معارضوه به قبل محبيه..

وحتى كتابة هذه الأسطر، وبعد انتهائنا ـ بالأمس ـ من أيام العزاء، تنتابني مشاعر بأن ما أعيشه هو حلم وخيالات، وأشعر بروح أستاذي تحلّق في أجوائي التي أعيش، يتصل بي معاتبًا لمقالة كنتُ حادًا فيها، ويطالبني بعدم تكرار هذا الأسلوب، ويثني أحيانًا على بعض الموضوعية التي لمسها في مقالة أخرى.. وأنا بزهو التلميذ الذي يسعى لأن يكون أمام معلمه الذي أحبّ المبّرز في الصف. وقد طرت تيهًا في آخر ما كتب لي بخطه المميّز الجميل، عندما أهداني كتابه (الإعلام الإسلامي في القنوات الفضائية) في طبعته الثانية، وقد سطّر عليها الإهداء التالي: (إلى أبي أسامة.. أخي وزميلي الذي أفاخر به.. وإلى المزيد من النجاحات، وتحقيق الرؤية الوسطية التي طمحنا).

علّمني ـ رحمه الله ـ أبجديات الإعلام الفضائي، ووجّهني في دهاليزه المتشعّبة. كانت تجربة ثريّة وغنيّة. كنا نجتمع لنضع المحاور، ونقترح الضيوف، وكان حريصًا على تنوّعهم الفكري، واستيعاب الآخر ومحاورته، ما أغضب أقرب الناس إليه، وهو يصرّ على ذلك النهج الذي أكمله كاتب السطور لاحقًا في الصحافة، زاعمًا بأنه أفلح في تحقيق بعض رؤية أستاذه الكبير.

أما قصّة هذا الكتاب الذي بين أيديكم، فلها تفاصيل، ذلكم أنني لطالما جاهدتُ أن يكون الدكتور طاش ضيفًا في صفحة (مكاشفات) بملحق (الرسالة)، وهو يتأبّى ويرفض، حتى كان مرضه الأخير. هاتفته في لبنان، وشعرتُ بصوته المبحوح، وقلت له مهاذرًا: دكتور أنت في سنّ لا يسمح لك أن تفعل ما كنت تفعله في أيام الشباب ـ أعرّض بكبر سنّه ـ فيضحك ضحكته النقيّة المحببة ـ رحمه الله .. وعندما اكتشف الداء الخبيث، وجئته في مكتبه، ألفيته يستقبل ضيوفه متهللاً ومحتسبا، وفرحت.. بيد أنني عندما خلوتُ به، رأيتُ ما لم

يره الآخرون، اتكاءً لمرافقة لصيقة طيلة سبع سنوات، رأيت انطفاءات الحياة في عينيه، وأيقنت ـ حينها ـ بأن أستاذي لن يطول به الأمر، رغم كل رسائل الاطمئنان التي يبعثها لكل من سأله عن حاله.

أزمعت تخطي عواطفي تجاهه. وأصررتُ على تسجيل ذكرياته، ورؤاه، وأفكاره، وكم كان شاقًّا عليَّ وأنا أفكر في طريقة أطالبه بالاستجابة لي دون جرح مشاعره. استعنتُ بابنه عادل الذي رحّب بالفكرة، واجتمعنا عليه سويّتنا، فلم يستطع المقاومة، بعد تمنّع طويل. ربما كانت موافقته هروبًا من إلحاحاتنا!!

وأجّل ـ رحمه الله ـ مواعيد عدة للتسجيل؛ حتى دهمته ليلة جمعة اتفقنا ودكتور عادل عليها، فأتانا مرغمًا. وما لبث أن ابتسم لتآمرنا عليه. ونفاجأ بأن حاله انقلب تمامًا بعد مضي عشر دقائق فقط، وانخرط في اللقاء ناسيًا كل ظروفه وآلامه، واستمزج تلكم اللقاءات، ووجد نفسه سعيدًا في هذه الذكريات التي أبحر فيها كربّان محترف، يستحضر صورًا، وأشخاصًا، ومواقف من طفولته ومسيرة حياته، بذاكرة ملأى لا تنضب.

تلمسّت في تفاعل أستاذي الأُنس للتسجيل، ربما كان هروبًا من ضغوطاته النفسية والمرضية، ومن قسوة العلاج الكيماوي، فيأتي لائذًا لتلك الذكريات والمواقف التي يحللها، ويبدي فيها آراء انبثقت من وسطية عاش بها، واعتدال دعا له دومًا، وأنا أمارس هوايتي في مناوشته، ومماحكته بأسئلة يبتسم لها ابتسامة أستاذ عالي القدر، أمام تلميذ صغير يريد إحراجه. أبحر (ثلاثتنا) في أمسيات ماتعات، وحديث يفيض بالإنسانية والنبل، لم نشعر بالزمن يمضي حتى نفيق على (تكة) الشريط معلنًا انتهاء اللقاء، ليدعوني إلى سفرة عشاء أعدتها أختي الكبرى أم عادل، ويكمل بدون تسجيل بقية الحكايات الملأى بالعمل، والمثابرة، والتصميم، تحكي قصة كفاح.

أزعم ـ ولله الحمد ـ بأنني قد حافظت على جزء كبير ومهم من تراث وفكر أستاذ جيل، ومربٍّ نبيل، ومنظّر فكري وإعلامي بارز،عبر ذلك التسجيل، الذي نشرتُ جزءًا كبيرًا منه في (الرسالة)، وحفظتُ كثيرًا من تراث أستاذي الذي أحببت؛ لأحفظ للوطن والأمة

الرؤية الوسطية التي نحتاجها، ونحن بمسيس الحاجة لها. وقد تجسّدت واقعًا في شخص أستاذي، في سماحة خلق لا تنتهي..

عندما توفي الدكتور طاش - يرحمه الله - بكيتُ بما لم أبكِ أحدًا؛ حتى والدي - يرحمه الله .!! فقد كنتُ ملازمًا له في سفره، والآصرة الأخوية متينة جدًا، فضلاً عن إعجاب شخصي بما أسلفت، وأنا أحمد الله دومًا بأن قدّر لي أن أتتلمذ على يد هذين المعلّمَين اللذين أثّرا على حياتي كلها: أستاذي أبو معاذ بكر بصفر - يحفظه الله - والراحل الكبير دكتور طاش - يرحمه الله .. ومن عجائب القدر أنني كنت ملحاحًا عليه في حياته - رحمه الله - أن يكتب سيرته، وكنتُ دائم السؤال، وأهتبل أية فرصة لأسأله عن ما أنجز وهو يماطل، ويسّوف، ويتضجّر مني، وإذا بالقدر يلعب لعبته؛ لأكون أنا مَن يكتب هذه السيرة عبر الكتاب المقبل - إن شاء الله.

رسالة جامعية: سجّلٌ وتراثٌ وتاريخ:

أتذكرُ أنَّ فكرة تقديم كتاب، عن حياة رائد الإعلام الإسلامي، اختمرت برأسي عقب رحيله، كواجبٍ ودَينٍ مستحق، ووفاء لهذا الأستاذ الكبير، ودَفعَ بالفكرة في نفسي إلى أمداء أبعد، أنني لازمته ملازمة لصيقة طيلة السنوات السبع الأخيرة من حياته، فضلاً بأنني - بتوفيق من الله - سجّلت جملة من ذكرياته ورؤاه بما أسلفت سابقًا، وعندما فاتحتُ بعض الباحثين من خلّص أصدقائي، منهم الصديق الكريم عبدالوهاب الديب، شكروا لي نُبل الفكرة، ولكنهم أشاروا عليَّ بأن الخدمة الحقيقية للرجل هي أن يُنجز هذا الكتاب كرسالة جامعية، عن كتابات الرجل وفكره، من خلال ما سطّره عبر مقالاته المتعددة، وأن تخضع مادة الكتاب لمنهج البحث العلمي الأكاديمي الرصين والصارم، لأن خلاصته حينئذ ستكون ذات قيمة علمية وتاريخية، تبقى في سجل وتراث أستاذي، فذلك أجدى وأنفع كثيراً من مجرّد كتاب عادي يتيهُ في أرفف المكتبات، وتبهتُ قيمته مع الزمن.

أعادني هذا الحديث إلى موقف لي مع الراحل - يرحمه الله -، وأنا أسجّل له ذكرياته، ذلك أنه في جلستي الأسبوعية معه، كان يقوم بعرض أرشيف كبير لي، جمع فيه كل مقالاته مذ

باشر الكتابة الصحافية، ولمّا يزل طالباً في المرحلة المتوسطة أو الثانوية، فضلاً عن كتاباته بعد ذلك في مراحل عمره القصير، وكنت أبكّت عليه هذا الاهتمام، وما يتبعه من تعب وجهد، ولا أزال أتذكر حتى هذه اللحظة إجابته - يرحمه الله - وهو يهزّ رأسه مُهمهمًا: ستدرك يوماً ما يا أبا أسامة أهمية أرشفة الأعمال. وقد أدركتها حقاً عندما جلبتها لمشرفي على الرسالة الذي وقف مذهولاً وهو يتمتم، بأن أكثر من نصف المشوار من الرسالة قد قطعته، عبر هذه الأرشفة المحترفة، فكثير من طلاب الدراسات العليا يمضون السنوات وهم يبحثون في مراكز البحوث والمعلومات، كي يجمعوا هذه المقالات والمشاركات، في ما أخذتها أنا كغنيمة باردة لم أبذل في جمعها أي عناء.

قبل أن أختم هذا الجزء، أود التنويه بأنني أهديتُ الكتاب والرسالة إلى السيدة العظيمة، التي كانت وراء نجاح الدكتور طاش، وهي أختنا الكبرى أم عادل، السيدة خديجة حبيب، فلطالما ردّد عليَّ الدكتور طاش إبّان سفرياتنا بأنه: لولا الله، ثم هذه المرأة المثابرة والصابرة، التي حملت عني البيت، وتربية الأبناء، وفرّغتني لعملي لما استطعت أن أنجز شيئًا وأتقدم.

انثيالات خواطر من وحي الدكتوراة:

أفادتني الرسالة الجامعية في تعرّفي على أساليب البحث العلمي الدقيق، هذا جانب أفدت منه كثيرًا، ولاقى هوى كبيرًا لديَّ بسبب أن تخصصي الأصلي هو الرياضيات، التي لم يتح لي التعمّق في المدارس البحثية في علوم الإنسانية والاجتماعية. أمّا من الناحية المعرفية فبخلاف ذلك، خرجتُ بيقينية - مطلقة - أن المستوى المعرفي، والثقافي للإنسان لا يرتبط أبدًا بشهاداته، بل بمدى حرصه على الارتقاء بفكره، وتطوير ثقافته، عبر القراءة، والتحصيل الشخصي، فكم من الأكاديميين انتهى مستوى ثقافته عند مادة تخصصه، وفيما عداه لا يفقه شيئًا من أمور الكون والحياة. فالشهادة ليست كل شيء. أقول هذا لأولئك الذين تبهرجهم لمعة الدال، وتأسرهم رونق الشهادة.

أثناء قراءاتي لمقالات الراحل - يرحمه الله - أدركت أن لفورات العمر آثارًا أكيدة،

وأنها تلعب دورها في توجيه فكر الإنسان، واتخاذه لمواقفه، فمن يقرأ مقالات دكتور طاش في (المسلمون) ويقارنها بما انتهى إليه في سنواته الأخيرة؛ ليدرك حقيقة كيف أن عامل العمر مهم جدًا في تحديد المسارات، وردود الأفعال. وعطفًا على ذلك أقول: لعلّ من حكمة الله وفضله على أستاذي أن توفاه في هذه السن.

في تصوّري الخاص أن أكثر من خسر من رحيل الدكتور طاش هي الساحة الدعوية المحلية، التي كانت بمسيس الحاجة لفكره، وهو ابنها البار، والذي تربّى من صغره على أدبياتها، وعاش انبعاثاتها، وكان أحد الناشطين سواء في أمريكا، أو قبل مرحلة أمريكا وبعدها، كانت مقالاته الأخيرة تميل إلى التهدئة، والتؤدة، والتمهّل، ومراجعة النفس، والتأكيد على ضرورة إعادة القراءة بروح نقدية لكثير من أدبيات الصحوة الإسلامية، بل له كتاب أخير سأحاول أن أنشره سمّاه (من فورة الصحوة إلى رشد الوسطية)، تلخص رؤيته حيال هذا الأمر.

ثمة جانب كبير، وتأكد لديّ بعد عملي في رسالتي الجامعية، وهو أن الرجل ظلمه تخصصه، فقد شُهر كإعلامي إسلامي، ولكن الجانب الفكري غيّب عنه تمامًا، وأرى ذلك مجحفًا! ولعلّ من تلامذته الكُثر مَن يغطي هذا الجانب الفكري في الرجل، فالرجل قارع أساطين الفكر العربي في زاويته الشهيرة (نقطة ضوء)، لكنها لم تحظ بالتغطية اللائقة بها، ولم تقتعد مكانها ضمن السجالات الفكرية الإسلامية، وقد أشار عليّ معالي الوالد دكتور غازي عبيد مدني - في أمسية ثقافية كريمة - أن أبدأ في مشروع جمع نثار المقالات الفكرية للراحل، والتي لها صفة الديمومة وينتظمها خيط واحد، وضم كل ذلك بين دفتي كتاب.

ألمح أستاذي بكر بصفر في تعليق له سابق في ملحق (الرسالة) بأن الرجل يمثل نموذجًا للإسلامي الوطني، فقد كان مثالاً صادقًا لذلك الرجل الذي مازج بين الوطنية والأممية الإسلامية، دون أن يخل أحد منها، ومقالاته وما فعله أثناء حرب الخليج الثانية، أوائل تسعينيات القرن الماضي، دليل بيّن على هذا النموذج الذي نحن بحاجته الآن، واتّجه لها التيار الإسلامي المحلي أخيرًا، وطغت على أدبياته، وخصوصا بعد ١١ سبتمبر.

شكر مستحق:

ولا بدّ في نهاية هذه الكلمة من توجيه شكر مستحق لأحد لدات وأصدقاء أستاذي الراحل، والذي أصرّ على طبع هذا الكتاب، وفاء منه ومروءة، وقد تمنّع جدا أن أسطر اسمه وأعرّف بفضله، فجزاه الله خيرا.

ويبقى أن أتوجه بامتناني وشكري لكل الفضلاء الذين كتبوا عن أستاذي، ولأولئك الذين طلبت منهم الإسهام في الكتاب، وأخصّ بالذكر معالي الوالد الدكتور محمد عبده يماني الذين أكرمني بتقديم هذا الكتاب مروءة منه وفضل، وأزجي الشكر للدكتور أحمد سيف الدين والأستاذ خير الله تركستاني. وللزملاء محمد علاو، وعوض الشهري، ولطفي عبداللطيف، والدكتور عيسى عبدالباقي، والباحث محمد جمال عرفة الشكر الوافر في مساعدتي على إخراج هذا الكتاب، وإتمام هذه الرسالة تجاه فقيد الإعلام الإسلامي الدكتور عبدالقادر طاش. يرحمه الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طاش..
رحلة مع العلم والحياة*

المولد: البداية كانت في جدة عروس البحر الأحمر، عندما وُلد عبدالقادر طاش عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

وقد سهَّل الله - سبحانه وتعالى - لوالده الهجرة إلى بلاد الحرمين الشريفين أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، فرارًا من بلاد تركستان الشرقية المسلمة التي وقعت تحت الاحتلال الصيني، بينما وقعت امتداداتها تحت الاحتلال الروسي فيما عُرف بجمهوريات آسيا الوسطى.

وقد حفلت هذه الحقبة بموجة من الهجرات لأعداد كبيرة من التركستانيين والبخاريين إلى بلاد الحرمين الشريفين، بعد أن فرّوا من الظلم الشيوعي إبّان ثورة ماو عام ١٩٤٨م، وكان والد عبدالقادر، العم طاش محمد قد جاء لأداء فريضة الحج، عندما قامت الثورة الشيوعية، فكان من المستحيل عودته إلى بلاده، فتزوّج من إحدى جاراته، واستقر به المقام في جدة.

وظل العم طاش محمد يرقب من بعيد ما يحدث لأهله وذويه في تركستان من اضطهاد على أيدي الثورة الشيوعية، التي تضامن معها المسلمون في بداية الأمر أملاً في التخلّص من الاستعمار الصيني، ثم ما لبثوا كعادة كثير من الثورات أن ينقلبوا على المسلمين، وساموهم بعدها سوء العذاب.

وظلّت معاناة الشعب التركستاني مستمرة، خاصة مع حركات المقاومة الثقافية التي قادها عدد كبير من العلماء التركستانيين، والذين حاولوا الحفاظ على ثقافتهم العربية، وهويتهم الإسلامية، وهو ما عُرف بالثورة الثقافية التي قادت حركة المقاومة الإسلامية ضد الاضطهاد الشيوعي.

---

* هذه السيرة الذاتية التي نسردها في هذا الجزء من الكتاب هي تسجيل مباشر مع الدكتور عبدالقادر طاش قبل موته يرحمه الله بأسابيع قليلة

ولم يكن لوالد عبدالقادر حظٌّ من العلم. فقد كان رجلاً بسيطًا، ميسور الحال، يمتهن النجارة والخراطة، ويعود إلى أصول قروية تركستانية، إلاَّ أنه حط رحاله مع مجيئه لأداء فريضة الحج في جدة، ثم في مكة المكرمة، حيث استقر فترة من الزمن، ثم رحل بعدها إلى الطائف، وبقي بها حيث عاش عبدالقادر طفولته.

وقد كانت الطائف - وأكنافها من القرى - ملائمة لكثير من المهاجرين التركستانيين نظرًا لقرب جوّها من المناخ الذي اعتادوه في بلدانهم الأصلية، فتحوّلت الطائف بذلك إلى الحضن الدافئ الذي احتوى أعدادًا كبيرة من المهاجرين الذين أكرمت المملكة وفادتهم، واستوعبتهم، ودعمتهم في عهد - المغفور له بإذن الله تعالى - الملك عبدالعزيز آل سعود.

وقد كان نفر كبير من هؤلاء المهاجرين من العلماء والمثقفين الذين فرّوا من أحكام بالإعدام، إلاّ أنّ أعدادًا كبيرة منهم امتهنت الخياطة والنجارة والجزارة، حتى شكّلوا أغلب أصحاب المهن في الرياض وجدة ومكة المكرمة والطائف وأبها وغيرها من بلدان المملكة.

ورغم أنَّ موجات الهجرة قصدت في غالبها المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج، ثم استقر بهم المقام فيها، إلاَّ أنَّ أعدادًا من المهاجرين استقر بهم المقام في تركيا، وباكستان، والهند؛ لقرب المكان. وهناك أعداد قليلة ذهبت إلى مصر ويظهر أنهم اندثروا. وظل كثير من المهاجرين الجدد مترددين في الاندماج مع المجتمعات المحلية في المملكة، وربما عاد ذلك لاعتقادهم بأنهم موجودون لفترة محدودة، حيث كان أمل العودة إلى الأوطان مازال موجودًا، ولكن هذه السياسة لم تَدُمْ كثيرًا؛ لأنهم وجدوا مع مرور الوقت أنَّ الفرصة لعودتهم صارت ضعيفة.

المهاجرون التركستانيون في بلاد الحرمين

وقد وجد التركستانيون في هذه البلاد الحضن الدافئ، والقلب الكبير الذي استوعبهم حتى أن الدولة السعودية كانت مهتمة بالجالية التركستانية، كما كان لها إسهام في العمل والإنتاج والعطاء، إضافة إلى الهدوء وحُسن الخلق الذي هيّأ لهم الاندماج مع المجتمع.

وقد حرص التركستانيون في المملكة على الحفاظ على لغتهم التي كتبوها بالحرف العربي، بعد أن قاوموا الحرف الصيني واللاتيني، الأمر الذي شكّل دافعًا للتركستانيين أن يحافظوا على خصوصياتهم في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه.

وظل المهاجرون التركستانيون - مع رغبتهم في الحفاظ على لغتهم وهويتهم الثقافية - حريصين أيضًا على الاندماج مع المجتمع السعودي، حيث ألحقوا أولادهم بسلك التعليم العام في المملكة، وشجّعوهم على ذلك أيّما تشجيع.

وقد ساعد على هذا الاندماج الحنين الفطري لدى الشعب التركستاني لبلاد الحرمين، بما لها من قداسة روحية، فلم يكونوا يشعرون بالغربة في ظل ثقافة عربية وإسلامية عاشوا في كنفها، وتربوا عليها منذ نعومة أظفارهم، ولم تكن غريبة عليهم.

وقد أقام التركستانيون عددًا من الروابط الاجتماعية التي كانت أشبه بمؤسسات اجتماعية تقوم على توفير الاحتياجات الضرورية، وتساهم في المناسبات الاجتماعية كالأفراح والمآتم، وكانت أشبه بملتقيات تجمع التركستانيين، وتوفّر لهم جوًّا اجتماعيًّا؛ ليتلاقوا ويتواصلوا فيما بينهم، ويحافظوا على هويتهم ولغتهم بشكل رئيس.

وقد برز عدد من الأربطة في مرحلة الستينيات من القرن الميلادي الماضي، من بينها رباط الكشغريين، والخوتانيين، والسمرقنديين في الطائف. وكانت هناك أربطة أخرى مماثلة في مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، وكانوا يجمعون التبرعات فيما بينهم للقيام بأنشطتهم.

وقد كانت هناك تجمعات أخرى خارج الأربطة، وكان التركستانيون في الطائف يحرصون على لقاءات شهرية أسبوعية في المتنزهات والحدائق والبساتين الكبرى التي تشتهر بها الطائف في المثناة وغيرها.

وقد سارت إسهامات هذه المؤسسات في تحقيق الترابط بين أبناء الجالية جنبًا إلى جنب مع الدور الرئيس الذي تلعبه الأسرة في تحقيق هذا الهدف. فقد كانت الأسرة التركستانية متماسكة، وتحافظ على أبنائها، وتهتم بتعليمهم اللغة التركستانية داخل بيوتهم حتى أنَّ كثيرًا من الأسر كانت تفرض داخل أروقة المنازل على أبنائها الحديث باللغة التركستانية، إلاّ أنَّ هذا لم يمنع التركستانيين من الانفتاح على المجتمع الذي يعيشون فيه، والتواصل الإنساني بين مكوناته.

وكان التركستانيون يفضِّلون قضاء الأعياد بصورة جماعية، حيث كانوا يقسمون الحارات، ويتناوبون زيارتها كل يوم للتهنئة بالعيد. وقد كان من بين الشخصيات التركستانية التي أثَّرت في الدكتور طاش في مراحله الأولى الشيخ علي روزي الخوتاني، وقد كان زعيمًا حكيمًا يقصده الناس في خلافاتهم، ويقبلون حكمه، ويلتفون حوله.

وقد غلب طابع التلقائية على كثير من هذه الأربطة، خاصة تلك التي نشأت بين التركستانيين الشرقيين، على خلاف ما كان شائعًا بين التركستانيين الغربيين الذين كانوا أكثر تنظيمًا، وأقرب إلى منابع الحضارة والعلم من قرنائهم الشرقيين؛ لهذا تميزت جالياتهم في الغالب بالتنظيم والوعي السياسي.

ورغم هذه التلقائية إلاَّ أنَّ بعض الزعماء الذين طُردوا أو هاجروا من تركستان مثل الشيخ عيسى يوسف البتكين، والشيخ محمد أمين إسلامي، والشيخ محمد أمين بوغرا، والأستاذ واصلي، ومجموعة من الأسماء الأخرى اشتغلوا بالتنسيق مع الحكومة السعودية، ووجدوا العون والسند من الحكومة السعودية، وبالذات الملك فيصل أيام كان وليًّا للعهد.

بل ذهب بعضهم أكثر في حركات سياسية للتعريف بالقضية التركستانية إلى مصر وتركيا والهند وباكستان وغيرها، ومن ضمنهم الشيخ عيسى يوسف البتكين الذي استقر بعد ذلك في تركيا، وكذلك محمد أمين بوغرا الذي استقر في الهند وباكستان.

ولم تكن هذه التحركات والنشاطات الخارجية التي أبداها بعض الناشطين تُفسَّر على أنها نوع من الأمل في العودة التي رآها البعض ضربًا من المستحيل، بل ظل بالنسبة لهم حتى وقت طويل نوعًا من التاريخ الذي يجترون أحزانه، ويعيشون بين ذكرياته، أمّا الوطن - بحقيقته - فقد ظل غائبًا عن واقعهم، إلاَّ من رسائل أصبح تبادلها يدخل في دائرة المستحيل.

هذه هي البيئة التي نشأ فيها عبدالقادر طاش، وتأثر بمفرداتها؛ لتساهم في تشكيل عقله، وبناء تفكيره. وقد عاش طاش في الطائف التي حمل منها ذكريات جميلة، وأجمل ما فيها أنها كانت - على حد قوله - في مجتمع الطائف المتآلف الذي لم يشعر فيه بالغربة بسبب تآلفه واندماجه في المجتمع، والذي كان يضم إضافة إلى السعوديين الأصليين فئات أخرى، وجاليات متعددة.

رحلة الحج الأشواق

بدأت رحلة والد الدكتور عبدالقادر وهو العم طاش محمد من تركستان إلى الوطن الجديد، عندما استأذن الأب والده قبيل وفاته في السفر لأداء فريضة الحج، وكان عمره - آنذاك - خمسة وعشرين عاماً، وكان الابن الوحيد بين أخواته البنات.

وبعد عام من وفاة والده، خرج العم طاش محمد بين عشرين من شباب قريته التي كانت تدعى (سمبولا) في منطقة (خوتان) بتركستان الشرقية قاصدين بيت الله الحرام، بعد أن باع بعض أملاكه، واستأذن أمّه التي أذنت له إنفاذا لوصية زوجها،

وكانت أدوات سفرهم الخيول والجمال والحمير، وعبروا الحدود بين تركستان الشرقية عبر (كاشغر)، ودخلوا إلى حدود التبت، ودخلوا عن طريق جبال الهملايا وهي طريق وعرة ولا زالت حتى الآن تُسمّى بطريق الحرير، ودخلوا من هناك بحميرهم وخيولهم، ومرت عليهم شهور وهم في هذا الطريق، ومر عليهم الشتاء والصيف، ومات أغلبهم في الطريق.. إمّا من شدة البرد، وإمّا من السقوط في الجروف المائية الناتجة عن ذوبان الثلج في جبال الهملايا، ولم يَنْجُ منهم إلاّ قليل بينهم العم طاش محمد.

خرج العم طاش محمد ومعه أخته - رحمها الله - وكان معها زوجها وابنها وابنتاها، وعبروا التبت، ووصلوا إلى كشمير. وعندها قامت الحرب الهندية الباكستانية حول كشمير في عام ١٩٤٧م، حُجزوا في كشمير على الحدود الهندية لأربعة أو خمسة أشهر، حتى وضعت الحرب أوزارها، وعاشوا بين الجنود الهنود، وكانت معهم بعض البضائع التي عاشوا على ثمنها.

وبعد أن انتهت الحرب وصلوا إلى بومباي، وركبوا السفينة إلى أن وصلوا إلى عدن التي نزلوا فيها لبضعة أيام، وساحوا فيها أيامًا! وبعدها سافروا إلى جدة التي وصلوها بعد رحلة معاناة استمرت لعام وسبعة أشهر، وحجّوا في العام التالي بالطبع.

وأقام العم طاش محمد بعدها في جدة فترة من الزمن، وتزوّج وأنجب عبدالقادر في عام ١٩٥٢م.

النجارة مهنة الوالد

عمل العم طاش محمد في النجارة، ثم بنى له بيتًا صغيرًا في جدة بحارة البخارية، ولكنهم لم يحتملوا الجو، وخرجوا بعد سنة إلى الطائف، واستقر الوالد هناك.. حيث قضى عبدالقادر طفولته هناك إلى أن تخرج من المعهد العلمي، وذهب إلى الرياض..

ورغم تباعد الأيام إلاَّ أن الصلة لم تنقطع مع تركستان، فظلوا يتلقون الرسائل بعد أن بدأت أجواء الانفتاح تعود من جديد، إلاَّ أنَّ والد الدكتور عبدالقادر أدرك بعد الحرب أن عودته إلى بلده لن يُكتب لها النجاح، فاستقر في الطائف هو والباقون، وأدركوا أنه لا يمكنهم العودة إلى بلادهم، وعاشت الأسرة منذ ذلك الوقت في المنطقة الشرقية بالطائف، حيث بنى الوالد بيتًا في (الشهداء) لتستقر الأسرة فيه.

وبعد أن استقر الوالد بدأ العمل بجدٍّ واجتهاد، واستطاع أن يتحصَّل على مبالغ مالية أتاحت له أن يبني بيتاً في جدة، ثم يبيعه لاحقًا، ويبني بيتاً في حي (الشهداء) بالطائف.

وقد عمل العم طاش محمد في مجال المقاولات، وكان يبني البيوت والعمائر المهمّة في الطائف، وقد رُزق بثلاثة عشر ابنًا من الذكور والإناث.

ملامح التربية الأسرية

لقد كان لأسرة طاش دور كبير في بناء شخصيته، وعن هذه الحياة الأسرية يحكي طاش أنه تربى في أسرته تربية فطرية بالدرجة الأولى.. فوالده ووالدته كانا أمّيين، وكان والده يقرأ القرآن، حيث دخل الكتاتيب لفترة قصيرة ليتعلم القراءة، أمَّا والدته فهي أميّة لم تدخل المدرسة؛ لذلك كانت تربيتها فطرية كأي أسرة تحرص على تربية أبنائها، وكان ذلك أمرًا طبيعيًّا.

وقد كانت لدى والده رغبة جامحة أن يهب أحد أبنائه للعلم، وقد وفّر لابنه عبدالقادر كل الوسائل الممكنة لتحصيل العلم والتفرغ له دون أن يشغله عن ذلك شاغل من عمل أو غيره.

كان هذا أول ملمح من ملامح التربية والتكوين الفكري في حياة طاش، ومع تفوق الابن ونبوغه بدأ العم طاش محمد يطمح في أن يدرس ابنه العلم الشرعي في الأزهر؛ ليكون عالمًا من علمائه.

لقد زرع الوالد هذه الرغبة، ووضع هذا الطموح في نفس ابنه عبدالقادر منذ ذلك الوقت وهو صغير في المرحلة الابتدائية.

يقول دكتور طاش: (إن التربية السلوكية كانت أيضًا تربية فطرية، ولم يكن الوالد أو الوالدة يعرفان العنف أو الإجبار، كنا أنا وإخواني - والحمد لله - نلتزم بأوامر الدين والأخلاق والسلوك الحسن، وكل ذلك كان يأتي بالتراضي والقبول والحب والنصح والتوجيه بالرغم من أنهما أميّان).

أما بالنسبة لوالدته فيحكي دكتور طاش أنها كانت هي المحضن داخل الأسرة، وكانت تنجب كل سنة تقريباً، وكان عدد إخوته كبيرًا، وكانت تحمل هموم البيت على رأسها، لذلك وفّرت للأسرة هذا المحضن، وهذا البيت الدافئ الذي حصل فيه الأبناء على كل احتياجاتهم.

ويذكر دكتور طاش أنه في ذلك الوقت المبكر ـ وهو طفل صغير ـ كانت لديه غرفته الخاصة به ـ دون إخوته ـ بعد أن عرفت أمه رغبة والده في تهيئته للعلم.
ويؤكد دكتور طاش أن هذه المزية لم تحرّك سخطًا لدى إخوته، بل كانت الأمور تسير بتلقائية وحب بالغين.

أجواء الطائف في الستينيات

وعن أجواء مدينة الطائف التي تركت بصماتها على الشخصية بصورة عميقة، يؤكد دكتور طاش أن أجواء هذه المدينة ذات الطبيعة الجميلة، والتي نشأ وترعرع فيها، كان لها أثرها في بناء شخصيته فيقول: [إنها كانت مدينة رائعة. استقينا منها ذلك الصفاء والنقاء والهدوء، حيث كانت مدينة المطر. عندما يأتي المطر تأتي الحياة، وكنا نلعب في الحواري والشوارع، وننزل إلى المسيال في وادي وج، ونلعب بالرمل، ونبني منها بيوتاً. كان (غدير البنات) منطقة سياحية جميلة نطلع فيها. وكانت البساتين في المثناة وغيرها.
ويقول دكتور طاش: (إنه من حبه للمطر والرمل يذكر أنه كان يأكله بنهم ويقول: ولا أدري أين ذهب الآن؟ ـ قالها ضاحكًا ـ! حتى في بعض الأحيان عندما نعود من المدرسة نجلس في هذه الرمال أوقاتاً طويلة، أذكر فواكه الطائف الجميلة مثل العنب والرمّان والمشمش والبرشومي وغيرها، وكنا ونحن أطفال نحضر الحفلات الغنائية التي كانت تقام في البساتين في الحوايا).
ويكمل دكتور طاش وهو يستعيد هذه الذكريات بحبور بالغ: كان أهل الطائف الأصليون مشهورين بالفنون الشعبية، وأتذكر الحفلات التي كانت تُقام لجلالة الملك سعود ـ رحمه الله ـ وكانت كل جالية تقيم الحفلات الغنائية والشعبية والطرب الخاص بها، وكل جالية تقدم رقصاتها وجمالياتها، وكانت الطائف تقيم هذه الحفلات سنويًّا.

وكذلك كانت السينما موجودة في الطائف، وأتذكر جيدًا سينما (أرامكو)، وأن أول فيلم رأيته كان بها، وشاهدتُ كذلك فيلم (قصة الزيت) وهو فيلم مشهور يحكي اكتشاف البترول بالمملكة، وعن فتح الرياض أيام الملك عبدالعزيز.

ويختتم دكتور طاش هذه الجزئية من ذكرياته قائلاً: (كان كل ما ذكرت ثراءً للثقافة، وكان كل الناس يشاركون بما لديهم حتى أن السعوديين من أهل القبائل المجاورة أو من أهل الطائف كانوا يشاركوننا ونشاركهم، وأحيانًا كانت تُقام حفلات مشتركة ولقاءات كثيرة. بل كان هناك إلحاح وطلب للمشاركة من الجاليات المتعددة للغناء والمشاركة في تلك الأجواء التي كانت موجودة بالطائف).

بين حلقة التحفيظ والمدرسة الابتدائية

وقد التحق دكتور طاش بالمدارس والمراكز الموجودة بكثرة في الطائف، وكان للتركستانيين إسهام كبير فيها سواء بإنشائها أو المشاركة فيها، وكان من أشهر هذه الحلقات حلقة مسجد (البقيرة) في حي الشهداء الجنوبية بالطائف، حيث درس دكتور طاش على يد أستاذه خيرالله عزيزالله، وكان أسنّ من دكتور طاش قليلاً، بيد أنه من جيله. وكان له - بعد الله تعالى - الفضل في حفظ دكتور طاش جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، لأنه كان نائباً لشيخ الحلقة، وأسّس حلقة أخرى في المسجد الصغير قرب منزل طاش، وبجوار حفظ القرآن كان له دور في تعليم دكتور طاش الخط، حيث كان عزيز الله (خيرالله) خطاطًا، ورسامًا، وفنانًا تشكيليًّا، وكان عمره - آنذاك - في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر.

ويحكي دكتور طاش عن تجربته مع المدرسة فيقول: (بدأت في المدرسة اليمانية حوالى عام ١٩٥٨م/ ١٣٧٨هـ، وكانت من أشهر المدارس في الطائف بتلك الفترة، وكان مبناها جميلاً ومتكاملاً، وهو عبارة عن بهو في الوسط والفصول من حوله،

ولازلت أتذكّر المسرح الكبير، وكان المبنى يوحي للتلميذ بأنه في مدرسة متكاملة، وكنت محبًّا للمدرسة وعاشقًا لها. وأذكر أنني كنت أمشي برجلي من حي (الشهداء الجنوبية) إلى حي (اليمانية)! وهو مشوار طويل. كنت أحب المدرسة، وكنت أحب الأكل في مقصف المدرسة، ساندويتشات وحلويات. كان هناك مسجد بجوار المدرسة، وكنا نصلي فيه، وكان عدد الطلاب في الفصل الواحد في حدود خمسة عشر أو عشرين. وكانت الفصول كبيرة).

معلمون محفورون في الذاكرة

بعد عامين انتقل دكتور طاش إلى مدرسة الشهداء التي لم تكن قريبة من منزله، ويقول: (كانت هناك مسافة نقطعها مشيًا، ولكن أتذكّر مديرها الأستاذ عبدالحي صفدر - رحمه الله - وكان حازمًا وشديدًا ومشهورًا بالعصا التي يضرب بها الطلاب، وكان يحملها في يساره، وكان يهابه الجميع).

ويتحدث دكتور طاش عن هذه الفترة فيقول: (في هذه المدرسة تفتقت مواهبي وقدراتي. كان لدينا مجموعة من الأساتذة، وأذكر منهم أستاذًا فلسطينيًّا اسمه فوزي، وقد كان ذا تأثير كبير في حياتي، وكان يدرّسنا اللغة العربية، وكان يرى فيَّ الموهبة التي يمكن أن تُصقل وتُنمّى، فكان يهتم بي؛ ولذلك فهو أول من فتح لي مجال تنمية مواهبي في اللغة العربية عن طريق الإذاعة المدرسية، وهو أول نشاط لي تفتقت فيه مواهبي، حيث كنتُ اقرأ القرآن، وبعد ذلك أصبحت مذيعاً افتتح الإذاعة، وأقدم البرامج! ووجدت في ذلك متعة لا مثيل لها، وهي البدايات الحقيقية لي في الجانب الإعلامي. ثم الصحافة المدرسية أيضًا).

عن مناهج التعليم في تلك الأزمنة

وعن مناهج التعليم في تلك الفترة وأثرها في بناء شخصيته يقول دكتور طاش: إنها

كانت مناهج قوية، وكانت كثيرة ولكن كانت على قدر همّة جيله في ذلك الوقت، وربما لا تتحمل الأجيال الحالية تلك المناهج برأيه، ويقول: (أذكر أننا كنا في منهج الفقه ندرس المتون، وكنا نحفظ متن (زاد المستقنع)، ونحفظ النص ثم يشرح لنا الأستاذ معناه، ولكن لا بدّ من حفظ النص. ونحفظ (ألفية ابن مالك) في النحو، ثم بعد ذلك تأتي الشروحات).

ويستطرد دكتور طاش: (في مادة التوحيد كنا نحفظ معظم الكتب الرئيسة: الأصول الثلاثة، وكتاب التوحيد، وإزالة الشبهات، وكل كتب التوحيد الأساس، في مجال الأدب مثلاً كنا نحفظ نصوص الأدب، في كل مرحلة من المراحل كان لدينا عصر من العصور كالعصر الجاهلي، والمعلقات العشر حفظناها كلها؛ لأنه لم يكن من حفظها بد، كذلك كنا نحفظ نصوصًا من العصور الإسلامية المختلفة، ليس مجرد النصوص الشعرية بل النثرية أيضًا كابن المقفع، والجاحظ، ونصوص البيان والتبيين، والبخلاء، وكتاب كليلة ودمنة، كانت هذه النصوص للحفظ وليس للمطالعة، حتى في العصر الحديث كان الأستاذ إبراهيم الفوزان يجعلنا نحفظ نصوصًا لأحمد شوقي، والبارودي، وحافظ إبراهيم، وشعراء المهجر مثل: إيليا أبو ماضي، وأبو القاسم الشابي، وكذلك الجواهري، والرصافي، والنجفي، وكذلك شعراؤنا مثل: حمزة شحاتة، وأحمد قنديل، وأحمد حسن، وحسين القرشي، وحسن عبدالله القرشي. هذه هي مناهجنا التي تعلمناها في الفقه والتوحيد والأدب).

ويحكي دكتور طاش عن هذه المرحلة في حياته فيقول: كنا طلبة منتقين. عندما اجتزنا السنة الرابعة - وكانت سنوات المعهد خمسًا - تغير نظام المعهد ليصبح ست سنوات، حتى يصبح مثل الثانوية العامة وتُتاح الفرصة لخريجي المعهد للالتحاق بالجامعات، كانت تلك مرحلة انتقالية. في آخر السنة الرابعة قرر المسؤولون أنَّ مَن يحصل من طلاب السنة الخامسة على مجموع ٨٠٪ من الدرجات يجتاز المعهد،

ويذهب إلى الجامعة. ومَن يفشل في ذلك يُكمل السنة السادسة!! كانت دفعتنا أقوى الدفعات، فاجتاز حوالى ٩٥٪ من الطلاب النسبة المقررة، وذهبنا إلى الجامعة مما يدل على قوة الدفعة التي كنا فيها. لم نكن نتذمر من المناهج مثلما يفعل الطلاب الآن بالرغم من صعوبتها، لا شك أن الظروف اختلفت وأصبحت المغريات العصرية ومتطلبات الحياة كثيرة حاليًّا. كانت الحياة في زمننا يسيرة، وكانت الأسر تفرّغ أبناءها للعلم وطلبه، وكانت الأجواء في داخل المدارس تساعد على تحصيل العلم.

لذلك يقول دكتور طاش: بالرغم من أنني كنت أعتمد على نفسي في المذاكرة، إلاَّ أنني كنت من الأوائل والمتفوقين في المرحلة الابتدائية.

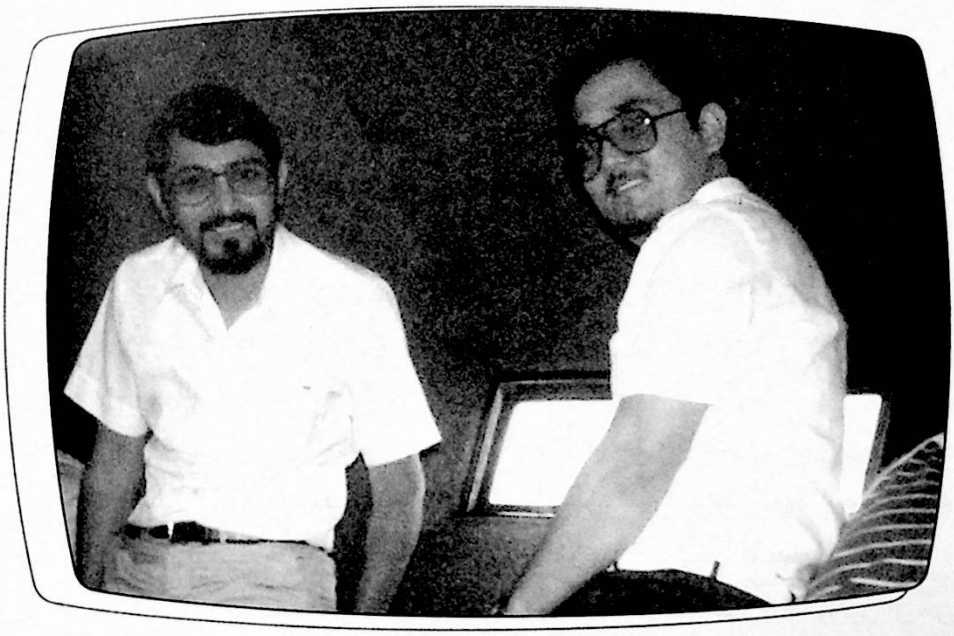

المناهج وطلاب ذلك الجيل

ويتحدث دكتور طاش عن جيله من الطلاب قائلاً: (لم نشعر في تلك السن بصعوبة المناهج أو غربتها عنا، بل كنا نقبل عليها ونلتهمها التهامًا! وإلى جانب المناهج كان هناك الأنشطة المدرسية التي كانت تتكامل مع المناهج في إنضاج الطالب في تلك الفترة، والدور الأكبر يعود - بعد الله سبحانه وتعالى - للمعلمين بلا شك. المعلم في ذلك الوقت لم يكن دوره يقتصر على التعليم داخل الفصل الدراسي، بل كان موجهًا ومربيًا وحافظًا للنشاط، ومشاركًا فيه، في داخل المدرسة وخارجها).

وعن هذه الأنشطة يقول دكتور طاش: إنه شارك في ذلك الوقت في النشاط الكشفي وهو صغير، وكان بالمدرسة نشاط كشفي على مستوى عالٍ فكانت مشاركاته على مستوى الطائف وعلى مستوى المملكة.

ويضيف دكتور طاش: (هذه المرحلة كانت خصبة في حياتي، وأتيحت لي فرصة التكامل في كل الجوانب وأنا نميّتها ببعض النشاطات الإضافية. اهتمامي بالإذاعة مثلاً جعلني أهتم بسماع الإذاعات، ووفّر لي والدي هذا الراديو الكبير الذي كان موجوداً عندنا في البيت، وكنا نستمع إليه في البيت. وكان لدينا جهاز الأسطوانات وكنت أسمع صوت العرب، وكنت أستمع في ذلك الوقت إلى الأحاديث التي يذيعها الشيخ علوي المالكي، والشيخ محمد أحمد باشميل - رحمهما الله تعالى - في الإذاعة السعودية، وكنت أسمع كذلك صوت العرب.. وأذكر برنامج (لغتنا الجميلة) لفاروق شوشة. وكنت أهتم بما حدث بين الحكومتين المصرية والسعودية عندما جاءت مشكلة المقاطعة وحرب اليمن).

ويقول دكتور طاش: (نميّت الاستماع إلى الإذاعة وكان عمري حينها لم يتجاوز التاسعة أو العاشرة، وكنت أقوم بأشياء ربما يعجب الكثيرون منها.. كان عندنا سطح في البيت، وكان لدي زميل اسمه محمد أمين تركستاني، وكان أيضًا يحب النشاط، وكنا

نعمل إذاعة بعلب (الصلصة)، ونوصل الخطوط بالوتر. أحيانًا من بيتنا إلى بيتهم. ونتكلم فيما بيننا، وكنا ننشئ إذاعة ونفتتحها من الألف إلى الياء. وكنت أقوم بتقليد المدرس؛ لأنني كنت أحب أن أكون معلماً. وكنت أتخيل الطلاب أمامي، وكنت أحضِّر الدرس وألقيه أمامهم (في خيالي)! تلك الفترة كانت فترة الخصب والنماء، ولم أكن أقتصر على ما أتعلمه في المدرسة، بل كنت أكمله في البيت إلى جانب القراءة التي بدأتها في المدرسة الابتدائية. بدأت القراءة بقصص ميكي. كان لي بعض الأصدقاء والزملاء الذين كنا نتلهف لقراءة القصص المصورة، وكان لها رواج في تلك الفترة، ميكي، وبطوط، وسمير، وتان تان وغيرها. كان بالطائف رجل يمني لديه دكان في باب الريع عندنا يُسمّى ببرحة القزاز. كان هذا الرجل يفرش على الأرض الكتب القديمة التي يشتريها من الناس. ثم يبيعها بأسعار رخيصة ورمزية، وكان رجلاً متسامحًا ويدع الناس يقرأون بالمجان! كان هذا هو عالمنا الأول الذي انفتحنا عليه. من هنا بدأتُ الاهتمام بالقراءة ولكن ٩٠٪ من القراءة كان في مجال القصص المصورة والبقية بالقصص المدرسية التي كان يكتبها عبدالحميد جودة السحّار، ونجيب كامل كيلاني وغيرهما. وكانت قصص قصيرة مثل قصص الجيب. وكنا نتلهف عليها وبهذا أنهينا المرحلة الابتدائية.

بواكير الصحافة

من الصحافة المدرسية بدأ مشوار دكتور طاش مع عالم الصحافة. ففي عام ١٩٦٠م أو ١٩٦١م بدأت الخطوات الأولى مع الصحافة المدرسية والحائطية. ويقول دكتور طاش: لقد ساعدتني قدرتي على الكتابة وبروزي في اللغة العربية واختيار المقطوعات، حيث كنت أهتم بالشعر والقصص، كذلك كان لدي أستاذ آخر يدرس لنا اسمه شوقي، وهو صديق للأستاذ فوزي، وكان يدرس لنا الرسم والفنون التشكيلية. وكانت المدارس تهتم

بهذه الفنون. كان لدينا معمل للرسم، وكنت أحب المشاركة. وبسبب تعلقي بالأستاذ فوزي وصديقه برعت أيضًا في الفن! وكنت أحبه جدًا، وبدأت الاهتمام بالرسم وكنت أذهب أحيانًا إلى مرسم الأستاذ شوقي في بيته لأمارس الرسم. لكني للأسف لم أواصل في مجال الفن، وإن كنت أتذوقه وأستسيغه. أذكر أن صديقي وزميلي الأستاذ خير الله كان رسامًا وفنانًا تشكيليًا، وحببني فيه أيضًا. وإن لم أستمر في ذلك.

وفي مجال الأنشطة الدينية يقول طاش:

كنت مهتمًا بالعلوم الدينية، والتوحيد، والفقه، والقرآن الكريم. من ثم تكاملت الثقافة الشرعية مع الثقافة العربية والفن والإعلام، وتكامل كل ذلك في بوتقة واحدة لدي. وهذا يمكن أن أقول بأنه من أهم ملامح التكوين الفكري والثقافي لدي؛ لأنني وجدتُ الاهتمام في هذه المدرسة منذ الصغر.

وفي الوقت نفسه كنت أقرأ القصص البوليسية مثل قصص أرسين لوبين، وأكاد أكون قد قرأت معظم تلك القصص. وكذلك قرأت بعض القصص لأجاثا كريستي، ولكني كنت مهتمًا بقصص أرسين لوبين.

ورغم هذا النهم للقراءة التي كان يمارسها بصورة يومية، إلاَّ أنَّ دكتور طاش يؤكد أنه لم يحظَ بتوجيه، ومن ثم دخل فيه بطريقة عفوية ويقول: لقد ضاع منا كثير من الوقت برغم استفادتنا، ولكن ربما لم تكن قراءة موجهة نستطيع من خلالها أن نتلمس الكتب المفيدة في ذلك الوقت، وإنما كنا نجتهد من أنفسنا من خلال الزملاء والأصدقاء.

مناخات المرحلة المتوسطة

دارت عجلة الأيام ليدخل دكتور طاش إلى مرحلة جديدة كانت لها ذكريات، وهي مرحلة التعليم المتوسط، حيث دخل في مجمع (نجمة) التي تضم المتوسطة ودار التوحيد فيقول دكتور طاش: قضيت عامًا في هذه المدرسة.. وللأسف الشديد لم

أجد نفسي فيها، حيث إنني كنتُ في المرحلة الابتدائية طالبًا متفوقًا أحب الجد والدراسة والتحصيل الدراسي، وكنت أرغب في حياة جدية. ولكن عندما جئت إلى مجمع نجمة كان المناخ الطلابي في تلك المدرسة مناخًا لاهيًا عابثًا، فشعرت أن هذه السنة ضاعت من حياتي، كنتُ أقرب إلى الطالب الانطوائي مع أنني لم أكن كذلك في المرحلة الابتدائية.

ويقول: كان نظام الاختبارات في تلك الفترة وجوبًا وجوازًا وهو نظام يشابه الممتاز والمقبول، فمَن يحصل على درجات عالية يكون نجاحه وجوبًا، ومَن يحصل على درجات قليلة يكون نجاحه جوازًا! ويقول: إنه نجح وجوبًا، ولكنه لم يكن من المتفوقين. إلاّ أنَّه في أواخر تلك السنة تعرَّف على زميل وصديق من جيرانه كان أكبر منه سنًّا بحوالى ثلاث أو أربع سنوات، وكان قد تعثر في دراسته الابتدائية، بسبب التحاقه بتحفيظ القرآن الكريم الذي حفظه في ثلاث سنوات، ثم نجح في تلك السنة التي انتقل دكتور طاش فيها إلى الثانية المتوسطة، واستطاع أن يكمل المرحلة الابتدائية وتخرج فيها.

ويقول دكتور طاش: تعرفت عليه وأُعجبت به، وتعلّقتُ به كثيرًا، وهو زميلي وصديقي الأستاذ خيرالله التركستاني الذي علَّمني القرآن والخط في تلك الفترة؛ لذلك تعلّقت به، وأُعجبت بقربه حتى في الاهتمامات المشتركة بيننا، وكان والدي من المشجعين على نماء تلك العلاقة لما عرفه فيه من تقى وصلاح واتجاه إلى القرآن الكريم. الأستاذ خيرالله سمع في ذلك الصيف بافتتاح معهد الطائف العلمي التابع في ذلك الوقت للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، وكان توجُّه هذه الرئاسة في التعليم الديني والشرعي والاهتمام باللغة العربية. كانت هذه الرئاسة تضم المعاهد العلمية وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية، ثم تحولت فيما بعد إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي نواة الجامعة.

معهد آل الشيخ

ويقول دكتور طاش: كان للرئاسة معاهد علمية تضم المرحلتين المتوسطة والثانوية في بوتقة واحدة وكان عدد السنوات خمسًا. يتخرج الطالب فينال شهادة الثانوية من المعاهد العلمية، ولكن كان لا يحق له أن يلتحق بأي جامعة أخرى غير كلية الشريعة، وكلية اللغة العربية في ذلك الوقت بالتحديد. فسمع الوالد عن هذا المعهد، وكان يسمّى في الطائف بمعهد آل الشيخ؛ لأن الرئاسة كانت برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة، وهو الذي أسس هذه المعاهد والكليات، وأشرف عليها، وكان رئيسًا لها، ثم بعد ذلك تولى أولاده وأحفاده تلك الرئاسة إلى أن تحوّلت إلى جامعة الإمام. اهتمام الوالد بالتعليم الديني والشرعي ورغبته الحقيقية بأن ألتحق بهذا الجانب، وأن أذهب إلى الأزهر لأتعلم فيه قادتني إلى هذا المعهد. كنت قد قضيت سنة واحدة، وهذا يعني أنني سأخسر تلك السنة، ولكن لأن المعهد خمس سنوات للمتوسط والثانوي سهّلت فكرة الالتحاق بالمعهد، لكن ذلك لم يكن عاملاً أساسيًّا في قراري بالالتحاق بالمعهد، وإنما كانت رغبة الوالد بالدرجة الأولى. وساعدني التحاق الأخ خيرالله الذي كنت متعلقًا به كثيرًا، إضافة إلى أنني لم أجد نفسي في المتوسطة الأولى، لذلك قلت في نفسي لعل تلك المدرسة الجديدة تكون مختلفة؛ ولذلك التحقت بمعهد الطائف العلمي، وقضيت خمس سنوات فيه.. وأحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي وفقني بتوجيه الوالد وتأثير هذا الصديق العزيز فيذلك؛ لأن المناخ الذي كان موجودًا بالمعهد هو المناخ الذي تفتقت فيه مواهبي وقدراتي وطاقاتي، وصُقلت هذه المواهب. وفي هذا المعهد تكوّن توجهي الفكري. وعن هذا المعهد يقول دكتور طاش: كان المناخ في المعهد يتميّز بأمرين مهمّين: الأول هو وجود نخبة ممتازة من الأساتذة والمعلمين والموجهين، والجانب الآخر وجود نخبة منتقاة من الطلاب، وهم يمثلون على الساحة الحالية رموز الفكر الإسلامي في هذا البلد.

ويذكر دكتور طاش عددًا من زملائه الذين رافقهم في هذه المرحلة، منهم الدكتور عبدالرزاق بن حمود الزهراني، والأستاذ خير الله، والدكتور خضران الزهراني، وهو من كبار القضاة، والأستاذ عبدالرحمن الزامل في قسم الجغرافيا بجامعة الإمام، والدكتور مجيد الدين منهاج الدين، وهو أيضًا من كبار القضاة.

ويعلق دكتور طاش على ما يتبادر إلى بعض الأذهان حول طبيعة مثل هذه المعاهد التي تقوم على التلقين قائلاً: أنا لي وجهة نظر في قضية التلقين والتوجيه في مراحل معينة من حياة الطالب وتكوينه الفكري، لا ينبغي أن ننبذ التلقين تمامًا؛ لأنه أحد مناهج التعليم المهمة، وفي مرحلة من المراحل يكون فيها الطفل غضاً يحتاج إلى كثير من التلقين، على أن يتزامن التلقين مع شيء من الحرية في الحوار والانفتاح على الثقافات الأخرى، وعدم الاكتفاء بالتلقين وإنما يفتح المجال للحوار وتبادل الرأي.. عند ذلك يصبح التلقين من الأدوات المهمة لتثبيت المعلومات وفتح الحوار. كيف تفتح حواراً وأنت لا تأتي بالنصوص التي تستطيع من خلالها أن تكون الفكرة الأساسية وتناقشها؟.

ويؤكد دكتور طاش أنه كان هناك انفتاح فكري في تلك الفترة ربما أفضل مما هو موجود خلال العشرين سنة الأخيرة؛ لدرجة أننا أصبحنا نعاني من أحادية في التفكير، وربما الاعتماد على التلقين أكثر والتوجيه القسري للفكر أكثر من ذي قبل.

شخصيات مؤثرة

ويستعرض دكتور طاش عددًا من الأسماء التي أثّرت في مسيرة حياته من أساتذته، وممن تعرّف عليهم خلال هذه المرحلة فيقول: كان الأساتذة السعوديون يمثل معظمهم التيار السلفي، وكانوا يتخصصون غالبًا في الفقه والتوحيد؛ ولذلك فإن تكوينه العقلي والفكري الأساسي في مجال العقيدة والفقه كان من هذه المدرسة السلفية.

ويقول دكتور طاش: في الجانب الفكري كان يدرسنا الأستاذ محمد الصقر، وقد عمل بعد ذلك في مجلس الأمناء بمجلس الوزراء، وهو من الأساتذة الذين تعلّمنا على أيديهم الفكر الصحيح الذي يجمع بين السلفية وعلوم التجديد. كان أستاذنا في مادة الفقه، ولكنه كان يخرج عن النص ويخلط بين الفكر والفقه؛ ولذلك جمع بين السلفية والتجديد، كما كان يدرسنا مادة التعبير والإنشاء، وكان يسخّر الموضوعات التي يلقيها علينا ويجعلنا نلقيها ونكتبها، مما كان له دور مباشر في تنمية الكثير من مواهبنا الكتابية والخطابية، وكان يوظف هذه المادة لخدمة الفكر التجديدي الإسلامي، وكانت القضايا التي يطرحها تتناول هموم الأمة والصحوة الإسلامية المعاصرة، وكان عندما يعطينا نماذج في الإلقاء كان يجعلنا نبكي من التأثر لأنه كان يبكي قبلنا.

ويحكي دكتور طاش عن أساتذة آخرين تأثّر بهم منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم الفوزان، وهو يمثل التيار التجديدي في الأدب الحديث فيقول: وكان يدرّسنا مادة الأدب الحديث والتيار التجديدي في نجد والحجاز والمنطقة الشرقية وغيرها من مناطق المملكة، إلى جانب روّاد التجديد في مصر والشام، كالعقاد والمازني، وكذلك الشعراء أحمد شوقي، وإبراهيم ناجي وغيرهما إضافة إلى التيار الصحوي الذي كان يمثله الإخوان كالأستاذ حسين القاسم - رحمه الله - وهو من أساتذتنا الذين لهم دور وتأثير كبير في مسيرتنا الفكرية والثقافية، وهؤلاء هم أهم الأساتذة. وكذلك الأستاذ الدكتور صالح العليان، وكان يدرّسنا مادة النحو، لكنه أيضًا كان يمثل التيار التجديدي الحركي، وكانت له توجهات تجديدية في الفكر الإسلامي، ولا يكتفي بتضمينها في نشاطه المدرسي فقط. وإنما في علاقته مع الطلاب وهذا ملمح افتقدناه في مدارسنا فيما بعد، لأن علاقة المعلم بالطالب أصبحت مقتصرة على المدرسة فقط. وفي الإطار الأكاديمي فقط، بينما كنا نحن نختلف.

علاقات الطلاب بمعلميهم

ويقول دكتور طاش: كانت علاقة الأستاذ بالطلاب مميزة. ولا أبالغ إذا قلت لك إننا كنا نقضي الفسح مع الأساتذة ولا نقضيها في اللهو واللعب. كنا نجتمع بهم وكانوا يعطوننا الوقت الكافي، وكنا نتحاور معهم في مكاتبهم. وكان الأستاذ صالح العليان مدير المعهد يستقبلنا في الإدارة، ويحثنا على القراءة. وعندما يسلّم على الطالب منا لا يسأله عن حاله، بل كان يقول له: (كيف قراءتك؟ وماذا قرأت بالأمس؟) الأمر الذي نمّى هذه العادة في نفوسنا.

ويضيف دكتور طاش: من بين أساتذتنا كذلك الأستاذ عبدالله العليان، وهو من الذين لهم فضل في تعويدنا على القراءة والخطابة والاهتمام بقضايا إخواننا المسلمين، وانفتاحنا على هذه القضايا. وقد كان - وهو المدير - يدعونا في منزله، وكنا نذهب إليه، وكانت الجلسة تخصص لمناقشة كتاب قرأه أحدنا؛ فيلخص الكتاب ثم يدور

النقاش والحوار حول الكتاب، ونحن بالمناسبة لم نكن طلاباً مرفهين، لم تكن لدينا سيارات، بل حصلنا بالكاد على الدراجات في السنة الثالثة أو الرابعة، وكنا نذهب بأرجلنا مسافات طويلة من الشهداء الجنوبية إلى شبرا، حيث معهد الطائف العلمي. كنا نخرج من المدرسة متعبين، ورغم ذلك لا نذهب إلى بيوتنا مباشرة، بل نذهب إلى المكتبة السلفية عند تقاطع شارع شبرا مع شارع خالد بن الوليد. كان قدوتنا في ذلك هم أساتذتنا وهم قافلون يمرون على المكتبة ليروا ما هو الجديد.

الشغف الأول مع الكتاب

ويحكي دكتور طاش قائلاً: كان هناك أخ يمني عزيز اسمه الديلمي هو صاحب المكتبة، وكان يسمح لنا بأن نفعل ما نشاء في المكتبة، وكان يعطينا تخفيضات في الأسعار. هذا المناخ هو الذي شجّعنا على القراءة، وعلى التزود من هذا المنهل العذب.. وبذلك تكونت الثروة العلمية والثقافية في تلك الفترة. بالإضافة إلى ذلك فإن أول مجموعة من الكتب الجادة التي دخلت مكتبتي بعد كتب القصص والروايات كانت من اثنين من الأساتذة وهما: الأساتذة محمد أبو الفتح البيانوني، والأستاذ حسين القاسم. عندما كنا طلابًا في المعهد كانت لدينا مكافأة شهرية عبارة عن ٢١٠ ريالات لكل طالب، فكان الأساتذة يعرضون علينا أن تُخصص العشرة ريالات لشراء الكتب، ويأخذون العشرة ريالات ويشترون لنا الكتب، حتى أن الأساتذة محمد أبو الفتح البيانوني والأستاذ حسين القاسم كانا يذهبان إلى جدة، وإلى أشهر المكتبات - آنذاك - مثل الدار السعودية التي كان يمتلكها الأستاذ محمد صلاح الدين، ويشترون لنا الكتب منها، كانت تلك أول الكتب التي دخلت إلى مكتبتي، ولا زلت أذكر أسماء تلك الكتب، وأحتفظ بها حتى الآن، وهي كتاب (الأذكار) للنووي، وكتاب (الأربعون النووية والأحاديث القدسية)، وكتاب للإمام ابن الجوزي هو (صيد الخاطر)، وكتابان للأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله - أحدهما اسمه (قصص من التاريخ)، والثاني اسمه (كتابات إسلامية)، هذه أول الكتب الجادة التي دخلت إلى مكتبتي.

الاقتراب من فكر سيد قطب

ويستمر دكتور طاش في التعريف بالشخصيات التي كان لها أثر في شخصيته خلال هذه المرحلة فيقول: إن المعهد كان حافلاً بالنشاط. ومن بين المحاضرين - آنذاك - الأستاذ الدكتور محمد أمين المصري، ذلك العالم الفذ الذي كنا نذهب إلى منزله بعد صلاة الفجر، وكان يقرأ علينا كتاب (في ظلال القرآن)، وكان يركز على سورة التوبة، ومعاني الجهاد، واستنهاض الهمة، وإعلاء القيم، واهتمامات الشباب في تلك الفترة من التوافه والأشياء الشخصية إلى ما هو أهمّ وأرقى، كنا نذهب يومياً إلى درسه بعد صلاة الفجر، حيث كنا نذهب أنا والأستاذ خيرالله إلى مسجد العباس نصلي الفجر هناك؛ لأن بيته بجوار المسجد، ونذهب إليه مع مجموعة من الشباب فيقرأ علينا، ويفسر لنا القرآن الكريم مستعيناً بتفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب - رحمه الله.

ويقول دكتور طاش: من هنا بدأ اهتمامي وإعجابي بسيد قطب الذي قرأت كل كتبه، وكان من أحد المفكرين الكبار الذين ألهموني في تلك الفترة.

ويستمر دكتور طاش في الحديث عن أساتذته الذين تأثر بهم، فيذكر منهم الأستاذ محمد إبراهيم المصري، والدكتور محمود إبراهيم الصواف الذي أتى إلى المعهد وألقى عدة محاضرات، وكذلك المرحوم الشيخ عبدالرحمن الدوسري الذي ألقى محاضرات عدة أثارت إعجاب الشباب به وبأسلوبه الذي كان يفضح فيه الماسونية والتيارات الهدامة الأخرى، وكان من أشد أعداء الماسونية والناصرية.

وكان الشيخ الدوسري - كما يذكر دكتور طاش - خطيبًا مفوهًا، وكان يأسر الألباب بطريقة خطابته، لكنه كان مهتماً بقضايا معينة. كانت قضيته الأساسية هي الماسونية، وربما كان من أوائل المشايخ والمفكرين السعوديين الذين اهتموا بهذه القضية، وفضحوا

الماسونية، وعرّفوا الشباب على هذه الحركة. كما كان له اهتمام بالناصرية والفكر الناصري الذي كان - كثيرًا ما - يفضح الفكر الناصري ويذمه، ويهاجمه، لكنه كان يمثل مدرسة خطابية عاطفية جياشة أكثر منها مدرسة علمية موضوعية، حيث حصر نفسه في قضايا معينة.

وكذلك الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - ألقى عندنا محاضرة في المعهد، وكان الإقبال بحمد الله كبيرًا من الطلاب بالمعهد.

ويستدرك دكتور طاش - وهو يستعرض العلماء والشخصيات التي أثّرت فيه - الحديث عن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، حيث ألقى رحمه الله عام ١٣٨٨هـ محاضرة في المعهد بعنوان (الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى).

خالص جلبي كان حاضرا

ثم يلفت دكتور طاش الانتباه إلى كتاب صغير الحجم، ولكنه بالغ الأهمية للأستاذ خالص جلبي اسمه (النقد الذاتي للحركة الإسلامية) فيقول عنه: هذا الكتاب كان له فضل كبير في تفتق جانب الحس النقدي للفكر الإسلامي؛ لأنه كان ينحو هذا المنحى في التنبيه لما سمّاه بالنقد الذاتي، وكان أمراً جديداً في أدبيات الحركة الإسلامية والفكر الإسلامي، ولذلك له فضل كبير في هذا الجانب. وبعد ذلك بدأتُ أهتمُّ بالكتابة النقدية التي كتبها عبدالله أبو عزة في جريدة (الشهاب) اللبنانية من خلال سلسلة نقدية تناول فيها فكر الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - وخاصة في كتابه (معالم في الطريق)، والآراء التي يمكن أن تكون أقرب إلى تكفير المجتمع، والقضايا التي سمّيت فيما بعد بقضايا الحاكمية، والتغيير الاجتماعي، وتغيير المنكر، وبناء الدولة الإسلامية وغيرها من الأفكار التي تحدّث عنها سيد قطب في كتابه (معالم في الطريق).

ولم تكن هذه الاختلافات لتؤثر على إعجاب طاش بسيد قطب، إلّا أنه يستدرك قائلاً: كنت معجباً بسيد قطب، وقرأت كل كتبه. وكنتُ من الذين تأثّروا بهذه الأفكار تأثرًا كبيرًا، ولكن هاتين المحطتين: محطة عبدالله أبو عزة، ومحطة خالص جلبي في الشهاب كانتا مفتاحًا لتعديل الوضع، وإعادة النظر في هذه الأفكار التي طرحها سيد قطب مثل الأفكار الثورية، والتي بها شيء من التطرف في مقولاته.

ولم يكن كثير ممن تأثر بهم دكتور طاش تربطه بهم علاقات مباشرة، وربما لم يلتقِ بهم من قبل! فقد عرف كثيرًا منهم من خلال كتاباتهم، بينما لم يتسنَّ له التعرّف عليهم وجهًا لوجه.. ومنهم عبدالله أبو عزة، ويرجع دكتور طاش هذا الأمر لبُعد مدينة الطائف عن عواصم الصحافة. ويقول: كانت علاقتي بالصحافة علاقة مراسلة وحتى الهاتف لم يكن متاحًا بهذه الصورة؛ لذلك لم تُتح لي فرصة التعرف على كثيرين ممن كنت أتعامل معهم صحفيًّا، وحتى الأستاذ سباعي عثمان ـ رحمه الله ـ والذي يعتبر أحد الذين شجّعوني على الكتابة، وأفسحوا لي المجال لم ألتقِ به إلّا بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية، أي بعد الجامعة. حيث كنت في إجازة، وكان قد انتقل من جريدة (المدينة) إلى جريدة (عكاظ)، وكان يحرر الصفحات الثقافية في جريدة (عكاظ)، وكان هناك ملحق في (عكاظ) وبدأتُ أكتب فيه، وكنتُ أكتبُ في هوامش صحفية في (عكاظ)، وبرغم أن تعاملي معه كان منذ أن كنت في المرحلة المتوسطة فلم ألتقِ به إلّا مؤخرًا، وأنا بطبعي كنت شابًّا خجولاً ومنطويًا في معظم الأحيان، وكنت أعتمد على المراسلة الكتابية فقط.

الإخوان المسلمون في رؤية دكتور طاش

حفلت الفترة التي عاش فيها دكتور طاش في المعهد بنوع من التعاطف مع تيار الإخوان المسلمين، وربما كان لهذا التعاطف امتداداته على مستوى الشعب السعودي، وعلى مستوى الدولة نفسها، حيث تزامن ذلك مع فترة الصراع بين الناصرية والمملكة

وقيادتها ممثلة في الملك فيصل ـ رحمه الله .. ثم جاءت أحداث ٦٧ والنكسة الكبيرة للفكر الناصري، خاصة عندما اكتشف الناس الكذبة الكبيرة.

وكان دكتور طاش في هذه الأثناء متفاعلاً مع الأحداث من خلال الاستماع إلى الإذاعات فيقول: كنت من الذين يستمعون إلى صوت العرب قبل الحرب وأثناء الحرب.. وأذكر أنه كان لدينا دكان في نفس بيتنا، وكنت في أوقات فراغي أبيع في ذلك الدكان، وكنت أستمع إلى الراديو، وكنت من المداومين على الاستماع إلى الإذاعات وخاصة صوت العرب. وكان لدي دفتر أسجّل فيه هذه الانتصارات الوهمية، عدد الطائرات التي أسقطها صوت أحمد سعيد في إذاعة صوت العرب!! وكنتُ أنقل هذه الأخبار للأطفال والشباب الذين كانوا يأتون ليستقوا مني الأخبار. ثم اكتشفنا في اليوم السابع الكذبة الكبيرة، وأن طائراتنا هي التي أُسقطت ودُمرت وهي على الأرض ولم تطر أصلاً! وكانت الصدمة العنيفة التي جعلتنا نكفر بالناصرية وعبد الناصر. من هنا تابعنا الصراع. ولا شك أننا كنا ضده بعد ما حدث إلى جانب الامتهان الذي مني به الإخوان بعد ذلك، والتعاطف السعودي كان مع الإخوان، وكان ذلك عام ١٩٦٩م لدرجة أن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ توسط لدى عبدالناصر لإطلاق سراح سيد قطب، ولكن عبدالناصر رفض الوساطة وأعدم سيد قطب. وبعد ذلك استقبلت المملكة الكثير من الإخوان الذين لجأوا إلى المملكة هربًا من الاضطهاد الناصري.

التيار الإخواني في المملكة

ويحكي دكتور طاش عن مشاهداته لطبيعة العلاقة بين المملكة والإخوان، مؤكدًا أنه كان هناك تيار إخواني بين السعوديين أنفسهم. ولم يكن مستترًا أو خفيًّا. وكانت وسائل الإعلام مفتوحة للإخوان بشكل كبير ولرموزهم وللمتعاطفين معهم، وكانت الدولة متعاطفة أيضًا.

وعن أسباب التعاطف يؤكد دكتور طاش أنه يرجع بنسبة كبيرة إلى الجانب الديني الذي كان له تأثير واضح من خلال المشايخ والعلماء، كما أن صراع المملكة السياسي مع عبدالناصر كان له دور مؤثر على تأكيد تعاطف السعودية، وبالتالي فقد كان هناك تعاطف. ومن ثم كان هناك تعاطف شعبي واجتماعي يجسّد هذه الإرادة الدينية والسياسية معًا.

ويؤكد دكتور طاش أن حرب اليمن كانت أيضًا من الروافد التي دعمت التعاطف السعودي الشعبي والرسمي مع الإخوان، بينما انحازت نسبة محدودة من النخب التي كان لها توجّه ليبرالي لعبد الناصر؛ باعتبار أن عبدالناصر جاء ليحرر اليمن وربما تمهيداً للسعودية أيضًا.

ويحكي دكتور طاش عن ذكرياته عن الحرب اليمنية فيقول: كنا نستقي أخبار الحرب من الإذاعات - سواء من إذاعة اليمن، أو صوت العرب، أو الإذاعة السعودية. ولا شك أن العامل الديني كان له دور رئيس في التعاطف مع الجانب الملكي والإمامية في اليمن، لذا كان هناك انحياز لهذا الجانب - من وجهة نظر التيار الديني بشكل رئيس، وكان التعاطف مع الموقف السعودي والموقف الإمامي أكثر.

ويقول دكتور طاش: كانت الحارة التي نسكن فيها بها جالية يمنية كبيرة، وكنا نعيش أجواء الحرب في اليمن مع هذه الجالية التي كانت متعاطفة مع الإمامية، وكانت هناك قلة منحازة لجانب عبدالناصر، لكنها كانت قليلة جدًا ولم تكن تجاهر برأيها علنًا، إنما في بعض المجالس الخاصة.

النكسة وخطأ تاريخي للتيار الإسلامي

كانت النكسة صدمة عنيفة. فقد كان لها أثر واضح في تعميق الرفض الشعبي والرسمي للناصرية، ويرى دكتور طاش أن تعامل التيار الديني بصفة عامة مع موضوع النكسة كان له ملمح سلبي، وهو أن النخبة المنتمية للتيار الديني قابلت هذه الصدمة العنيفة وهذه النكسة المريعة بالتشفّي والاستغلال لنقد التيارات الناصرية والليبرالية المعادية للتيار الإسلامي أكثر من التعامل معها كنكسة للأمة، تحتاج من الجميع إلى مراجعة من جديد، ووقفة مع النفس لإعادة البناء من جديد، وهذا ربما يكون هو سبب الفجوة الكبيرة - وفقًا لرأي دكتور طاش - التي أصبحت بعد ذلك تباعدًا كبيرًا بين التيارات الإسلامية والتيارات الليبرالية واليسارية بكل توجهاتها! وبذلك خسرنا فرصة ذهبية، وكان يمكن أن نعتبر هذه المرحلة عامل تقارب بدلاً عن أن تكون عامل تباعد فيما بيننا.

ويرصد دكتور طاش خلال هذه المرحلة التواصل الثقافي بين الدول العربية، خاصة

فيما يتعلق بالحديث عن تداعيات النكسة، فيقول: كنا منفتحين على مستوى الأمة، وثقافتنا لم تكن مغلقة؛ ولذلك فإن الكتب التي كانت تتحدث عن النكسة كانت تأتينا فوراً من القاهرة وبيروت وبغداد ودمشق. وكنت تجدها فورًا في مكتباتنا. وكنا نتفاعل معها ومع مؤلفيها وأطروحاتها، لذلك فإن الفكر المحلي كان متفاعلاً مع الفكر العربي وفكر الأمة. وتجسيدًا لهذا التفاعل كان هناك نوع من التناغم. لذلك خسرنا وكان بإمكاننا تجنب الكثير من الخسائر التي تلت والتي بدأنا نعيد النظر فيها. وأقول تعالوا الآن إلى لحظة الحقيقة وساعة المراجعة.

ويرصد دكتور طاش عددًا من الأصوات المحلية التي كان لها إسهاماتها في التفاعل مع الأحداث التي مرت بالأمة منها الأستاذ أحمد جمال، والأستاذ صالح جمال، وكذلك الأستاذ محمد أحمد با شميل. رحمهم الله جميعًا. والأخير كان من أقوى الأصوات التي كانت تمثل الصوت المحلي في الفكر الإسلامي المناهض للفكر الناصري والتيارات الليبرالية بشكل رئيس.

مجددًا مع الصحافة

بدأت اهتمامات دكتور طاش بالصحافة منذ وقت مبكر، ومن بدايات المرحلة المتوسطة فيقول: كنت أبحث عن الصحف، وأذهب إليها في مكتبة (الثقافة) التي كانت هي الموزِّع الرئيس للصحف، فلم أكن أنتظر حتى تأتي الصحف إلى مكتبات حي (الشهداء) فكنت أذهب من الصباح الباكر إلى مكتبة (الثقافة) حتى أشتري الصحف، وأحيانًا أكون أول من يشتريها، حتى أنني كنت ألحُّ على صاحب المكتبة حتى يقوم بفك رُبطها ويبيعني. كانت (الندوة) في ذلك الوقت أكثر شهرة، وكذلك جريدة (المدينة). هاتان الصحيفتان كانتا في القمة، ثم بعد ذلك تأتي (عكاظ) و(البلاد) وبقية الصحف.

أما صحف المنطقة الوسطى فيقول دكتور طاش: إنها لم تكن من ضمن اهتماماتنا الكبيرة، ربما لأنها تصل متأخرة، بينما كانت هناك أيضًا مجلات مثل (المنهل) والتي كانت هي المجلة الأولى والتي كنا نقرأها ونذهب للبحث عنها، ثم الصحف الخارجية. ومن الصحف التي كنت أهتم بها صحيفة لبنانية أسبوعية توقفت حالياً وهي جريدة (الشهاب) وكانت جريدة إخوانية الاتجاه. وكانت تصدرها الجماعة الإسلامية بلبنان، ورئيسها الأستاذ الدكتور فتحي يكن، ورئيس تحريرها الأستاذ إبراهيم المصري، وهو أخ وزميل عزيز، وهي من أوليات الصحف التي فتحت صدرها لكتاباتي. وكتبتُ فيها أوائل مقالاتي. وكان أول مقالاتي - وأنا طالب - قد نُشر في صحيفة (الندوة) في عام ١٣٨٧هـ في صفحة الطلاب، بعنوان (خواطر طالب). تصوّر طالباً في أول المرحلة المتوسطة يكتب مقالاً في عامود في جريدة (الندوة) بعنوان (خواطر طالب) بقلم: عبد القادر طاش التركستاني! وعلى ما أظن كان الأستاذ نعمان طاشكندي رئيس التحرير. وقد احتفى الأستاذ نعمان بالمقالة ونشرها.

ويستعرض دكتور طاش ذكرياته مع بداياته الصحفية فيقول: كتبت بعد ذلك في (المدينة)، وكان يشرف على الصفحات الأدبية فيها وعلى ملحقها الذي كان بعنوان (الفكر والأدب) الأستاذ سباعي عثمان، وله فضل كبير في إبراز الكثير من الشباب. وقد أرسلت له مجموعة من المختارات، وكنت أحبها، وكان لي دفتر كبير أسجل فيه مختارات من الكتب، عبارات جميلة، حكم وأمثال، طرائف وأمثال من هذا القبيل. كتبت ثلاث أو أربع حلقات تحت عنوان (طرائف في الفكر والأدب)، وأرسلتها للأستاذ سباعي عثمان، وقام بنشرها ومعها صورتي مسلسلة أسبوعياً، وكان ذلك في عام ١٣٨٩هـ. وكتبت عدة أعمدة سمّيتها (سوابح الفكر) ونشرها لي وكان ذلك دافعاً قوياً وأصبحت كاتباً.

وقد بات في صحيفة (عكاظ) التي كان يرأس تحريرها - آنذاك - الأستاذ أحمد

عبدالغفور عطار، إلاَّ أن معظم كتاباته كانت في جريدة (المدينة). والتي كان يدين لها بالفضل في إتاحة الفرصة له في ممارسة الكتابة.

في جريدة (الشهاب) بدأت أكتب ملخصات للكتب التي أطالعها مثل كتب سيد قطب، والمودودي، وأبو الحسن الندوي، والقرضاوي وقد قادني هذا لقراءة جميع كتبهم، وكما ذكرت لك فإن تأثري بسيد قطب ـ رحمه الله ـ في بداية الأمر إلا أن لجريدة (الشهاب) فضلاً كبيرًا في فتح نافذة نقدية لفكر سيد قطب.

الرؤية الناقدة للصحوة

ويحكي دكتور طاش قصة انتقاله إلى الرؤية النقدية التصحيحية للصحوة والتي بدأت مع قراءته للسلسلة التي كتبها عبدالله أبو عزة في نقد فكر سيد قطب، ونقد فكرة الحاكمية، وركّز كثيرًا على كتاب (معالم في الطريق)، وفنّد الكثير مما ورد فيه، ثم بدأ في بعض الأفكار التي وردت في كتاب (في ظلال القرآن)، مضيفًا: فتح ذلك قلبي وعيني على القراءة النقدية للفكر بشكل عام، وعلى فكر سيد قطب بشكل خاص. ومن ثم بدأ اهتمامي يتغير من الإعجاب الكامل بأطروحات سيد قطب كمنهج متكامل، وصرت أقرأ قراءة نقدية لبعض هذه الأفكار، ومن ثم عندما كنت في الولايات المتحدة الأمريكية كتبت سلسلة من المقالات في مجلة (الأمل) الطلابية في نقد فكر الصحوة، مستندًا على الأفكار والطروحات التي طرحها سيد قطب، حتى أن بعض الإخوان الذين استلموا المجلة بعدي منعوا نشر بعض هذه السلسلة؛ لأنهم لم يكونوا يريدون النقد الذاتي لفكر الصحوة.

لقد بدأت اهتمامات دكتور طاش بنقد فكر الصحوة الإسلامية بشكل عام، وفكر سيد قطب بشكل خاص بصورة مبكرة، ثم تعمّق هذا الأمر في صحيفة (المسلمون) والتي ظهر فيها الكثير من هذا النقد الذاتي لفكر الصحوة.

ويستمر دكتور طاش في الحديث عن علاقته بالعمل الصحفي في بواكير حياته، فيؤكد أنه كان لديه اهتمام واضح بالقراءة التي وصلت ربما إلى مرحلة الهوس التي استمرت معه طوال حياته، حتى وصلت لدرجة أنه كان يقرأ فيما بعد ما لا يقل عن ثماني صحف يوميًّا!! ويقول: في أواخر المرحلة المتوسطة بدأت لدي هواية الكتابة، ثم نضجت في أواخر الثانوية.

حديث عن قصة القفص الذهبي

تزوّج دكتور طاش وهو في السنة الخامسة بالمعهد، وقد كان الزواج المبكر من الأمور الشائعة، ويحكي دكتور طاش عن ذكرياته الأولى مع الزواج المبكر فيقول: كانت لي ظروفي الخاصة التي شجّعت هذا الزواج المبكر، فزوجتي هي ابنة عمتي، وكانت تعيش في المدينة المنورة، وهي يتيمة، وكان الوالد يعتني بأخته، وكان يأتي بها مع أخواتها البنات من المدينة المنورة في فترة الصيف.. فيما نذهب نحن إليهم في إجازة رمضان وعيد الفطر المبارك.

لذا فقد كانت زوجتي - كما يحكي دكتور طاش - فردًا من العائلة. فقد أحبَّتها والدتي، وتمنّت أن تكون زوجة لي. وكنت في تلك الفترة شاباً ناضجاً، وكانت الظروف كلها مهيأة، فعرضت والدتي أن يتم زواجنا.. ولا أذكر أنهم استشاروني، وإنما رأوا أن هناك وداً بيني وبين ابنة عمتي، لذلك جاء أهلي إلى أهلها، وقرروا الذهاب إلى المحكمة لعقد قراني عليها! وأخبروني في نفس اليوم فذهبنا وتم ما أرادوا.

ويقول دكتور طاش: كنت ميالاً لزوجتي، حيث كنا نعيش في بيت واحد. وكانت هناك علاقة ود ومحبة فيما بيننا، وأنا أحمد الله - سبحانه وتعالى - لأن هذا الزواج كان فاتحة خير كبير لي، وقد كافحت معي زوجتي كثيرًا.. فتعايشنا معًا، وكان هناك توافق بيننا في كل شيء. وأحمد الله كثيرًا على ذلك الزواج المبكر.

ويحكي دكتور طاش: زوجتي توقفت عن الدراسة للتفرغ لي ولبيتها وأولادها؛ مما كان له أثر كبير ـ والحمد لله رب العالمين ـ في حياة أبنائي وبخاصة عندما ذهبنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كما سيأتي لاحقاً.

صفحة دراسية جديدة مع كلية الشريعة

تخرج دكتور طاش في المرحلة الخامسة، ونجح بامتياز، وكان من أوائل الطلاب، وانخرط في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في صيف عام ١٣٩٠هـ.

يقول دكتور طاش: لم يكن أمامنا غير جامعة الإمام؛ لأن خريجي المعاهد العلمية كان لا بد أن يلتحقوا بها، وعندما جاءتنا استمارات القبول في الجامعة كانت الخيارات المتاحة في ذلك الوقت كليتي اللغة العربية والشريعة. وقد اخترت الشريعة كاختيار أول، وكلية اللغة العربية اختيار ثانٍ. وكانت الرغبة في كلية الشريعة نتيجة لرغبة الوالد في أن اتجه إلى العلوم الشرعية، ولم تكن هذه الرغبة متعارضة مع ما كنت أحبه. والخيارات أصلاً لم تكن كثيرة، وحتى كلية اللغة العربية كانت تركِّز على التوازن مع العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، وذهبت مع مجموعة من الزملاء إلى الرياض لاستكمال إجراءات تسجيلنا في الجامعة.

ويذكر دكتور طاش أنه انقطع في هذه الرحلة عن زميله الأستاذ خيرالله الذي لم يكمل دراسته بسبب مرضه. ولكنه التقى بالأستاذ عبدالرحمن الزامل، فضلاً عن الدكتور أحمد بن سيف الدين التركستاني ـ والذي جاء من مدينة أبها ـ فربطتهم زمالة وصداقة في ذلك العهد الجديد.

جاءت بعد ذلك مرحلة التعرّف على الواقع الجديد واستكشافه. فيقول دكتور طاش: تجوّلنا في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية، والتقينا ببعض الأساتذة والطلاب إلاّ أنني

لم أسترح كثيرًا للمناخ الذي كان موجوداً في كلية الشريعة، بالإضافة إلى أن معظم زملائي سجلوا في كلية اللغة العربية، فقد كان الجو يميل إلى شيء من الصرامة. وقليل من الإخوة الذين يأتون من المناطق الأخرى يسجلون في كلية الشريعة، ويسجّلون بدلاً عن ذلك في كلية اللغة العربية.. فوجدت أنني أودُّ أن أكون مع أكثر زملائي في كلية اللغة العربية.

ويحكي دكتور طاش عن الأسباب التي دفعته حينها للانتقال من كلية الشريعة إلى كلية اللغة العربية، أنها كانت في غالبها مجاراة للزملاء، وربما الحب في اللغة العربية. وكانت مواهبه قد بدأت تتفتق في أواخر المرحلة الثانوية في الكتابات الصحفية والأدب والثقافة بشكل أوسع من العلوم الشرعية.

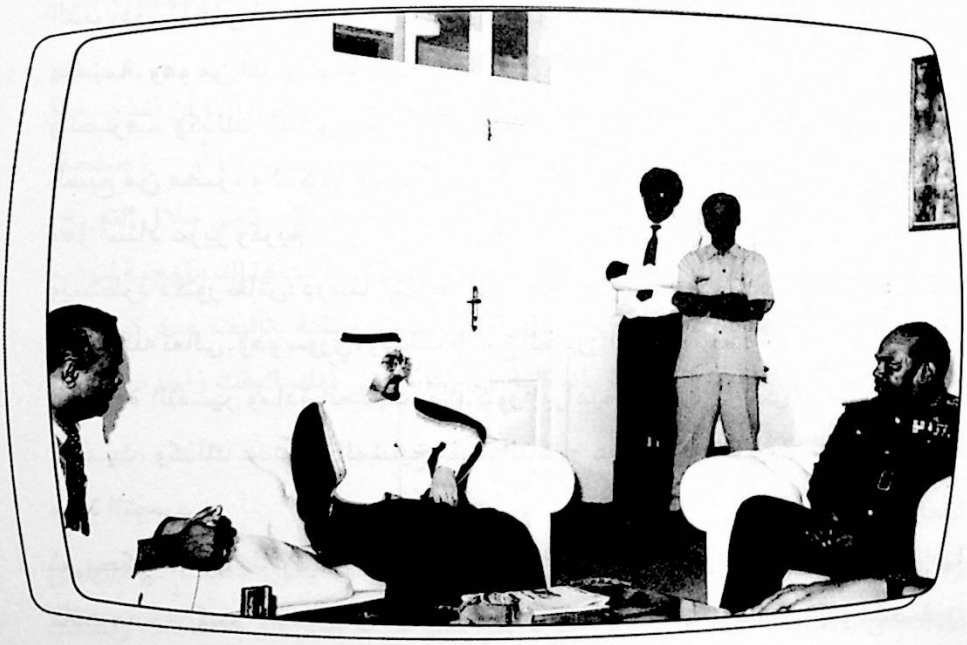

ويقول: سمعت أن كلية اللغة العربية بها نشاط ثقافي وأدبي، وبها أساتذة من كبار المشهورين في الثقافة والأدب العربي، وربما يكون ذلك هو ما جذبني إلى كلية اللغة العربية؛ لذلك انتقلت إليها، وبدأت الدراسة بها.. وكانت فتحًا كبيرًا لي، وكان عميد الكلية في ذلك الوقت معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وكان رجلاً مهتماً بالكلية، وهو من أرسى دعائمها وأقامها على أسس سليمة. وكان يشجّع الطلاب وينتقيهم، ويعمل على توفير المناخ الثقافي والفكري لهم. وكان يهتم بالنشاط جدًا. وجدنا الجو في الكلية مكملاً للجو الذي كان موجوداً بالمعهد.

أساتذة كلية الشريعة إذاك

ويحكي دكتور طاش عن أساتذته في الكلية فيقول: كان أساتذتنا من الفطاحلة الذين درسنا على أيديهم، من بينهم بروفيسور قدير هو الأستاذ الدكتور عبدالخالق عضيمة، وهو من أفذاذ علماء اللغة العربية - وهو من مصر - وقد درّس لنا مادة النحو والصرف، وكذلك الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - والأستاذ توفيق السبع من مصر، والدكتور محمد رجب البيومي، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح، وهو أستاذ عزيز وكريم.

ويستطرد دكتور طاش: درسنا الثقافة الإسلامية على يد الدكتور عمر عودة الخطيب - رحمه الله تعالى - وهو سوري، وكذلك الشيخ الجليل الدكتور محمد الراوي، الذي درّس لنا مادة التفسير ومادة الحديث. والدكتور إبراهيم الفوزان، الذي درّس لنا الأدب الحديث، وكذلك عدد من المشايخ منهم الدكتور عبدالعزيز الربيعة، الذي درّس لنا مادة التوحيد.

ثم يحكي دكتور طاش عن الأنشطة الموازية للمناهج الدراسية والتي يقول: إنها كانت مدخلاً كبيراً لصقل مواهب الطلاب، وتنمية إمكاناتهم، فيقول: كنا ملتصقين

بأساتذتنا الذين لم يكونوا مقصرين عملهم على تدريس المناهج داخل الكلية، بل كنا نقدم البحوث والدراسات وكنا نجري بحوثًا ودراسات.. وأذكر مثلاً الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، حيث قدمت له ثلاثة أو أربعة بحوث نُشرت في مجلة المنهل، وكانت أول مرة ينشر فيها طالب في كلية، وينشر مقالات بحثية رصينة في مجلة عريقة كمجلة المنهل، ويحتفي بها رئيس تحريرها ومنشئها الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري، وكانت مقالاتي عن أبي العلاء المعرّي وبحثاً عن الجاحظ، وعن المتنبي، وعن بعض شعراء الجاهلية. وكانت من أفضل ما كتبت! وكان ذلك من ضمن مادة من مواد الدكتور عبدالقدوس أبو صالح.

ويذكر دكتور طاش أنه تأثّر خلال هذه المرحلة بعدد من الأنشطة والفعاليات التي كانت منتشرة آنذاك.. منها الندوات والمحاضرات التي كان يلقيها الأساتذة والمشايخ مثل: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين وغيرهما من المشايخ.

ويقول: كان في آخر السنة يطلب منا الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا أن نقدم بحثاً كبيراً أشبه بما يعرف بمشروع التخرج، وأذكر أن بحثي كان حوالى ٤٠٠ أو ٥٠٠ صفحة! وكان يستهدف منها الدكتور الباشا أن يوثّق لنصوص الشعر الإسلامي خلال التاريخ، بدءاً من العصر الإسلامي الأول إلى العصر الحديث. فقد كانت هناك منهجية لتوزيع هذه المشاريع البحثية، وقمنا نحن طلاب الدفعات المختلفة بتأليف عدد كبير من هذه الكتب التي كنا نستفيد فيها بالمكتبة التي كانت في ذلك الوقت زاخرة، وكانت من الروافد المهمة.

العائلة يلتم شملها

ويستمر دكتور طاش في استعراض ذكرياته عن تلك المرحلة فيقول: ذهبت إلى الرياض للالتحاق بالجامعة، وقد تركت زوجتي وابني لدى الوالد والوالدة بالطائف، وسكنتُ

مع مجموعة من الزملاء في شقة في حي المرقب بالقرب من البطحاء بالرياض، وأمضينا عدة أشهر في ذلك المكان، ثم انتقلت مع زملاء آخرين إلى شقة أخرى في شارع الوزير، ولم نصادف أي مشكلة. وكانت بالقرب من الكلية، وكان معظم العوائل التي تسكن في العمارة من الأجانب، إلاّ أنني لم أكمل السنة الأولى كاملة في الرياض؛ نظرًا لاشتياقي لزوجتي وابني، فقررتُ أن أتحوّل من الدراسة المنتظمة إلى الانتساب لألتحق بأهلي في الطائف، وأرجع إلى الرياض أثناء الامتحانات فقط. ونجحت - بحمد الله - وانتقلت إلى السنة الثانية وكان نجاحاً مقبولاً! ولم أكن من المتفوقين.. إلاّ أنني في السنة الثانية أتيت بزوجتي وولدي وسكنتُ في الرياض، واستأجرتُ شقة في شارع الوزير بالقرب من الكلية، وسكنتُ فيه بقية سنوات الدراسة في الجامعة ومعي أسرتي.

مقررات الجامعة وطرائق التدريس

ويحكي دكتور طاش رؤيته للمناهج التعليمية فيقول: كانت المقررات قوية تشمل كل علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة. ويكاد يكون هناك نوع من التوازن بين عدد المواد والحصص في هذه العلوم كلها. وكانت برغم إثقالها على كاهلنا إلاّ أن الهمّة كانت عالية، وكانت الأجواء ثقافية وعلمية، وكان الكل يحب صرف وقته في طلب الثقافة والعلم. لذلك كنا نتنافس. وأذكر أنها كانت منافسة شديدة على التفوق. وكان أساتذتنا يشجّعوننا على ذلك. فقد كنا نحفظ المقررات! ولكن في المقابل كان هناك مواد تساعد على توسيع مدارك الطالب من خلال البحث والتنقيب والحوار أكثر من الحفظ والاعتماد على النص.

ويستطرد دكتور طاش: كانت طريقة التدريس ومنهجيته مختلفتين، ومن ثم تفتقت الكثير من المواهب، إضافة إلى صقل ذلك بالنشاط، ولكن ما هو أهم من ذلك كله هو

علاقتنا الوثيقة بأساتذتنا خارج وقت المقررات الدراسية.. فمثلاً كنتُ أنا والدكتور عبدالرزاق الزهراني نحب الأدب والشعر؛ لذلك كانت لنا علاقة وثيقة بالدكتور محمد رجب البيومي، وكان رجلاً يسكن وحيدًا في شقة بشارع الوزير؛ لذلك كان يحب أن نأتي إليه لنسمر معه. وهو رجل موسوعة، وحافظ، وشاعر، وناقد أدبي من الطراز الأول. كنا نذهب إليه ونتسامر معه بالساعات، ونستفيد من شعره، وأدبه، ونقده، وذكرياته، وعلمه، وفنه. فقد كان من أكثر الذين أثّروا علينا في الناحية الأدبية هو والدكتور عبدالقدوس أبو صالح الذي كان رجلاً حافظاً، جهوري الصوت، ويحب أدب الفروسية والشعر العربي الأصيل، كما كنا نلتقي مع الأستاذ عمر عودة الخطيب في منزله، وهو مدرس الثقافة الإسلامية، وهو الرجل الذي دفعنا إلى الإقبال على التزود من الثقافة الإسلامية باتّساعها وشمولها وحيويتها، وكان له أسلوب فريد في توصيل المعلومة وتحبيبنا لهذه المادة.

الملك فيصل وعبدالناصر

وكانت حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م من أبرز الأحداث التي مرّ بها دكتور طاش وأثّرت فيه خلال هذه المرحلة فيقول: كنتُ معجباً بسياسة الملك فيصل - رحمه الله تعالى .. وكان الحدثان المهمان في تلك الفترة هما حركة التضامن الإسلامي التي تحمّسنا لها، ووقفنا وراء الملك فيصل في تلك الفترة، ثم جاءت حرب أكتوبر، وكانت الحدث الأهم في تلك الفترة. كانت الأجواء مشحونة، وكانت هناك فرحة كبيرة بانتصار أكتوبر، وقطع البترول عن الدول الغربية، وكان هناك حماس كبير، واندفاع شديد.

ويحكي دكتور طاش عن مشاعره خلال هذه المرحلة فيقول: بعد وفاة عبدالناصر عام ١٩٧٠، وتولي السادات مقاليد الحكم بدأ الانفراج في العلاقات السعودية المصرية، وبدأ ذلك في أواخر عهد عبدالناصر، وبدأ التنسيق بين الملك فيصل والرئيس السادات

للاستعداد لمعركة أكتوبر، وبدأت الرحلات المكوكية لمحاولة علاج مشكلة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، وكان هناك إحباط شديد بعد وفاة عبدالناصر. ووفاة الرجل الذي تسبب في تلك النكسة دون أن يحقق ما كان يصبو إليه. بعد ذلك جاء السادات ليستغل هذه الظروف ويعيد شيئًا من التوازن. وبدأت محاولة إيجاد معركة مع إسرائيل لتعديل الكفة. ويبدو أن التنسيق كان مع الملك فيصل، وتم الانتصار في معركة أكتوبر. وكان لها وقع كبير عند الناس ولا شك.

ويستمر دكتور طاش في حديثه وانطباعاته عن هذه المرحلة فيقول: كانت الأجواء حينها كلها مؤيدة. بالطبع. ومن أهم المجلات التي كانت تتناول ذلك الحدث بالتعليق والتحليل السياسي مجلة (المجتمع) من وجهة نظر إسلامية، وكان لها دور كبير في

إعطاء وجهة النظر الإسلامية، وأحياناً كان فيها شيء من عدم الثقة التامة بالنتائج التي توصلت إليها حرب أكتوبر. وأذكر في هذا الإطار أن بعض افتتاحيات المجلة في تلك الفترة كانت تقول بأنه ربما يؤدي هذا الانتصار إلى التمهيد لعقد سلام مع إسرائيل، وكان رئيس تحرير المجتمع - في ذلك الوقت - هو الأستاذ زين العابدين الركابي، وهو الذي كان يكتب تلك الافتتاحيات. وكانت له هذه الرؤية السياسية بعيدة المدى، والتي صدقت فيما بعد!! واتّضح أن أحد أهداف حرب أكتوبر هو الوصول إلى عمل نوع من التوازن بتحقيق شيء من الانتصار، يُعيد إلى العرب شيئاً من كرامتهم، ثم التمهيد لوضع بذور السلام والتطبيع بعد ذلك. كانت رؤية مجلة المجتمع وتحليلاتها السياسية من هذا المنطلق. وأذكر جيداً أن الأستاذ زين العابدين الركابي كان يقود هذا الاتجاه.

ولوج بوابة الإذاعة

كان انتقال دكتور طاش إلى الرياض يمثل مرحلة جديدة في حياته. فقد كانت الرياض على بساطتها - آنذاك - تعج بحركة سياسية وثقافية قوية. وكان ذلك في وقت الملك فيصل - رحمه الله تعالى - في السبعينيات الميلادية. ويقول: كنتُ من المعجبين بالملك فيصل وسياسته للتضامن الإسلامي. وكتبتُ مقالاً في ذلك بعنوان (الفيصل وسياسة التضامن الإسلامي)، ونشرته في مجلة (اليمامة) في ذلك الوقت. وعندما توفي - رحمه الله - واستشهد، كنتُ من الذين حزنوا على وفاته. وكتبتُ مرثية في الملك فيصل. كما كنت أقدّم برنامجاً في الإذاعة، وقرأت بعض القصائد التي كانت مرثيات في الملك فيصل، ومن ضمنها قصيدة سمو الأمير خالد الفيصل الشهيرة في رثاء والده. كنت أنا الذي قمت بإلقائها في الإذاعة في برنامج كنت أقدمه أنا والأستاذ ماجد الشبل.

وقد كانت فرصة ليطوّر دكتور طاش اهتماماته في المجال الإذاعي مع المجال الصحفي فيقول: كانت بدايتي مع الإذاعة مبكرة منذ المرحلة الثانوية بالطائف، حيث كنت أستمع إلى الإذاعات. وكان هناك برنامج قصير يقدّمه الأستاذ زهير الأيوبي قبل نشرة أخبار الساعة الثانية ظهرًا، كان عنوانه (يا أخي المسلم). وكانت مدة البرنامج خمس دقائق، وكان يقدّم فيه رسالة يكتبها أحد الكُتّاب والمفكرين والعلماء والمثقفين، وهو يقرأها بتوقيع صاحبها. كنتُ معجباً بهذا البرنامج، وكتبت رسالة وبعثت بها عبر البريد إلى الأستاذ زهير الأيوبي وكان مديرًا للإذاعة. فوجئت في يوم من الأيام بالأستاذ زهير يقرأ الرسالة بتوقيعي، وبدأ الناس يتحدّثون وفرحت بذلك كثيرًا بأن اسمي قُرن بأسماء ثلة من الأسماء والمفكرين والعلماء في برنامج إذاعي يقدّمه رجل قدير.. ورأيت الثناء من الناس الذين استمعوا للبرنامج من أساتذتي وأقاربي، وبدأت أرسل له عدة حلقات وبدأ يبثها. كانت تلك بداية علاقتي بالإذاعة. عندما ذهبت إلى الرياض كان لدي زميل في السنة الثالثة اسمه عبدالرزاق الزهراني، وكان - قبل أن يكون أستاذًا في جامعة الإمام - من هواة الإذاعة، وكان يكتب برامج ويقدمها.. فاتفقنا على أن نذهب إلى الإذاعة لمقابلة الأستاذ زهير الأيوبي في المقر القديم للإذاعة بالملز. ذهبنا والتقينا بهذا الرجل الفذ الأيوبي، الذي استقبلنا ونحن طلاب في الكلية، ورحب بنا وشجّعنا، وأتاح لنا الفرصة للتعامل مع الإذاعة في برنامج (يا أخي المسلم)! وبدأ الأستاذ عبدالرزاق يكتب في ذلك البرنامج، ثم بعد ذلك بدأت أتعاون معه في أن أقدم بعض الرسائل أيضًا في بعض البرامج. وصرت أعد بعض البرامج قبل التخرج في الكلية. وكنت في فترة الحج أعد برامج من بينها برنامج باسم (نفحات روحية) عبارة عن مناجاة روحية، ومختارات من الشعر الإلهي والدعاء مع بعض الصياغة الأدبية للبرنامج مدته عشر دقائق. وكان يقدمه الأستاذ محمد معروف الشيباني بصوته، وكان مذيعاً في الإذاعة في ذلك الوقت. وكنت أعد

البرنامج ويقدمه هو. ثمة برامج أخرى كنت أعدها مثل برامج لإذاعة القرآن الكريم ومن بينها كان برنامج (من مكتبة القرآن الكريم).. كنت أعده وأقدمه.. وقدمت حوالى أربعين حلقة، وفي كل حلقة كنت أقدم كتاباً من الكتب المتعلقة بالقرآن الكريم، وأشارك أيضًا فيما كان يسمّى في ذلك الوقت (حديث اليوم). بعد ذلك صرت مذيعاً متعاوناً وكان ذلك عام ١٣٩٣هـ، وقدّمتُ وشاركتُ في تقديم عدة برامج من بينها برنامج (الشباب). وقدمت مع الأستاذ ماجد الشبل برنامج (موضوع في ساعة)، واشتركت مع مجموعة من المذيعين الكبار في عدة برامج حتى وصلت إلى مرحلة صرت أقدم نشرة أخبار محلية. وأذكر من الأشياء الطريفة أنني في الصيف جئت لقضاء إجازتي في جدة مع الأهل، وكنت أود أن استمر في التعاون مع الإذاعة، وذكر لي بعض الإخوان أنني من الممكن أن أتعاون في إذاعة جدة نسبة لطول الإجازة، وجئت وبدأت في تقديم بعض المشاركات، وكان الوزير معالي الدكتور محمد عبده يماني مسؤولاً عن الإذاعة، وكان يعرفني.. ومن الأشياء الطريفة التي حدثت أنني فوجئت ذات يوم وأنا بالأستديو وكنتُ أقدّم فترة.. فوجئت بمعالي الدكتور محمد عبده يماني في غرفة التحكم وأنا أقدم الفترة، وجاءت بعدها نشرة الأخبار الرسمية.. فإذا بمعالي الدكتور ومعه أخت مذيعة دخلوا إلى الأستديو، وكانت أول مرة تقدم امرأة سعودية نشرة الأخبار في الإذاعة السعودية. وكنت أنا مقدم تلك الفترة.

عودة إلى الصحافة

يتكلم دكتور طاش عن الصحف التي تأثّر بها خلال هذه المرحلة بصورة كبيرة، فيذكر منها مجلة (المجتمع) التي يرى أن لها تأثيرًا فيه منذ فترة المعاهد، وكان الأساتذة يوصون بشرائها. وكانت مجلة قوية ورصينة وكنا نتابعها بشغف، وكان هذا الفكر السياسي هو الذي يعطيها هذا الزخم بين شباب يفكرون تفكيراً إسلامياً، ويحبون أن يتجهوا هذا الاتجاه، ولكن في الكلية تعزز ذلك وأصبحت المجلة تأخذ هذا

المنحى، وبدأت تدخل في صلب الفكر الإسلامي وتجديده وربطه بالحركة السياسية المعاصرة. وكان الإخوان السودانيون هم وراء تحريك هذه المجلة بشكل رئيس ووراء سياستها التحريرية! وللأستاذ زين العابدين الركابي البصمة الرئيسة في سياسة هذه المجلة.

ويقول دكتور طاش: كانت هناك أيضًا جريدة الدعوة التي كان يرأس تحريرها الأستاذ عبدالله بن إدريس، ثم الأستاذ فياض. وكانت جريدة قوية ومناهضة للسياسة الساداتية عندما بدأت سياسة التطبيع، وكان الطلاب والشباب يتابعونها بشكل كبير، وتوالى عليها عدد من رؤساء التحرير. وكانت من المعارضين الأقوياء لزيارة السادات إلى إسرائيل. وكانت لها افتتاحيات وسياسة تحريرية قوية في هذا الجانب.

ويضيف دكتور طاش: كانت هناك أيضًا مجلات وصحف كويتية أخرى مثل مجلة (البلاغ) التي كانت قوية في ذلك الوقت، كما كنا نتابع الصحف السعودية بشكل عام، ولكنها كانت عادية. من الناحية الأدبية والثقافية كانت هناك مجلة (اليمامة)، وكان لها دور كبير وفيها جهد ثقافي وأدبي كبيران.

عن النشاطات الطلابية

وعن الأنشطة المصاحبة في فترة الجامعة يقول دكتور طاش: كانت هناك رحلات كثيرة نقوم بها مثل رحلات العمرة، ورحلات الجامعات. وأذكر رحلة إلى أرامكو بالمنطقة الشرقية التي دُعينا لها، فذهبنا وقضينا هناك عدة أيام. وكانت من الرحلات الميدانية المهمة لأننا اطّلعنا - على الطبيعة - على ما تفعله أرامكو، وكذلك زرنا جامعة البترول والمعادن، إضافة إلى الرحلات الثقافية والاجتماعية داخل الرياض وخارجها. كذلك كان لنا نشاط خاص كمجموعة من الشباب، وكانت لدينا دروس أسبوعية فيما بيننا وبعض الرحلات التي نقوم بها معًا كمجموعة من الزملاء والأساتذة لدراسة بعض المواد، ونتدارس بعض الكتب، ونحضر بعض الموضوعات.

أسماء جامعية في الذاكرة

ويستعرض دكتور طاش عددًا من الأسماء والشخصيات التي أثّرت فيه خلال هذه المرحلة، ويذكر منهم معالي الأستاذ الدكتور عبدالله التركي، ويقول: صحيح أنه لم يدرّسني إلّا أن علاقتي به ظلت وثيقة من أول يوم. فقد أعجب بي وتبناني - إن صح التعبير - لذلك له فضل كبير من الناحية الإدارية والاهتمام والرعاية، حيث كان يهتم بي.. وربما أدرك موهبتي وطاقتي من البداية فرعاني وشجّعني، وفتح أمامي آفاقًا كبيرة في الكلية والنشاط والاهتمام، وهو الذي اختارني معيدًا بنفسه، وفتح أمامي المجال للبعثة وتابعني في أمريكا. وحتى عندما عدتُ كان له فضل كبير في توجيهي والاهتمام بي وتعييني رئيسًا لقسم الإعلام بالجامعة. وله فضل كبير بعد الله - سبحانه تعالى.

كذلك كل الأساتذة الذين ذكرتهم بدءًا بالأستاذ توفيق السبع، ومروراً بأساتذتي الفضلاء الذين كان لهم تأثير كبير، وقد كان رجلاً عاطفيًّا متحمسًا للإسلام، وكان يلقي عندنا المادة على شكل محاضرة مؤثرة، فأيقظ فينا الروح الإسلامية مع أنه كان يدرس مادة الأدب والنحو أحيانًا. كذلك الأستاذ محمد الراوي الذي كان تأثيره علينا من خلال تفسيره للقرآن الكريم الذي يقدّمه مختلفاً عن الصورة التقليدية، فكان يأسرنا ويقربنا إلى القرآن الكريم بصوته وطريقته التي يؤدي بها المادة، فيجعل الطلاب وكأن على رؤوسهم الطير. حتى الطلاب المشاغبون الذين لا يعجبهم العجب كانوا يحرصون على حضور حصة الشيخ محمد الراوي، ثم يجلسون وكأن على رؤوسهم الطير! رغم أنهم كانوا يشاغبون في بقية المحاضرات. كذلك الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح في الجانب الأدبي والنقد، وكان رجلاً منهجيًّا يعلّمنا كيف ندرس النصوص الأدبية، ونفحصها، ونفككها، وننقدها. وكيف نكتب نصًا أدبيًّا ممتازًا، وتعلّمنا منه النقد الأدبي، ودقة القراءة الأدبية. كذلك الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي الذي كان ناقدًا لاذعًا وساخراً. وعلّمنا أدب السخرية، ونقد الأدب بسخرية! وكانت حصيلته الأدبية والشعرية كبيرة جدًا؛ لذلك استفدنا منه في الحفظ ومتابعة المجلات الثقافية كمجلة الهلال المصرية. وكان يأتي بها وكنا نقرأها أنا والدكتور عبدالرزاق الزهراني، وكان يأتي لنا كذلك بمجلة الأديب اللبنانية، وكان يكتب فيها فاستفدنا منه، إلى جانب مسامراته الأدبية في بيته كما تقدّم. كذلك الأستاذ الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا الذي حببنا في الصحابة في برنامجه المشهور (صور من حياة الصحابة)، وكذلك في البحث العلمي والأدبي عندما بدأنا في السنة الرابعة نقدم له البحث الأدبي، فاستفدنا منه في المنهجية العلمية لإعداد البحوث الأدبية وتوثيق النصوص في المصادر الأدبية والمخطوطات، وهو الذي دلنا على الرجوع للمخطوطات، والتعرف عليها، والعيش في عالم المخطوطات فجزاهم الله خيرًا.

المفكر الجزائري مالك بن نبي

وحول منابع ثقافته يقول دكتور طاش: كنا منخرطين أكثر في الثقافة الإسلامية والجو الإسلامي بشكل عام، ويمكن القول إنه في هذه المرحلة بدأت أخرج قليلاً من إطار المنحى الثقافي العام الإسلامي، وبدأت أتعرف على كتب المفكر الجزائري مالك بن نبي، وكان ذلك منحى جديدًا بدأت أخرج به عن منحى المدرسة الثقافية الإسلامية التي ربما تطبّعت بها خلال المرحلة الثانوية وأوائل المرحلة الجامعية، لكن لا ننسى أنه كان هناك تنوع في المرحلة الجامعية في جانب الثقافة العربية الأدبية الأصيلة، إلى جانب الثقافة الإسلامية. لذلك كان هناك نوع من التوسع إلى جانب التصاقنا بالأساتذة عبدالقدوس والبيومي وغيرهم.

ويضيف دكتور طاش: لقد كانت قراءاتي في تلك المرحلة منحصرة في جانبين؛ الجانب الأول هو الثقافة الإسلامية التي تعوّدنا عليها. وكانت لدي رؤية نقدية مختلفة عما كان لدى الآخرين فيما يختص بالمدرسة الإسلامية الفكرية العامة، ثم بدأت الاهتمام بفكر مالك بن نبي، وهو فكر يختلف عن المدرسة الإخوانية والفكرية العامة. وكانت تجربة جديدة، وفكر به علاقة بالفكر الغربي، ومحاولة الاستفادة منه، وطرح بعض الطروحات الفكرية التوفيقية ما بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي، وكان ذلك من الملامح التي أعجبتني. وكان مالك بن نبي هو المدخل لاهتمامي بهذا الجانب. بدأت أقرأ ما يتعلق بنقد الفكر الغربي، ولكنّ النقد في سبيل التعرف عليه. قرأت كتاب كولن وولس عن سقوط الحضارة. وبدأت أقرأ عن الذين كتبوا في نقد الحضارة الغربية، ثم بدأت أقرأ عن الفكر الغربي نفسه. فقرأت لزكي نجيب محمود مثلاً في تقريب الفكر الغربي ومحاولة التوفيق، أمّا الجانب الآخر فكان الجانب الأدبي والثقافي.. وبدأت أقرأ لطه حسين، قرأت الأيام.

وبخصوص تأثره بمالك بن نبي يقول دكتور طاش: مما لا شك فيه أنه جاء قبل عصره،

وهو من المفكرين القلائل الذين لم يحظوا في تلك الفترة بالاهتمام والعناية نتيجة لطغيان المدرسة الفكرية الإسلامية الصحوية على الساحة.. ومن ثم كان هناك تهميش كبير لمالك بن نبي ربما لأنه سبق أوانه، وثانياً لأنه كان وحيدًا ولم يكن هناك أناس في مستواه، حتى تلامذته لم يكونوا قادرين على الترويج له. وكانت كتبه بالفرنسية. ومن ثم لم يوجد ذلك التوازن إلا لدى القلة الذين اهتموا بفكر مالك بن نبي، وأعتقد أن مالك بن نبي تمّ تغييبه عند البعض - عمدًا -؛ لأنه كان يمثل تيارًا عقلانيًّا إلى حد كبير باعتبار أنه متأثر بالمدرسة الغربية، فأراد عقلنة الفكر الإسلامي، وتقديم رؤية جديدة لم تكن تتوافق مع التيار السائد - آنذاك - لذلك تم تهميشه، وكان الكثيرون لا يحبّذون انتشار كتبه بدعوى أن كتاباته صعبة الفهم؛ لأنها عميقة؛ ولأنها مترجمة. كذلك لم تكن كتبه ذات أسلوب سلس يجعل الشباب يهضمونه بشكل ميسّر.. وهذا من أكبر العوائق التي صادفته. لكل ذلك لم ينتشر فكره ولم تنتشر كتبه كثيرًا!!

ورغم ذلك فقد أصبح لمالك بن نبي مدرسة. ومن تلامذته الدكتور خالص جلبي، وكذلك الأستاذ جودت سعيد، حتى في جامعة الإمام كان هناك أستاذ مشهور اسمه عبدالله - نسيت لقبه الآن!- حضَّر رسالة الدكتوراة عن فكر مالك بن نبي، وأصبح من المتأثرين به والذين يروِّجون لفكره.

قراءات أثّرت في دكتور طاش

ويتوسع دكتور طاش في الحديث عن قراءاته التي أثّرت في تفكيره فيقول: بدأت في القراءة لطه حسين، وكذلك سيد قطب في كتاباته الأدبية مثل كتاب (طفل من القرية) الذي حاكى به كتاب (الأيام) لطه حسين، وقرأت معظم كتب طه حسين، بدأت كذلك في قراءة كتب العقاد، وقرأت العبقريات وإسلامياته، ثم اهتممت بالأستاذة عائشة بنت الشاطئ وتأثّرت بكتاباتها في الناحية الأدبية، عمومًا توسعت الدائرة، كذلك اهتممت

بالأستاذ محمود شاكر ولم أرتحْ له كثيرًا، فقد تأثرت بطه حسين وبأسلوبه السلس ومرونته، وأعجبت بكتبه مثل (الأربعاء)، و(الأيام)، و(مستقبل الثقافة في مصر). كذلك أُعجبت بمصطفى صادق الرافعي، واستهواني في فترة من الفترات، وقرأت له (تحت راية القرآن)، و(السفود)، و(أوراق الورد)، كذلك قرأت كل كتب المنفلوطي وقصصه. كانت تلك الفترة غنية وثرية. إضافة إلى القراءة في الأدب القديم، وحفظنا المعلّقات كلها خلال المعهد، ودرسناها في الكلية دراسة نقدية. كذلك درسنا الشعراء الفطاحل منذ أيام الجاهلية كامرئ القيس وعنترة، إلى شعراء الإسلام حسان بن ثابت، وعبدالله بن أبي رواحة. وكنتُ معجباً به، وكتبتُ عنه بحثًا نُشر في مجلة (المجتمع)، وكذلك في العصور الإسلامية المختلفة مثل المتنبي وكنتُ معجباً به. كذلك فطاحلة النثر العربي مثل ابن المقفع، والجاحظ، وعبدالله الكاتب، وأبي حيان التوحيدي. درسنا كل هؤلاء.. وكان ذلك تأسيساً معرفياً وأدبياً على مستوى رفيع.

ما يميز القراءة في مرحلة الكلية أنها لم تكن مقتصرة على القراءات الإسلامية، كما كان في فترة المعاهد، بل كانت متنوعة ما بين القراءات الإسلامية والأدبية والثقافية ونافذة على القراءات الفكرية الغربية من خلال التعرف على الفكر الغربي ونقده، أمّا الكتب السياسية فلم تكن تستهويني كثيرًا! إلّا ما له علاقة بالجانب الفكري، وكان اتجاهي لربط الفكر بالسياسة. ولم تكن الكتب السياسية المحضة والكتابات السياسية لهيكل وغيره من الكُتّاب السياسيين، وحتى في المملكة من اهتماماتي الكبيرة ولم أكن أهتم بها.

ولا شك أن هذه القراءات أضيفت إلى ما قرأته من قبل في المرحلة الثانوية وبداية المرحلة الجامعية، وهي كتب الأساتذة أبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي؛ لأنها مكملة للثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي في ذلك الوقت، وخاصة الفترة التي بدأت فيها الاهتمام بأقطاب الفكر الإخواني مثل الأستاذ سيد قطب، ومحمد قطب،

وحسن البنا وغيرهم، فكانت هناك كتب المودودي مثل (المصطلحات الأربعة)، و(ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، و(الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) للندوي، فقد كان لهذه الكتب دور في تطوير الفكر الإسلامي في تلك الفترة.

قصة الابتعاث للدراسات العليا

تخرج دكتور طاش في الجامعة عام ١٣٩٥هـ. كان الدكتور عبدالله التركي مديراً للجامعة آنذاك، فتم اختياره معيدًا مع عددٍ من زملائه منهم الدكتور أحمد بن سيف الدين التركستاني، والدكتور علي النملة، والدكتور إبراهيم الجوير، والدكتور إبراهيم أبو عباة، والدكتور سعد الشدوخي، والدكتور صالح العساف، وطلب هو وزملاؤه الذين تم تعيينهم الابتعاث إلى الخارج، ولم يكن نظام الابتعاث إلى الخارج موجودًا في الجامعة في ذلك الوقت، فوعدنا الدكتور عبدالله التركي خيرًا وكان متحمساً للفكرة.

ويحكي دكتور طاش: كانت لدينا رغبة في العمل في الإذاعة، وقد تحدثت أنا والدكتور أحمد بن سيف الدين مع الأستاذ زهير الأيوبي للانتقال إلى الإذاعة والابتعاث من هناك من خلال وزارة الإعلام لدراسة الماجستير في أمريكا، فعرض الأمر على معالي الوزير الذي وافق ووعد بابتعاثنا إلى أمريكا. عندها طلبنا الانتقال من الجامعة إلى الإذاعة، وقام معالي الدكتور محمد عبده يماني بكتابة خطاب إلى معالي الدكتور عبدالله التركي لنقل خدماتنا إلى الإذاعة، ولكن الدكتور التركي رفض، واستدعانا أنا والدكتور أحمد بن سيف الدين، ولا أنسى توبيخه لنا في مكتبه بالجامعة! وتساءل: كيف نقوم بذلك بعد أن اختارنا بنفسه للعمل معيدين في الجامعة!! ووعدنا بالابتعاث فأخجلنا كلامه، وذكرنا له أن رغبتنا الأولى هي الابتعاث سواء كان من الجامعة، أو وزارة الإعلام.. وأننا نفضل أن يكون ذلك عن طريق الجامعة. ولكننا نخشى ألّا يتم ذلك! فأفادنا بأنه لن يوافق على انتقالنا إلى الإذاعة، وأنه سيعمل على ابتعاثنا..

وجزاه الله خيرًا! فقد أوفى بوعده وابتُعثنا إلى أمريكا لنكون أول المبتعثين، وكنا - آنذاك ثلاثة عشر مبتعثًا، منهم الدكتور علي النملة، والدكتور إبراهيم الجوير، والدكتور صالح العساف، والدكتور سعد الشدوخي، والدكتور أحمد بن سيف الدين، والدكتور صالح اللحيدان.. وفيما بعد الدكتور سليمان الجلعود.. وغيرهم.

واستمر طاش متعاونًا مع الإذاعة التي عشقها وأحبها من خلال تقديم برامج ونشرات أخبار، إلى أن تم ابتعاثه في أواخر عام ١٩٧٦م إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

إلى بلاد العم سام

بعد موافقة إدارة جامعة الإمام على الابتعاث، عقد الدكتور التركي اجتماعًا مع المبتعثين، وأخذ منهم موثقًا غليظًا بأنه الآن هو المسؤول الأول عن هذا الاختيار، وعن فتح باب الابتعاث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد أعطى مجلس الجامعة والمشايخ موثقاً بأن هذه البعثة ستشرّف الجامعة، وستكون على مستوى المسؤولية، وستتمسك بثوابتها الإسلامية، وستعود وهي أقوى مما كانت عليه بإذن الله، وتوعّدهم في الوقت نفسه بأنه ستُقطع بعثة أي طالب يخالف ما تم الاتفاق عليه، وسيعود مباشرة إلى المملكة.

يقول دكتور طاش معلقًا على ذلك: لقد اتخذ الدكتور التركي احتياطاته فكوّن لجنة متابعة في أمريكا، واتفق في هذا الشأن مع الدكتور إسماعيل الفاروقي - رحمه الله - وكان برنامجنا الأول في الابتعاث في اللغة الإنجليزية في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، وهي من المدن القديمة والكبيرة في أمريكا. وكان الدكتور الفاروقي رئيس قسم الأديان في تلك الجامعة، ورئيس جمعية الطلبة المسلمين فيها؛ ولذلك عُملت لجنة لمتابعة أعمالنا وترتيب أمورنا لدراسة اللغة الإنجليزية، ومن ثم إلحاقنا بالبرامج التي كنا ننوي الالتحاق بها.

وعن التخصصات التي تم الاتفاق عليها يقول دكتور طاش: ابتعثت أنا وأحمد بن سيف الدين، وإبراهيم الجوير لدراسة علم الاجتماع، وكان الدكتور علي النملة قد ابتُعث للمكتبات، حيث لم يكن لدينا في ذلك الوقت قسم للإعلام في الجامعة. ومن شدة رغبتنا في السفر كان البعض يخشى أن تتراجع الجامعة عن قرار الابتعاث الذي صدر في شعبان، وإلى أن نرتب أمورنا وصلنا إلى العشر الأواخر من رمضان، وكنا سنذهب في الإجازة، وكنا في حيرة هل نسافر أم نبقى إلى ما بعد العيد! ولكننا قررنا السفر.. وكان سفرنا ليلة العيد.

كان السفر من الرياض إلى لندن ثم فيلادلفيا. وفعلاً سافرنا وبالنسبة لي أنا واثنين من الزملاء هم الدكتور صالح العساف، والدكتور صالح اللحيدان. فقد سافرنا بعوائلنا.. وكان معي ولداي عادل وخالد الذي كان عمره بضعة شهور، وكان لدى الدكتور صالح العساف ولده الوليد. أمّا الدكتور صالح اللحيدان فقد كان حديث عهد بالزواج. حدثت لنا بعض الطرائف في مطار لندن الذي مكثنا به خمس ساعات، ولم نكن نعرف اللغة الإنجليزية باستثناء الدكتور صالح العساف الذي كان يعرف بعض الكلمات، وحدثت لنا بعض الطرائف عندما ضاعت زوجاتنا؛ لأننا تفرّقنا عند أحد الأبواب عن طريق الخطأ، وعندما أردنا العودة لم نستطع، فبحثنا عن باب آخر.. وبقيت زوجاتنا في مكان آخر، وكان ذلك قبل وقت وجيز من وقت الرحلة!! ولكن الله سلَّم واستطعنا أن نلحق بالطائرة. غادرنا لندن وفي نفوسنا شيء من الكآبة؛ لأننا سافرنا ليلة العيد.. وبرغم التشوّق لرؤية أمريكا فقد كان في نفوسنا شيء من الضيق.

الصدمة الحضارية الأولى

ويحكي دكتور طاش عن مشاعره لدى وصولهم إلى أمريكا فيقول: نزلنا في فيلادلفيا، وشعرنا بالضيق بمجرد رؤيتها؛ لأنها كانت مدينة تعيسة كئيبة، ولم تكن بتلك الصورة

(الحلم) التي نحملها في أذهاننا عن ذلك الجمال الأخّاذ، وناطحات السحاب، والعمارات الشاهقة، وتلك الحضارة المتقدمة. دخلنا المدينة فوجدنا أن الأغلبية العظمى من سكانها من السود. كانت صدمة أولية؛ لأنها كانت تختلف عن الصورة المرسومة في أذهاننا لأمريكا.

سألنا بمجرد وصولنا عن العيد؟ فقالوا: إنه في اليوم التالي، فخفف ذلك عنا قليلاً. عندما استقبلنا الوفد الذي تم تعيينه لمتابعتنا أخبرونا أن هناك جالية إسلامية وعربية كبيرة في فيلادلفيا، وأنه سيكون هناك تجمع كبير، وأن صلاة العيد ستكون في أحد الملاعب الرياضية. وخفف ذلك عنا قليلاً، في اليوم التالي حضرنا صلاة العيد، وكانت هناك أعداد كبيرة من المسلمين من جنسيات متعددة تجمعوا بعائلاتهم، وبعد الصلاة كان الدكتور الفاروقي - رحمه الله - قد أعدَّ لنا حفل استقبال وإفطار في منزله بإحدى ضواحي فيلادلفيا، واستقبلنا.. وكان عيداً جميلاً قضيناه في أول أيام البعثة.

كانوا قد استأجروا لنا شققاً في أحد المراكز بالقرب من الجامعة، وبدأنا رحلة تعلّم اللغة الإنجليزية في برنامج خاص أُعد خصيصاً لنا في الجامعة، سارت حياتنا بعد ذلك، وتعلّمنا اللغة الإنجليزية. حياتنا الاجتماعية كانت مترابطة؛ لأننا كنا مجموعة من العائلات وقد وجدنا بعض العائلات السعودية التي سبقتنا، وكانت هناك عائلات عربية وباكستانية وهندية أخرى، وكان هناك جو اجتماعي إسلامي جيد.

كان تركيزنا بالكامل على تعلّم اللغة الإنجليزية، ولكننا بدأنا في الانخراط في النشاط الثقافي الإسلامي الذي كان موجوداً بالمدينة سواء بحضور المناسبات أو الندوات والمحاضرات، وبدأنا نخرج في بعض المخيمات بين فترة وأخرى. كذلك كانت علاقاتنا الاجتماعية جيدة. فقد قضينا حوالى أربعة أشهر في برنامج اللغة الإنجليزية.

حياة اجتماعية جديدة

ويحكي دكتور طاش عن مشاعره وأسرته من الإقامة في أمريكا فيقول: بالنسبة لي وعائلتي لم نشعر بشيء كثير من التغيير، ولكن - بدون شك أعجبنا بتيسيرات الحياة والخدمات في أمريكا بحيث إن الإنسان يحيا حياة مريحة وميسرة ليس فيها تعقيدات، وبالرغم من وجود نسبة كبيرة من السود، ونسبة الجرائم فيها مرتفعة لم نشعر بذلك الضغط الاجتماعي الكبير، حتى أننا بدأنا نُلحِق أولادنا برياض الأطفال، وبدأوا ينخرطون في الحياة الأمريكية. وكانت هناك عائلة مصرية ساعدتنا كثيرًا هي عائلة الدكتور محمد حمدون - جزاهم الله خيرًا - وساعدونا في التأقلم على الحياة.

ويستطرد دكتور طاش قائلاً: كانت كل الأمور ميسرة. فكانت الحياة طبيعية، ولكن بعض الإخوان شعروا بشيء من التذمّر؛ لأننا كنا نريد الانتقال إلى مدينة جامعية صغيرة بدلاً عن هذه المدينة الكبيرة الصاخبة. كانت هناك رغبة في ذلك. وبعد أن انتهينا من برنامج اللغة الإنجليزية بدأنا نفكر في الانطلاق إلى مناطق أخرى، وبدأ زملاء من ولايات أخرى يغروننا بما لديهم في مدنهم من هدوء، وبساطة، وتسهيلات، ووجود عائلات سعودية أكثر، وتجمعات طيبة، مع أن البرنامج كان مرتبطاً بالدكتور الفاروقي، فطلبنا من الملحقية والجامعة أن يسمحوا لنا بالانتقال من فيلادلفيا. ومن هنا بدأ تفرّقنا، فاختار كل واحد منا مدينة. وقد انتقلت إلى أوكلاهوما حيث سبقني إليها الدكتور عبدالرحمن السحيباني، والأخ صالح العساف وغيرهما، وبمدينة أوكلاهوما معهد لتعليم اللغة الإنجليزية مرتب في تسعة مستويات، كل مستوى مدته شهر، حيث نشعر أنه يمكن بعد هذه الأشهر أن نكون قد انتهينا من اللغة الإنجليزية، ونبدأ في برنامج الماجستير. وكان البرنامج الذي كنا نسير عليه في فيلادلفيا مفتوحًا وليس خاصًا. وكان مرتبطاً باختبار (التوفل) الذي دخلناه ولم نوفق فيه، فذهبنا واختبرونا ووضعونا في المستوى الذي يتناسب مع كل واحد منا.

وجدنا من خلال الاختبار أننا استفدنا حصيلة لغوية جيدة، واستفدنا كثيرًا وإن كنا تذمّرنا واشتكينا من البرنامج، أنا وُضعت في المستوى السادس أو السابع، بينما قضينا أربعة أشهر فقط. أحمد بن سيف الدين مثلاً قالوا له إنه لا يحتاج إلى البرنامج؛ لأنه كان أعزب، وكان يختلط ولديه حس لتعلم اللغة الإنجليزية، وصادق أحد المسلمين الأمريكيين، وكان يعمل في إحدى الإذاعات المحلية في فيلادلفيا فكان يرافقه ويذهب معه إلى الإذاعة عندما يذهب لتقديم برامجه، وتعلّم منه اللغة، واحتك به مما ساعده على أن يتفوق، فدرس المستوى التاسع وأخذ الشهادة، ثم جاءه قبول من جامعة أوكلاهوما سيتي في مدينة قريبة.. وبدأ برنامج الماجستير قبلي بفصل دراسي واحد في علم الاجتماع. وكنا قد اتفقنا على أن نكون معًا.

بعد ذلك درست اللغة لمدة ثلاثة أشهر، وجاءت فترة الصيف وكنا نرغب في أن نأخذ إجازة ونعود إلى المملكة. وكان لا بد أن يكون لدينا قبول في إحدى الجامعات حتى نستطيع العودة مرة أخرى لإجراءات التأشيرة والقبول. وفعلاً حصلتُ على قبول من جامعة أوكلاهوما في مدينة نورمن بالقرب من أوكلاهوما سيتي في علم الاجتماع.

وقبل أن تبدأ الإجازة أقيم مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين، وحضره عدد كبير منا في ولاية إنديانا.. وكان من ضيوف ذلك المؤتمر معالي الدكتور عبدالله التركي، وكان أحمد بن سيف الدين قد بدأ الدراسة. وكنت قد انتهيت من برنامج اللغة وأستعد للانخراط في كلية الاجتماع.

اجتمع بنا معالي الدكتور التركي أنا والأخ أحمد بن سيف الدين وذكر لنا بأنه يعرف رغبتنا الأساس في دراسة الإعلام، وأن إدارة الجامعة تفكر في افتتاح قسم للإعلام في المستقبل؛ ولذلك طلب منا تحويل تخصصنا من قسم الاجتماع إلى الإعلام إذا ما كانت رغبتنا لا تزال قائمة في دراسته، فوافقنا على الفور.

ترتب على ذلك إلغاء قبول الجامعة في علم الاجتماع، وحصلتُ على قبول لغة مرة أخرى حتى يمكنني الرجوع فيما بعد، وبذلك ضاع عليَّ فصل دراسي كامل قضيته في مدينة اسمها كورفالس في ولاية أوريغون بالقرب من واشنطن في دراسة اللغة الإنجليزية التي كنت قد درستها من قبل، ولكن ذلك تمّ حتى أستطيع العودة من السعودية مرة أخرى. وحصلت على التوفل وعلى قبول في جامعة أوكلاهوما، وبدأت مسيرتي في دراسة الإعلام والحمد لله بدأت الماجستير.. وكانت مدينة نورمان مدينة جامعية صغيرة باردة شتاءً وحارة صيفًا.

برنامج الماجستير

ويمضي دكتور طاش متحدثاً: (بدأت برنامج الماجستير في قسم الصحافة والإعلام، وقضيت في هذه المدينة سنتين ونصف السنة، وحصلت على الماجستير، وكان في هذه المدينة مجموعة كبيرة من الطلاب السعوديين المبتعثين من وزارة المعارف.. أذكر من بينهم المرحوم الشيخ عبيد الله كردي، وكان إمامنا في مسجد النور، وهو مسجد جميل في تلك المدينة كان مقصدنا وموئلنا ومكان تجمعنا. ومن ضمن من كانوا معنا الدكتور فهد النصار، وكان أيضًا رئيساً للمركز الإسلامي في مسجد النور. من هناك بدأ نشاطنا الإسلامي، حيث كان ذلك المركز عضواً في اتحاد الطلبة المسلمين على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كانت هناك مجموعة من الطلبة السعوديين والكويتيين قد أسسوا رابطة لهم سمّوها رابطة الشباب المسلم العربي، وكانت قبل ذلك تُسمّى رابطة الشباب المسلم الكويتي. وعندما جاء الطلبة السعوديون وتكاثرت أعدادهم طلبوا من الإخوة الكويتيين تغيير المسمّى).

ويذكر دكتور طاش من مؤسسي تلك الرابطة المرحوم الدكتور مانع الجهني. يرحمه الله .، والدكتور سعد عطية الغامدي، والدكتور صالح الوهيبي، والدكتور عمر زهير

حافظ، والأستاذ المهندس عبدالرحمن اليامي. ويقول: دخلنا معهم وأصبحنا أعضاء. وأنا شاركت في اللجنة التنفيذية لهذه الرابطة التي كانت تضم كويتيين بالدرجة الأولى، ومعهم سعوديون وفلسطينيون وعدد قليل من المصريين والسوريين، لكنّ الغالبية كانوا خليجيين.

ويقول دكتور طاش إن معظم المنتمين للرابطة كانوا من الإسلاميين. وكان الكثير منهم من الذين ينتمون إلى الإخوان المسلمين بشكل رئيس، وكانت هناك إلى جانب ذلك حركة القوميين العرب، وكانت تسمّى في ذلك الوقت جمعية الطلبة العرب، وكان معظم الذين سبقونا من الطلاب العرب منتمين لهذه الجمعية، وبعضهم ينتمي للاتحاد والجمعية، وقلة من كانت تنتمي للجمعية.

بعد أن بدأت رابطة الشباب المسلم العربي بدأ التوجه القومي ينحسر، وبدأت جمعيات الطلبة العرب تنكفئ على نفسها، وانسحب كثيرون منها للالتحاق باتحاد الطلبة المسلمين؛ لأن المراكز الإسلامية والمساجد بدأت تنشط في حركتها الإسلامية، وبدأ نجم رابطة الشباب العربي يبزغ، وبدأ مئات من الطلاب يلتحقون بهذه الرابطة لنشاطاتها القوية التي اكتسحت الساحة.

أسباب انحسار الفكر القومي

ويرجع دكتور طاش انحسار الفكر القومي - آنذاك إلى هزيمة ٦٧، وموت عبدالناصر، حيث بدأ ينعكس على التيارات الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك صعود التيار الإسلامي ومناكفاته للتيارات اليسارية والقومية في الولايات المتحدة. فبدأ المد الإسلامي يأخذ طريقه بشكل أفضل، حتى أن مؤتمرات رابطة الشباب المسلم العربي كان يحضرها آلاف من الشباب من كل أنحاء الولايات المتحدة، وكان هناك اهتمام من القنصليات السعودية لانخراط الطلبة السعوديين في رابطة الشباب

المسلم العربي والتوجه الإسلامي، وفي بعض المراحل كانت القنصليات السعودية تُعطي تذاكر للطلبة لحضور المؤتمرات الإسلامية في اتحاد الطلبة المسلمين ورابطة الشباب المسلم العربي.

وعن أسباب عملية التشجيع الحكومي يرجعها دكتور طاش إلى الرغبة في مواجهة المد القومي اليساري الذي كان في بعض توجهاته معادياً للمملكة، حتى أن بعض الطلبة السعوديين الذين كانوا يعارضون السياسة والحكومة السعودية كانوا ينتمون لتلك التيارات اليسارية والقومية؛ لذلك بدأت القنصليات السعودية في التشجيع على الانخراط في التوجه الإسلامي، وكان ذلك في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات.

ويذكر دكتور طاش أن من بين المنخرطين في الرابطة الدكتور بشير الرشيدي، والدكتور طارق السويدان، والدكتور موسى المزيدي، والدكتور إسماعيل الشطي.. وكانوا ممن شاركوا في تأسيسها وبنائها إضافة إلى الزملاء السعوديين. وكانت الرابطة هي محور النشاط الإسلامي الصحوي، وكانت مؤتمراتها هي الملتقى الذي يجمع كل الكوادر الإسلامية المنخرطة في النشاط الإسلامي في الولايات المتحدة، وكانت نشاطاتها قوية مؤثرة، ونشيطة، وفعالة، وتركز على بناء الفكر الإسلامي الصحيح، وعلى التجديد في هذا الفكر وتهيئة الشباب المسلم ليكون قادرًا على أداء رسالته الإسلامية في الحياة. والحمد لله كان معظم أعضاء الرابطة من المبدعين والمتفوقين في دراساتهم وتخصصاتهم.

رابطة الشباب المسلم العربي

وقد كان اتحاد الطلبة المسلمين المظلة الإسلامية الكبرى التي تجمع الطلاب المسلمين من مختلف الجنسيات، ورابطة الشباب المسلم العربي هما اللذان حفظا للأمة الإسلامية شبابها في تلك الفترة، وهؤلاء هم الذين رجعوا بعد ذلك وكان لهم

دور كبير في المملكة وغيرها من الدول. كانت لدينا جالية ماليزية كبيرة انخرط أعضاؤها في هذه النشاطات وكنا. أي الطلبة السعوديين نعمل في الاتحاد مع إخواننا المسلمين الآخرين، ومع الرابطة في المجالين العربي والخليجي. ولم يكن يمر يوم بدون نشاط سواء في الجامعة أو المدينة أو الولاية.

آليات التواصل والطلبة الجدد

وعن آليات التواصل داخل الرابطة يقول دكتور طاش: كانت للرابطة لجنة تنفيذية بها رئيس ومسؤول إعلامي وثقافي، ومسؤول مخيمات، ومسؤول لاستقبال الطلبة الجدد، ومسؤول مؤتمرات. وكان يتم التنسيق بين كل تلك اللجان المختلفة. وكانت هناك لجان إقليمية، ولجان في المدن بالتنسيق مع اتحاد الطلبة المسلمين، فحفظت بذلك الشباب العربي والمسلم من الذوبان والانخراط في تيارات أخرى، وكذلك البناء الثقافي والفكري من خلال هذه النشاطات المختلفة التي تمت على أعلى المستويات، إضافة إلى الترابط الاجتماعي القوي.

ويقول دكتور طاش: هناك صداقات كوّنها الإنسان خلال تلك الفترة في كل أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وكانت الرابطة تصدر مطبوعات ثقافية وترسلها بالبريد إلى كل الأعضاء في الرابطة. وكانت تصدر مجلة شهرية اسمها (الأمل)، وتشرّفتُ برئاسة تحريرها لعدة سنوات، وكانت المجلة تعبِّر عن الرأي الإسلامي، وتفتح صفحاتها للشباب.. وبها جرعة ثقافية وفكرية قوية تتابع ما يجري من أحداث. وكانت تلك الفترة ساخنة، ومنها زيارة السادات للقدس.. والتداعيات الكبيرة التي صاحبت التطبيع! وكان التيار الإسلامي معارضًا لذلك، كذلك في أواخر السبعينيات جاء المدّ الخميني، وكان هناك نوع من الحماس وسط الشباب العربي والإسلامي للثورة الخمينية ضد الشاه وضد الظلم.

الانبهار بالثورة الخمينية

ويقف دكتور طاش عند التعاطف الذي أبداه عدد من الشباب المسلم عند قيام ثورة الخميني ضد شاه إيران فيقول: كان التعاطف في البداية بسبب رفع الشعار الإسلامي، باعتبار أنها ثورة إسلامية، ولم ترفع شعار الشيعية أو الطائفية، وإنما كان الشعار إسلاميًّا، وبشئ من الاندفاع أخذ شكل التأييد التام للخمينية ثورة إسلامية في ذروة تلك الظروف التي كانت تعم العالم الإسلامي.

إلا أن دكتور طاش يستدرك بأنه بعد عدة سنوات، وعندما تمكنت الثورة، وبدأت تسفر عن ملامحها الشيعية: بدأ التأييد ينحسر، وبدأ الصراع ما بين أتباع الخميني، الذين بدأوا يحدثون المشكلات وخاصة بعد أزمة الرهائن، ومشكلتهم مع الولايات المتحدة، انعكس كل ذلك على العمل الإسلامي، وأخذنا رد فعل لذلك. وكنا باعتبارنا تيارًا صحويًّا إسلاميًّا غير مؤيدين للفكر الخميني، وإنما كان للتيار السياسي! ولكن عندما بدأ يدخل في صراع مع الولايات المتحدة - التي ندرس بها، وليس بيننا صراع معها في ذلك الوقت - وكنا نركز على بناء ثقافتنا الإسلامية، ونريد أن نبني كوادرنا الإسلامية، وأن نحفظ وجودنا، ونقدم دعوة إسلامية صحيحة في الولايات المتحدة، وليس بيننا وبين حكوماتنا صراع، لكل ذلك وجدنا أنه لا يوجد التقاء بيننا وبين الخمينيين.. وكذلك عندما تكشفت الأمور السياسية، والعقائدية، والإيديولوجية.. وبدأوا في التركيز على الشيعية. بدأت المفاصلة بيننا وأصبحت الرابطة مستهدفة من الخمينيين، وكان اتحاد الطلبة المسلمين يوازن أحيانًا بالنسبة للمركز، ولكن كانت هناك صراعات في فروع الاتحاد في الولايات المختلفة، وكان السعوديون والخليجيون بشكل رئيس هم الذين يقودون التيار الصحوي المعادي للخمينية، وكان لهذا الصراع آثار سلبية جدًا على العمل الإسلامي في بعض خطب الجمعة، وبعض النشاط الإسلامي في المراكز الإسلامية. وبدأوا في الاستيلاء على بعض المراكز الإسلامية، ويحوّلونها

إلى مراكز نشاط لهم، ويستقطبون بعض الأتباع من الجنسيات الأخرى مثل: الهنود، والباكستانيين، وبعض العرب والخليجيين الشيعة، لكن التيار العام للصحوة الإسلامية الخليجية والسعودية بشكل رئيس كان في صراع من الخمينيين.

وتركز وجود التيار الخميني في اتحاد الطلبة المسلمين، وكانت لهم تنظيماتهم الخاصة بهم، وكانوا يقودون التظاهرات والأنشطة المعادية للولايات المتحدة، وكان معهم العرب، وكانوا يستخدمون بعض المراكز الإسلامية التي لم يكن لأهل السنة وجود كبير فيها، وكانوا يسيرون النشاط فيها لخدمة مصالحهم وتيارهم الديني والسياسي في ذلك الوقت.

ثورة حماة في سوريا

وقد تفاعل الطلاب المسلمون في الولايات المتحدة مع الأحداث التي تقع في العالم العربي؛ ولذلك كانت هناك ثورة حماة في بداية ثمانينيات القرن الماضي بسوريا، التي انتهت بمجزرة بشعة راح ضحيتها عدد كبير من الإخوان في سورية. وقد تعاطفت التيارات الإسلامية في الولايات المتحدة ضد نظام الرئيس السوري حافظ الأسد، كما كان هناك تفاعل أيضًا مع الزيارة التي قام بها الرئيس محمد أنور السادات للقدس، وخطوات التطبيع مع اليهود، وانعكس كل ذلك على النشاط الطلابي من خلال المظاهرات، والكتابة في مجلات مثل (الأمل) وغيرها.

ويقول دكتور طاش: كنا نكتب في الصحف الجامعية عن القضية الفلسطينية التي كانت على رأس الأولويات، وكنا نشارك في الكتابة في الصحف الجامعية الإنجليزية لإيصال الرأي العام الإسلامي في القضية الفلسطينية للأمريكيين، إلى جانب توضيح صورة الإسلام وتبيين حقائقه أمامهم. إضافة إلى النشاط الدعوي وسط غير المسلمين. ولا ننسى أن الرابطة، وكذلك اتحاد الطلبة المسلمين كانت لهم مهمة

دعوية في إيصال رسالة الإسلام، ولم تكن نشاطاتهم سياسية وثقافية فقط.

ويرى دكتور طاش أن الأجواء الجديدة التي رآها في المجتمع الجديد تركت انعكاساً إيجابياً عليه، فهو يرى أن كثيرًا من المواهب والطاقات انطلقت من ذلك الجو.. فبالرغم من وجود المكوّن الإسلامي في المرحلتين الثانوية والجامعية في المملكة، إلا أن الجو والمناخ الحر الذي يختلط فيه المرء بتيارات أخرى، سواء المخالفة في الولايات المتحدة، والانتقال من مجتمع إسلامي إلى آخر غير إسلامي أعطاه قدرًا من التحدي، إضافة إلى إتاحة الفرصة في الاتّصال والتعرف على تيارات فكرية عربية وإسلامية لم تكن معهودة في المملكة، سواء على المستوى العربي أو الإسلامي كان نقلة كبيرة للاحتكاك الفكري وتبادل الخبرات.

وفي هذا الإطار يقول دكتور طاش: استطعنا المواءمة بين التيار الإسلامي الصحوي وتيار الحضارة الغربية. وفي الوقت نفسه الاحتفاظ بالفكر والدين والثوابت. كذلك

الاحتكاك بالتيارات الإسلامية الأخرى التي تخالف المنهج الذي كنا نسير عليه. كانت قسماتنا سلفية وصحوية، وبها شيء من تجديد الفكر الإسلامي. أعتقد أن ذلك كان هو المكوّن الأساس الذي كنا نمثله في الولايات المتحدة الأمريكية. دراستنا كانت سلفية عقيدة، وفقهًا، وتوجهًا أساسيًّا، ثم فكرًا صحويًّا مع شيء من الفكر السياسي المعاصر الذي يتفاعل مع الأحداث والمجتمع الإسلامي ككل. وجدنا أنفسنا في خضم تيار الحضارة الغربية التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية. كنا نفكر في كيفية التوليف بين هذه القسمات الثلاث وإخراج المنظومة التي نخرج من خلالها بمنهجية جديدة، ونستفيد من كل مميزات وإيجابيات هذه القسمات الثلاث، في الوقت الذي تستطيع أن تكون فيه متميزًا فلسنا سلفيين، تقليديين، جامدين.. ولسنا صحويين، سياسيين.. ننسى الثوابت العقدية والإيديولوجية التي توصل فكرنا وتمكننا من السير في الخط الصحيح، ولسنا حداثيين نبيع كل شيء لنكون مثلهم. كان كل ذلك لشاب مثلي ولغيري هو التحدي الحضاري الكبير الذي نواجهه.

تلاقح الثقافات

ويتكلم دكتور طاش عن تجربته الجديدة التي انتقل بها من مرحلة الاحتكاكات المحلية إلى الاحتكاك بتجارب مختلفة من بلدان مختلفة فيقول: تجربتي الشخصية، وتجربة زملائي الذين كنا في جيل واحد بدأت بالتدريج. فعند وصولنا إلى الولايات المتحدة كان احتكاكنا مع الإخوة الخليجيين. وكان الكويتيون قد سبقونا، ومن ثم بدأ احتكاكنا بهم. بعد ذلك بدأنا ننخرط قليلاً مع الإخوة العرب، ومن ثم مع إخواننا المسلمين من الهنود، والباكستانيين، والماليزيين، والإندونيسيين وغيرهم. في هذه الدائرة كان الاندماج والتحوّل من الدائرة الضيّقة التي بدأنا بها كان سهلاً، ويسّر علينا التوسع في الدائرة الإسلامية بشكل عام، وبدأت عيوننا وعقولنا تتفتح على أننا نمثّل أمة

ولا نمثلُ بلدًا واحدًا فقط. ولكن في الوقت ذاته نحن نمثل بلدًا، كان يُنظر إليه على أنه موطن الإسلام والعروبة، فكانت النظرة للسعوديين إيجابية عند البعض، وفي إطار الدائرة الإسلامية استطاع السعوديون - بحمد الله - أن يثبتوا جدارتهم في العمل الإسلامي، ويؤكدوا أنهم ليسوا تابعين، بل قادة للعمل الإسلامي، ليس على المستوى الخليجي فحسب، بل عربياً، وإسلامياً.. وأنا كنت أحد الذين شاركوا في اتحاد الطلبة المسلمين، وكنتُ عضواً فاعلاً فيه، وشاركت في عضوية جمعية علماء الاجتماع المسلمين، حيث كانت هناك جمعيات متخصصة مثل جمعية الأطباء المسلمين، وجمعية علماء الاجتماع المسلمين، وجمعية المهندسين المسلمين.. وكان السعوديون - والحمد لله - أصحاب دور كبير وفاعل وقيادي، وليس مجرد تابع فقط.

بين الوطنية والأممية

ويعتقد دكتور طاش عدم وجود تناقض بين الانتماء الوطني والأممي.. فهو يرى أنه لا يوجد تضاد بين هذين الانتماءين، وهو تضاد وهميّ ومصطنع ويقول: أعتقد أن بعض التيارات الإسلامية المتطرفة أسهمت - للأسف الشديد - في ذلك، وكذلك بعض أدبيات الحركة الإسلامية المعاصرة أسهمت في صنع هذا الوهم وتكريسه، وادّعت أن هناك شيئًا من التعارض بين الوطنية والانتماء للوطن، وبين الإسلامية والأممية الإسلامية. فبعض الأدبيات الإسلامية كانت تريد من المنتمين للتيار الإسلامي أن يتخلص من انتمائه الوطني، بمحاولة فصل هذه الفكرة، وإيجاد فجوة بينهما.. والقول بأن مَن يتمسك بوطنيته لا ينتمي للأمة، لذلك ربما أدّى حماس بعض الشباب إلى الأخذ بهذه المقولات التي لم تكن مؤصلة شرعياً، وإنما كانت مغلفة بالتوجهات السياسية أكثر من التأصيل العلمي الشرعي.

ويضيف دكتور طاش أنه في غمرة الحماس والعاطفة التي تميّزت بها حركة الصحوة

الإسلامية في بداياتها، تكرّست فكرة الفجوة بين الوطنية والإسلامية، لكنها في رأي دكتور طاش: الفجوة تلك لم تكن متجذرة ومتعمقة بيننا نحن السعوديين، وهذه شهادة أشهدها لله في تيارنا الإسلامي، وأنا أتحدث عن فترة أمريكا، لذلك يتضح ذلك من خلال ما ذكرته عندما بدأنا ووصلنا إلى أمريكا، بدأنا مع إخواننا الخليجيين وهذا يدل على أن الانتماء للإقليم كان واضحًا لدينا ولم يكن منعدماً. هذا ساعدنا عندما أسسنا رابطة الشباب المسلم العربي كسعوديين.. وبصفتنا السعودية لم نكن نخجل، أو نتستر من كوننا سعوديين، بل كنا نسيِّر الرابطة في كثير من الأحيان بروح سعودية. القيادات التي كانت تقود الرابطة في بدايتها كانت سعودية وخليجية بشكل رئيس، وكان هناك انتقاد لنا. وكان كثير من الطلاب يحجمون عن الانخراط في الرابطة إلاّ بعد أن يتأكدوا أننا لا نريد أن نجعلها سعودية أو خليجية فقط، وإنما نريد أن تكون عربية إسلامية، ولنا دور فاعل فيها لأننا المؤسسون، ولأننا نرى أن لنا خطًا يمكن أن يؤسس لنهج جديد لم يكن موجوداً على الساحة الأمريكية في ذلك الوقت، ومن ثم بدأ إخواننا العرب يلتحقون بالرابطة، ويتفاعلون معنا، وبدأت قسمات وملامح الرابطة تتحول إلى عربية، ولكن لم نكن نسمح بالانتماءات الحزبية في الرابطة، فيمكن لأي شخص أن يدخل الرابطة كفرد، ولم تكن هناك تكتلات لحسابات حزبية.

الرابطة والتكتلات الحزبية

ويستمر دكتور طاش في حديثه فيقول: كان لدينا إخوان، وتحريريون، وتبليغيون، ومستقلون، وسلفيون.. لكن لم نكن نسمح بتكتلات حزبية! فقد كانت الرابطة ذات توجه عربي إسلامي بصورة واضحة، ولذلك لم أكن شخصيًّا أشعر من حيث تكويني الفكري بهذه الفجوة بين انتمائي لوطني وسعوديتي، وبين انتمائي لأمتي الإسلامية. الفكر الذي تشربته خلال مراحل دراستي وتكويني الفكري على مر المراحل كان

يتوافق مع طبيعتي، وحتى في قراءاتي ستجد أنني لم أكن أركّز على مدرسة فكرية محددة. لا أنفي أن تكويني الأساسي تكوين فكري إسلامي، لكن مساحة الطيف منذ تكويني الفكري كانت أوسع ـ بحمد الله ـ من بعض زملائي ومَن رافقوني في مسيرتي الفكرية، وهذا راجع إلى طبيعتي بفضل الله، وتأسس ذلك بشكل أكبر في أمريكا بسبب المناخ الذي وصفته لك بعد أن حدث الاحتكاك المباشر بالتيارات الفكرية المتعددة؛ مما أتاح لي الفرصة لأستفيد من الحضارة الغربية، والأمريكية، والفكر الغربي بشكل لم أكن أتصوره في حياتي، وهذا بعد آخر، ومن ثم كانت قيم التسامح والتلاقح والتلاقي الفكري، والحوار مع الآخر واضحة في مسيرتي الفكرية

ويذكر دكتور طاش: اهتممت بالجانب الفكري في الولايات المتحدة، فكنتُ أقرأ، وكنت أتابع، وكنت مدمناً على الإعلام! ومن ثم بدأت حاستي في نقد الذات، والدعوة إلى نقد الفكر الإسلامي ذاتياً، ومن ثم نقد الآخر والاحتكاك به، حتى أن أول كتاب ألّفته ـ وأنا طالب في الولايات المتحدة ـ كان عبارة عن سلسلة من المقالات كتبتها عندما بدأت الاهتمام بالفكر والحضارة الغربية، وكانت عبارة عن مقالات دراسية وليست صحفية سمّيتها (أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي)، درست فيها مقومات الحضارة الغربية، وقسّمتها إلى ستة جذور: الحضارة المادية، والغربة الروحية، الديمقراطية الغربية، حضارة بلا أخلاق، تدهور الرأسمالية الغربية، آراء الناقدين الغربيين في أزمة الحضارة، الإسلام هو البديل. وأتيت كذلك بقسمات ومعالم الحضارة الإسلامية وهذه من الأعمال المبكرة التي جعلتني أطّلع على الحضارة الغربية والفكر الغربي.

رؤية في الحضارة الأمريكية

ولكن كيف كانت رؤية دكتور طاش للحضارة الغربية وهل هي علاقة عداء ورفض أم أنها علاقة توافق وتلاقٍ؟

يقول دكتور طاش: علاقتي مع الحضارة الغربية لم تكن عدائية بل على العكس كانت تواصلية تفاعلية بالنسبة لي على الأقل لكنها كانت ناقدة، لم تكن رؤيتي وتفاعلي مع الحضارة الغربية وقسمات الفكر الغربي استسلاماً وتفاعلاً كلياً وإنما كان به جانب نقدي، فمثلا كنت أراسل الصحف والمجلات العربية في المملكة والخليج، وكانت لي آراء في طرح الفكر الغربي الذي يمكن أن يُستفاد منه والجانب المضيء في الحضارة الغربية. لم تكن كتاباتي كلها نقدًا في الحضارة الغربية، ولم تكن آرائي فيها سلبية بالكامل، وإنما كانت هناك كتابات متوازنة في مقالاتي الأخرى..

مع هذا يقول دكتور طاش: إن مرحلة أمريكا هي مرحلة الفورة الشبابية والحماس الذي كان به شيء من الثورية المفرطة، ومن ثم كانت الرؤية تأخذ هذا الطابع، وبخاصة في

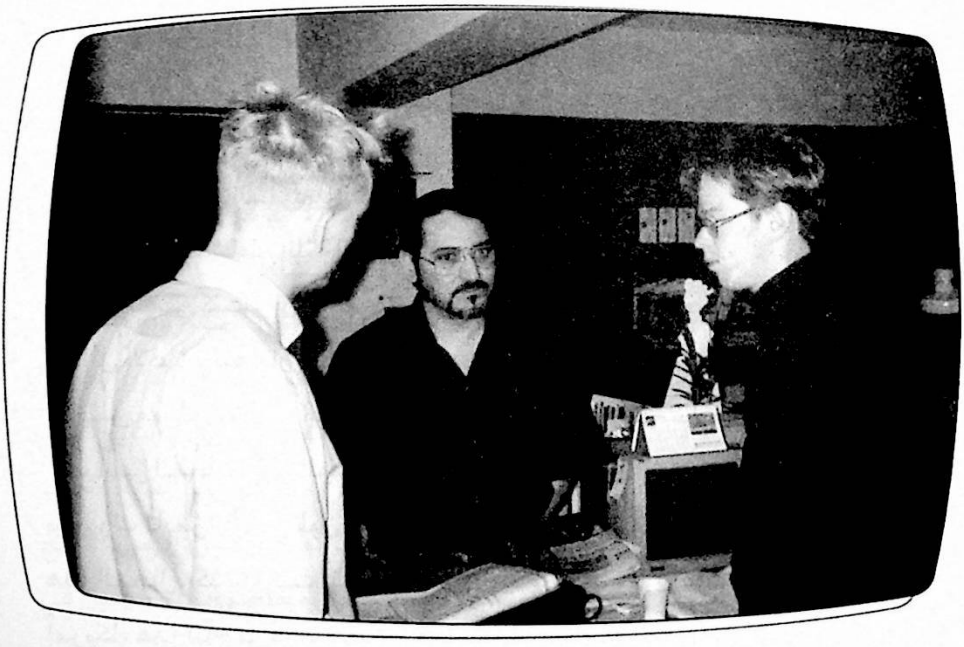

البدايات. ويقول: قضيت في الولايات المتحدة الأمريكية سبع سنوات يمكن أن أقسمها إلى مراحل؛ لأنها ليست كلها على وتيرة واحدة. في المرحلة الأولى كانت مرحلة الاندفاع والحماس، وذلك لمدة ثلاث سنوات والتي كانت فيها الأحداث الصاخبة مثل الخمينية، ورحلة السادات، وأحداث العالم الإسلامي والقضية الفلسطينية الملتهبة. في هذه المرحلة كان هناك اندفاع، ثم بدأت الأمور تتضح وتركد أكثر، وبدأنا ننخرط ونتفاعل مع الحضارة والفكر الغربي ومع المجتمع من حولنا بشكل أفضل، حتى الرابطة عندما بدأت كانت نشاطاتها محصورة بين الطلبة العرب، ثم بدأنا ننفتح قليلاً ونشارك غيرنا، ونأتي بمحاضرين أمريكيين يشاركون في مؤتمرات الرابطة، وبدأنا نطرح قضايا، وورش عمل وندوات لمعرفة كيفية الاستفادة من الحضارة الغربية في جوانب متعددة فكرياً وثقافياً وإدارياً. أنا شخصياً تفاعلتُ منذ البداية، وكنتُ مدمن إعلام؛ ولذلك ربما لم يكن كثير من زملائي يشاهدون ما كنت أشاهده في الإعلام، وأتابعه وأقرأه في الصحافة، وهناك من الطلبة السعوديين من كان في عزلة تامة، ولا يحتك بالمجتمع الأمريكي، أو أنه يذهب إلى الجامعة لحضور المحاضرات ثم يعود ليختلي بالشباب السعوديين في الحي الذي يسكن فيه، ثم يأتي إلى المركز الإسلامي ويشارك في النشاط باللغة العربية، بمعنى أنه لم يحتك بالمجتمع الأمريكي. أنا لم أكن كذلك، لكنني كنت أوازن وأتفاعل مع المجتمع الأمريكي، ومعظم التفاعل كان يتم عبر وسائل الإعلام باعتبار أن تخصصي هو الإعلام. كنت أدمن قراءة صحيفة كريستيان ساينس مونيتور، وكنت مشتركاً فيها وهي أرقى صحيفة سياسية أمريكية تمثل التيار السياسي المحافظ في الولايات المتحدة، وكنت أتابع الصحف الأمريكية الكبرى مثل نيويورك تايمز، وواشنطون بوست، وذلك بحكم تخصصي. وكنتُ أقوم بدراسات في هذا المجال. كذلك كنت أتابع التليفزيون الأمريكي، والإذاعات المحلية والوطنية في أمريكا، هذا أتاح لي فرصة كبيرة لكي أتفاعل وأكتب من خلال ما كنت أشاهده وأراه.

كنت أكتب في بعض الصحف الجامعية، وكان لي زميل فلسطيني في مرحلة الدكتوراة ـ هو الدكتور خالد سليمان ـ وكنا نحمل لواء الدفاع عن القضية الفلسطينية في صحيفة الجامعة، ودخلنا في صراعات مع اليهود والصهاينة في الجامعة.

ندم على عدم التفاعلية مع الغرب

ويستدرك دكتور طاش نادمًا على عدم تفاعله مع المجتمع الأمريكي قائلاً: لو عاد بي الزمن ربما وسّعت من دائرة التفاعل مع المجتمع الأمريكي، وربما أكون قد انشغلت أكثر بتفاعلي مع القضايا الإسلامية، وربما أضعت جزءًا من الجانب الفكري العميق في الحضارة الغربية. كانت معظم مصادري في الثقافة الغربية الأمريكية من الجانب الإعلامي، لذلك ربما تكون ثقافتي إعلامية أكثر منها فكرية، لم أكن من الإخوان الذين تابعوا عمالقة الفكر الغربي، إنما أخذت مقتطفات ولم أتعمق في ذلك، كان تفاعلي معاصرًا وحيًّا أكثر منه عميقاً مؤصلاً في الفكر الغربي.

ويقدم دكتور طاش شهادته على مناخ الحريات في الولايات المتحدة فيقول: مناخ الحرية الفكرية والاجتماعية، سواء في حرية التعبير أو التنظيم والانتقال، كانت متوافرة على نحو لم نكن نشعر معه بأي قيود.. والدليل على ذلك فإن فعاليات جمعية الشباب المسلم العربي ونشاطاته ـ وهي التي كانت قمة النشاط الثقافي الإسلامي في أمريكا ـ كان يحضرها الآلاف من الشباب، وكان يُدعى إليها المفكرون والعلماء والسياسيون، والنخب الثقافية والاقتصادية والفكرية المختلفة مثل: الدكتور حسن الترابي، والدكتور عبدالله عزام ـ يرحمه الله ـ والأستاذ راشد الغنوشي، والشيخ عمر عبدالرحمن الذي كان يجوب أمريكا ويلقي محاضرات. ومن الكويت الشيخ أحمد القطان، والدكتور عمر الأشقر، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق. ومن اليمن الشيخ الزنداني. ومن لبنان الدكتور فتحي يكن، وكانوا كلهم يلقون محاضرات ويتجولون في أنحاء الولايات المتحدة ويلتقون بالشباب، ويقدمون ما لديهم من أطروحات.

موضوعات ودراسات علمية

ولكن كيف كانت ميزة دكتور طاش العلمية؟ وما أبرز الدراسات العلمية التي ساهم بها؟ وأبرز الموضوعات التي تناولها في كتاباته العلمية؟

عن هذه الأسئلة يقول دكتور طاش: طبعًا أنا تخصصتُ في مجال الصحافة والإعلام، والتحقتُ بجامعة أوكلاهوما في مدينة نورمن، وهي من الجامعات المعتبرة في أمريكا، وليست من الجامعات الكبيرة والمرموقة، وليست أيضًا من الجامعات الصغيرة والمغمورة، فهي من الجامعات المتوسطة، والتحقت بقسم الصحافة والإعلام.

وقد كانت طبيعة الدراسة في مرحلة الماجستير إمَّا أن تكون مجموعة من المواد الدراسية لعدد من الساعات تأخذها وبعد ذلك تكون هناك مجموعة من البحوث خلال فترة الكورسات، وليس بالضرورة أن تحضر رسالة ماجستير ـ كما هو معهود ـ وهناك نظام آخر هو الجمع بين الأمرين، وأن تكون هناك مجموعة من الكورسات، ثم تخصص ساعات لتحضير رسالة الماجستير. أنا سلكتُ الطريق الأول ـ والحمد لله ـ مرحلة الماجستير في الإعلام ليست مرحلة في دراسة الإعلام، وليست مرحلة عملية وأنا خلفيتي متعلقة باللغة العربية، وليست في الإعلام من ناحية الدراسة، ومن ثم فقد أخذت مجموعة من الكورسات التي تسمّى كورسات التهيئة وهي حوالى ١٢ أو ١٤ ساعة تمهيدية، وأكملت بعد ذلك الساعات، كانت الدراسة مركزة على الجانب النظري في الإعلام وأساسيات الإعلام ونظرياته، بعد ذلك خصصت بعض الكورسات في مجال التحرير الصحفي، والإخراج، والكتابة الصحفية. وهكذا ولكنها محدودة وعبارة عن جانب نظري لأن الفرصة العملية في مرحلة الماجستير، ليست متاحة، كان عليّ كطالب أن أبدأ في الدخول إلى العمق، وأن أقوم بدراسة نظريات الإعلام والتعمق فيها، واختيار المنهجية التي سأتخصص فيها.

بالنسبة لمرحلة الدكتوراة يأخذ الطالب مجموعة كبيرة من الساعات قد تصل إلى

٦٠ ساعة نظرية، ثم بعد ذلك تحضر رسالة الدكتوراة، تفتحت أمامي آفاق كبيرة، ركّزت خلالها على نظريات الإعلام، وربما كان معظم تركيزي على الدراسة المقارنة لنظريات الإعلام، كان المعتاد هناك أنه توجد أربع مدارس تنظيرية في الإعلام: المدرسة السلطوية، وهي التي ترى أن الإعلام ينبغي أن يكون بيد السلطان، ويدخل في ذلك النظام الشيوعي، النظام الثاني هو ما يسمّى بنظام المسؤولية الاجتماعية، وهو خليط ما بين ملكية الدولة والسلطة لوسائل الإعلام، وبين وجود وسائل إعلامية حرة يمتلكها القطاع الخاص، وتكون النظرية التي تجمع وتؤسس لهذا الجانب ما يسمّى في هذا الجانب المسؤولية الاجتماعية، وحتى المؤسسات التي تجمع هيئات حكومية ينبغي أن يكون لها قدر كبير من الحرية، ويمثل هذه النظرية النظام البريطاني ووجود هيئات إعلامية تابعة للسلطة أو الدولة مثل هيئة الـ (بي بي سي)، وهي حكومية ولكنها في تركيبها وممارستها للعمل ومسؤوليتها تجاه المجتمع لديها من الحرية والمرونة ما يجعلها تتمتع بقدر من الاستقلالية وأداء دورها الاجتماعي، وتصبح مسؤولة أمام الدولة والمجتمع.

النظرية الأمريكية للإعلام

أما النظرية الثالثة، فهي النظرية الأمريكية التي ترى أن الإعلام لا ينبغي أن تكون له علاقة بالسلطة، لا من حيث الملكية، ولا من حيث الممارسة. والمجتمع وهي ما يسمّى بالنظرية الليبرالية، لذلك لا تجد في أمريكا وزارة للإعلام؛ لأنه ليست هناك هيئات إعلامية تابعة للدولة عدا بعض الجهات التي تمارس الدعاية للدولة مثل: مركز المعلومات الأمريكية وتتبعه صوت أمريكا كإذاعة حكومية. يرى البعض أن هناك تشابهًا بين ما تقوم به الشيوعية من تحكّم في الإعلام وبين النظرية السلطوية القديمة، ولكن هناك اختلافات وبخاصة في الجانب الفكري والإيديولوجي وهو أن

الإعلام الشيوعي، وبالذات في الاتحاد السوفيتي الذي كان منافساً للإعلام الليبرالي كان يختلف في أنه جاء بمدرسة إيديولوجية أراد أن يوظف الإعلام لخدمتها، ومن ثم لم تعد المسألة سلطوية، فحسب لأن الدولة في النظام السلطوي تريد أن تسخر الإعلام لخدمة سياستها الأممية كدولة لها إيديولوجية وفكر وليست مجرد سياسات. وتعتبر أن الإعلام عبارة عن أدوات ووسائل للمساهمة في التطبيع الإيديولوجي، والتربية العقائدية.. ومن هنا جاءت الفروق بين النظريات الأربع.

وكانت المشرفة على الرسالة رئيسة قسم الإعلام في جامعة جنوب إلينوي، وهي الجامعة التي حضّرت فيها مرحلة الدكتوراة كان اسمها شارون مورفي.

العلاقة مع المشرفة الأمريكية

ويقول دكتور طاش عن علاقته بمشرفته في الرسالة الجامعية: لقد كانت علاقتي بالمشرفة قد بدأت عندما تقدمت للحصول على الماجستير بجامعة أوكلاهوما، حيث تقدمت إلى جامعة جنوب إلينوي للدكتوراة، وقابلت رئيسة القسم الدكتورة شارون مورفي، وهي التي أجرت لي المقابلة الشخصية للقبول للدكتوراة. ويبدو أنها قد أعجبت بتحصيلي في الماجستير، وكوني أنتمي إلى المملكة العربية السعودية، ربما اعتبرته شيئًا جديدًا بالنسبة لها، فرغبت في أن تكون المشرفة عليَّ، ووجدت أنها مناسبة ما دامت هي رئيسة القسم، وبدأت العلاقة بيننا مبكرًا، وقبل بداية مرحلة الكورسات.

وحول مشاعره تجاه التعامل المختلط في الجامعات الأمريكية، وهو الأمر الذي لم يعتد عليه في بلده، يقول دكتور طاش: خلال مرحلة الماجستير درست على أيدي أستاذات تعلمت منهن كثيرًا؛ لذلك ليس هناك حرج في العلم، تركيزي على النظريات الأربع مع الدراسة المقارنة جعلني أفتح أفقًا جديدًا، والاهتمام بنمط جديد كان قد بدأ يتطور وينمو في الدراسات الإعلامية في أمريكا، وهو ما يسمّى بالإعلام التنموي،

وجدنا خلال دراسات المقارنة وهذه الأنواع من النظريات الإعلامية أن هناك نوعًا من عدم التوافق بين هذه النظريات، وما يعيشه عالمنا العربي والإسلامي.

من هناك بدأ اهتمام عدد كبير من الباحثين والدارسين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بنظرية جديدة وهي الإعلام التنموي. وهو ما يتناسب مع ظروف ومتغيرات المجتمعات في العالم الثالث، التي من أبرز صفاتها وخصائصها التنمية، ومن ثم قلنا إنه بدلاً من توظيف الإعلام لخدمة السلطة أو الإيديولوجيا أو الحقيقة الحرة تماماً كما هو في النظام الأمريكي الذي تجاوز مرحلة التنمية والبناء، وأصبح الإعلام عنده مرحلة من الترف يتجاوز فيها كل الحدود، وهذا يتناسب مع طبيعة المرحلة التي يمر بها، لكن في عالمنا الإسلامي هناك حاجة إلى حركة تنمية، وحركة بناء للمجتمع ووسائل الإعلام يمكن أن تكون من الأدوات والوسائل. لماذا لا يكون هناك توظيف للإعلام للمجالات التنموية، ومن ثم إيجاد نظريات تخدم هذا الجانب. من هنا بدأ الاهتمام بالتركيز في دراساتي وبحوثي، والأوراق التي أقدمها على هذا الجانب.. وفي هذا الإطار بدأت أقدم أبحاثي، وكوّنت خلفية جديدة في هذا الاتجاه. وبخصوص اهتمامي بمجتمعي المحدود ـ وهو المملكة العربية السعودية ـ بدأت أيضًا في كتابة مجموعة دراسات عن الإعلام السعودي.

دراسات جامعية عن الإعلام السعودي

ويذكر دكتور طاش أنه اعتمد على المصادر العربية التي كان يقوم بترجمتها، كما كانت هناك بعض الدراسات السابقة مثل دراسة للدكتور عبدالرحمن الشبيلي مثلاً، وهو من أوائل الذين قدموا دراسات مستفيضة وشاملة عن الإعلام السعودي، وربما هو أول من كتب عن الإعلام السعودي باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة، وكانت رسالته للدكتوراة عن تاريخ الإعلام السعودي، ومن ثم كان مرجعًا أساسيًّا من مراجع

كل الطلاب الذين أتوا بعده، وجزاه الله خيرًا.. فقد ترجم الكثير من المصادر السعودية إلى اللغة الإنجليزية، كذلك توالت دراسات وبحوث لزملاء آخرين أيضًا في مجالات متعددة، وكنا نستفيد منها، من ثم كانت رسالتي أنا باعتباري اهتممت بالإعلام السعودي، وركّزت على الأبعاد الاجتماعية والمهنية للإعلام السعودي وبخاصة الصحافة.

الصحافة السعودية مهنة أم هواية؟

وكنت أرى أنه حتى يمكننا دراسة الإعلام السعودي، ومعرفة التطور الذي وصل إليه، ينبغي علينا أن نربط ما بين تطور الإعلام كظاهرة اجتماعية، وبين تطور المجتمع في نواحيه المختلفة سياسيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وفكريًّا، وثقافيًّا.. ومن ثم كانت النظرة شمولية، ورسالتي للدكتوراة كان الجزء الأول منها يتناول هذه الأبعاد الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية للإعلام السعودي، والصحافة السعودية بشكل أخص، أخذت التاريخ في سياساته الثقافية، والاجتماعية، والسياسية.. وقسمت المراحل التي مرت بها الصحافة السعودية، ثم أخذت الصحافة كمهنة وطرحت السؤال: هل تعتبر الصحافة السعودية مهنة أم لا تزال مجرد هواية وممارسة اجتماعية، تتم عبر مجموعات من الذين يستهويهم بريق الشهرة والعمل الصحفي، وربما شيء من التفاعل الاجتماعي من خلال هذه الوسيلة، التي تنتشر بين الناس وعلاقة بين المرسل والمستقبل؟

ويستمر دكتور طاش في تساؤلاته: هل الصحافة مهنة في المجتمع السعودي؟ هذا سؤال كبير جعلني أبحث وأنقب، ما هي المقومات الأساسية التي لا بد منها في أي مهنة لكي تصبح مهنة؟ وبعد ذلك نطبق هذه الناحية على الصحافة السعودية. هذا الكلام كان في أوائل الثمانينيات لأنني تخرّجتُ وناقشتُ رسالتي في ١٩٨٣م، ومنذ

١٩٨٠ و١٩٨١ بدأت هذه الأفكار تراودني حتى طرحت هذا السؤال المهني. وجدت أن هناك في النظريات الموجودة ثلاثة مقومات وعناصر أساس لكي تصبح مهنة:

أولاً: أن يكون هناك تراث وتراكم معرفي يتعلق بهذه المهنة، وقدر معين من العلم بها. وبقدر ما يكون هناك تراكم يكون هناك علم بها.

ثانياً: لابد أن يكون هناك كوادر بشرية متفرغة لهذه المهنة، تعتبرها مهنتها، وتتخلى عن أي شيء في سبيلها، ولا تتخذها مجرد هواية، أو عمل إضافي، أو إشباع لرغبات معينة، لابد أن تكرس حياتها ووقتها لهذه المهنة، ويكون هناك عدد معتبر من الأشخاص يكرّسون أوقاتهم لها كأي مهنة أخرى.

ثالثًا: أن يكون هناك اعتراف وتقدير من المجتمع لهذه المهنة، وأنها مهنة تؤدي دوراً في المجتمع، وليست ترفًا، وليست مهنة كمالية.

عندما نطبّق هذه القواعد والشروط على الصحافة السعودية في ذلك الوقت عام ١٩٨٢م، نجد أن الأمر لم يكن بذلك الوضوح والدقة التي يمكن من خلالها أن نقول بأن لدينا مهنة تبلورت بصورة عريقة وقوية، ويمكن أن نطلق عليها مهنة الصحافة. لكني أستدرك بأن هذا الأمر ربما كان أكثر وضوحاً في الماضي، عندما بدأت بواكير الصحافة التي بدأت كهواية، وتعلم أن معظم من اشتغلوا بالصحافة من الأدباء وأصحاب المهن الأخرى، ولم يكن هناك أناس متفرغون إلّا بعد فترة.

كذلك لم تكن الصحافة لديها الكم المعرفي الذي يضع النظريات لها؛ لأن معظم الجامعات لم تكن بها أقسام للإعلام، وكانت قليلة في بعض الجامعات في بداياتها، لكن نقول إنه كانت هناك بداية لبلورة مفهوم المهنة، ولكن لا يزال السؤال قائماً حتى الآن، ولم يُدرس الدراسة الوافية الشاملة التي تجعلنا نحكم على الصحافة، ونؤصّل لها من الناحية المهنية، وربما يكون ذلك أحد الأسباب التي أدّت إلى عدم تطور الصحافة كأداء معرفي ومهني واجتماعي، حتى لو أخذنا النظرة الاجتماعية لدور الصحافة عندنا نجد في المجتمعات المتطورة على أنها السلطة الرابعة، هل ينظر لها

كذلك في المجتمع السعودي؟ ولذلك قلت: إن تلك المقومات لم يكتمل وجودها بشكل دقيق، وكان كثير من الناس ينظر للصحافة أحياناً نظرة دونية، وعلى أنها مكمل، أو مسلية، أو مضللة!! وكنا نسمع كلامًا يجرح في مصداقية الصحافة، وفي قدرتها على أن تقول الحقيقة، وعلى أن تقدم للناس رسالتها في المجتمع. أعود وأقول: إن ذلك السؤال لا يزال مطروحًا، وأرجو أن يتمكن الباحثون في جامعاتنا ومراكزنا من الخوض في هذا الجانب بشكل أكثر عمقاً وتنظيماً. ويستدرك دكتور طاش ليؤكد أن تغيرات طرأت على المجتمع السعودي، ساعدت على تطوير أداء الصحافة في المملكة، معتبرًا أن التطور الطبيعي الذي ينبغي أن يكون أكثر وتيرة في سرعته، ويجب أن تتوافر له الدراسات التي يمكن أن تؤصّل له، وتحدد مساراته وخطته العريضة، حتى يمكن أن تكون منهجاً للانطلاق في بلورة هذا المفهوم.

ويقول دكتور طاش: لا ينبغي أن يُنظر إلى الصحافة اليوم على أنها مجرد أداة تعبير عن الرأي فقط، أو أداة لتقديم الخدمة أو المعلومة للقارئ، هذه بعض وظائف الصحافة، وليست كل وظائفها. من جهة أخرى ينبغي أن تكون هناك رسالة للصحافة قبل الوظائف التي تؤديها، لأن الرسالة هي التي تؤطّر المفهوم العام الواسع والشامل للصحافة ودورها في المجتمع، ثم تأتي الوظائف التي تخدم هذه الرسالة. وأحسب أن هذه الرسالة لا تزال غائبة وغير موجودة، أو موجودة لدى أشخاص ومؤسسات محدودة. هذه الرسالة لا يمكن أن يبلورها ويضعها في إطارها التنظيري والعملي الصحفيون وحدهم، أو من يمارسون المهنة، وإنما هناك دور أيضًا للأكاديميين، والمنظّرين، ومَن درسوا الإعلام؛ لأن هناك جوانب كثيرة تحتاج إلى التراكم المعرفي والتنظيري لوضع هذه الرسالة للصحافة، وبلورة هذه الوظائف حتى يمكن التطبيق العملي لها بعد ذلك، ثم تقييم وتقويم هذا التطبيق لمعرفة الطريق الذي يمكن من خلاله الوصول لما نريده.

وينطلق دكتور طاش في رسالته من النظري إلى الواقعي، حيث يرى أنه من خلال المعايير التي وضعها هناك نوع من الغموض: لأن الصحافة السعودية كان فيها خليط من الصحف المؤدلجة، بمعنى أنها محافظة، وذات توجهات فكرية معينة، وصحف كانت بها شيء من المرونة والتوسع لكن في حدود.

بين (عكاظ) الليبرالية و(المدينة) المحافظة

فيقول دكتور طاش: إن صحيفة (المدينة) مثلاً كانت من الصحف الرصينة المحافظة، وكانت صحيفة (عكاظ) ليبرالية إلى حدّ ما، وتحاول أن تقدم شيئًا من الفسحة في الآراء. وبشكل عام فإن الصحافة السعودية كانت محافظة في توجّهها الفكري، ولم تكن هناك معارضة، أو أصوات صارخة وخارجة عن المألوف إلاّ نادرًا.

ومن الناحية الاجتماعية كانت محافظة كذلك. من الناحية المهنية لم تكن متطورة من حيث التناول الصحفي، كانت إخبارية في المقام الأول.

الجزء العملي في الرسالة

أما الجزء العملي في رسالتي. يضيف دكتور طاش. كان عبارة عن دراسة ميدانية لأهم الخلفيات الاجتماعية والمهنية لأهم العاملين في الصحافة السعودية، فقد درستُ ما يمكن أن يسمّى بالقائم بالاتصال في منظومة الاتصال، عندنا قائم بالاتصال وهو المرسل للرسالة، وهناك مستقبل ووسيلة وبيئة. أنا درستُ الصحافة من حيث هي مهنة وتطور في سياق سياسي واجتماعي وثقافي معين، ثم أخذت القائم بالاتصال لأدرس أيضًا علاقة هذا القائم بالجانب المهني بالذات، وكانت الدراسة ميدانية تشمل كل الصحف اليومية السعودية. فقد عملت استبيانًا وُزِّع على ما يقارب مائتين من الصحفيين والعاملين بالصحف السعودية من مسؤولين وغيرهم، وخرجت بنتائج كثيرة، وخلصنا إلى أن الغالبية العظمى من المتفرغين في الصحافة السعودية ليس لديهم رضا وظيفي عن أوضاعهم المهنية والوظيفية في الصحافة، ونسبة كبيرة كانوا يرون أن الصحافة السعودية لم تتطور، وتحتاج إلى مساحة واسعة من حرية التعبير. وكثير منهم لم يكونوا راضين عن التنظيمات المهنية داخل المؤسسات الصحفية. ونسبة المرأة العاملة في المجال الصحفي كانت قليلة جدًا.

وعن طبيعة الاستبيان الذي أجراه دكتور طاش في دراسته يقول: هناك استبيانات مقننة لقياس هذه الأمور، وتستخدم في كثير من الدول والمجتمعات، وعلى الباحث أن يقوم بتكييفها مع المجتمع الذي يستهدفه. وأنا درستُ بعضها واستفدتُ من مقاييس أُجريت في تركيا ونيجيريا وكوريا والهند، ومجموعة من الدول. وكانت تلك أول دراسة من نوعها تتناول الصحفيين وخلفياتهم وآراءهم من حيث مستواهم التعليمي، وخلفياتهم الثقافية، والدخل المادي وغير ذلك، ثم بعد ذلك آراؤهم حول القضايا

التي تهمهم وتهم الصحافة كأداء ورسالة، ودورها في المجتمع ونظرة المجتمع للصحفيين.

يقول دكتور طاش: سألت الصحفيين كيف يتوقعون أن تكون نظرة المجتمع لهم؟ فأفادوا أنها نظرة سلبية. لو أُجريت هذه الدراسة بين فترة وأخرى يمكن أن تكون خمس أو عشر سنوات، فإنها ستفيد في معرفة الفرق في تطور الآراء. لو أن جامعاتنا وباحثينا يهتمون بمثل هذه الدراسات فسيكون أفضل لنصل إلى تطوير المهنة، سواء في المجال الصحفي أو الإعلامي.

تقييم لكليات الإعلام في الجامعات

وعن تقويمه لكليات الإعلام يقول دكتور طاش: هذه قضية شائكة، وأنا من الذين خضت في هذا الجانب باعتباري مؤسس قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وخلفيتي الأساسية أكاديمية. وأنا درَّستُ في الإعلام لفترة طويلة، وتخرَّج على يدي عدد كبير، منهم أكاديميون وأساتذة جامعات. دخلتُ أيضًا في مجال التدريب الصحفي العملي، ودرَّبتُ مجموعة من الطلاب عندما كنتُ في الجامعة.

أقسام الإعلام أكاديمية وتهتم بالدرجة الأولى بالبحوث والدراسات المتعلقة بالإعلام، ومن ثم فإن الطالب في أقسام الإعلام من المفترض أن تكون لديه - عندما يتخرج - الخلفية العلمية للإعلام، وأعتقد أن التهمة التي توجه إلى أقسام الإعلام، أن خريجيها ليست لديهم خلفية علمية، وأكاديمية.. باطلة! وحسب اطّلاعي على مناهج الدراسة بجامعة الإمام، فإنها مناهج جيدة، وتؤسس لخلفية معرفية جيدة لمن يدرسها.

تبقى الإشكالية الأخرى وهي المتعلقة بالجانب العملي التطبيقي، فتلك مطالبة مشروعة في أساسها. ولكن إلى أي مدى وأي حد؟ هنا يأتي الاختلاف. ليست مهمة أقسام الإعلام أن تُخرّج الإعلامي المتمكن معرفيًّا وعمليًّا وتطبيقيًّا، إنما المطلوب

من أقسام الإعلام أن تُخرّج الطالب المتمكن معرفياً، ثم تُكسبه بعض المعارف العملية التطبيقية، كلٌ في مجاله.

فالذي يتخصص في الصحافة من الضروري أن يدرس الجوانب المتعلّقة بالصحافة مثل التحقيق الصحفي، والخبر الصحفي، والحديث الصحفي. ويدرس مواد التصوير الصحفي، والإخراج الصحفي. هو يدرس هذه المواد من الناحية النظرية، لكن الإشكالية أن قدرته على التطبيق تظل محدودة.

أولاً إذا كان لديه في القسم معامل صحفية كأستديوهات تقديم البرامج لخريجي الإذاعة والتليفزيون مثلاً يقوم بتقديم البرامج الحوارية، وبرامج المجلات التليفزيونية. هذه مواد يدرسها مثل الإخراج التليفزيوني والإذاعي، وفن الإلقاء. تطبيقاتها تختلف من قسم لآخر حسب الإمكانات المتاحة، ووجود المدربين الذين هم قادرون على توصيل هذه المهارات للطلاب.

معظم الأقسام لا تحتوي على هذه الجوانب، لا من حيث الكوادر البشرية؛ لأن معظم الكوادر البشرية من الأساتذة النظريين. ولا يوجد بينهم مدربون يمارسون عملياً. ثانياً الإمكانيات الفردية والتقنية غير متوفرة، فلا توجد وسائل في الجامعات، لديها نشرات تُسمّى صحيفة الجامعة، ولكن لا تتوافر فيها الرؤية الصحفية المتكاملة كما هي المؤسسة الصحفية، أيضًا هناك أقسام علمية تخصص ساعات في التدريب العملي، مثلاً عندما كنتُ في قسم الإعلام بالجامعة كانت المناهج التي تخصص في فصلين في السنة الأخيرة حوالى ١٢ ساعة عملية تدريبية. هذه الساعات من المفترض أن يقضيها الطالب في المؤسسات الإعلامية ليتدرب فيها. بدأنا بها، ولكن كانت تحتاج إلى إمكانات كبيرة مثل: تفريغ أشخاص حتى على المستوى الصحفي، كنا نعقد اتفاقيات بأن يقوموا بتخصيص أناس لتدريس الطلاب، وكثير من المؤسسات كانت تعتذر عن أن تقدم ست ساعات خلال فصل دراسي كامل ليفرغ لك خلالها

مجموعة من الصحفيين والعاملين في الصحيفة أو الإذاعة أو التليفزيون، هذا صعب ويحتاج إلى وسائط. وهنا طرحتُ فكرة إيجاد مؤسسات ومراكز تدريب إعلامي، تكون وسيطاً ما بين أقسام الإعلام وبين المؤسسات الصحفية. هذه المراكز يمكن أن تقوم بهذا الدور، وبذلك يمكن أن نجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي. مهما عمل الطالب من دورات صحفية نظرية يظل العمل الحقيقي، الذي سيصقل الموهبة، ويجعلها قادرة على العمل والعطاء مباشرة هو التدريب.

من ثم لا ينبغي على المؤسسات الصحفية أن تنتظر من خريج قسم الإعلام أن يأتيهم جاهزًا، لابد من أن تُقام له دورات على رأس العمل لسد هذه الفجوة، وإكسابه مهارات العمل، المهنة الصحفية متطورة، وكذلك التقنيات الصحفية متغيرة، ولا يمكن أن تنتظر من الطالب ما تعلمه من الجامعة فقط. لابد من مواصلة التدريب. العمل الصحفي ليس جامدًا كما في بعض العلوم.

أساتذة إعلام ملهمون

ويتكلم دكتور طاش عن الأساتذة الذين استفاد منهم في مجال دراسات الإعلام، فيذكر منهم دكتور ستيوارت فيقول: استفدت منه كثيرًا، فقد كان مهتمًّا بتطوير مجال الإعلام التنموي، وكان متعاطفًا مع الطلبة الأجانب. أمّا فيما يتعلق بالجانب العلمي والمنهجي، فلا شك أنني استفدتُ من كل الأساتذة، والأساتذة المساعدين من الناحية العلمية والمنهجية، حيث لم تعد نظرتي للإعلام هي أنه ممارسة لمن يريد الحديث والكلام. الأمر أعمق من ذلك. والإعلامي لابد أن يسنده الفكر والرؤية والقدرة على تطبيق المنهجية العلمية في العمل الإعلامي، هذا في الأساس.

في المجال الأدبي لابد من إجادة الكتابات الأدبية؛ لأن لها وظيفة إبداعية للقارئ، ولكن الرسالة الإعلامية تجمع بين كونها وظائفية وبين كونها إبداعية؛ لأن الوظيفة

التي تؤدي تلك الرسالة هي وظيفة إعلامية. ومعنى إعلامية أنها تعتمد على المعلومة الموثقة، وعلى الرأي الموضوعي، والتفسير المنطقي، والرؤية التي تربط بين هذا الحدث والموضوع الإعلامي، وبين السياق الفكري والاجتماعي والسياسي.

إذا لم يكن الإعلامي على قدر كبير من الاهتمام بهذا، فإنه لن يقدم رسالة إعلامية إبداعية. لكن هناك أناس إعلاميون يجمعون بين الرسالة والوظيفة، ولكن هناك المهنيون المحترفون. كذلك الذي يضع هذه الرسالة، ويبوبها في الجريدة لابد له أن يكون له مرجعه في العملية الإعلامية المتكاملة، ويهمني بالدرجة الأولى الإعلامي صانع الرسالة الإعلامية، ينبغي أن يفهم الرسالة الإعلامية؛ لأنها ليست مجرد معلومة محضة، بل تعتمد على الحدس والغريزة.. بينما الرسالة الإعلامية التي فيها إعلام تختلف؛ لأنها لا تعتمد فقط على عنصر العاطفة، وإنما تطرق ما يسمّى بالعقلية والمنطقية، ومن ثم فإن صناعة الإعلان المعلم أصعب بكثير من صناعة الإعلان الترويجي، رغم أن في الأخير بهرجة وبريقًا.

لا شك فإن نوع الرسالة سيعتمد على دور الشيء الذي يُعلن عنه، وعندما تسوّق لبضاعة، فإن الأمر يختلف عن تسويق الفكرة، والإعلان عن المؤسسة أو الشركة يختلف عن الإعلان عن شخصية اجتماعية أو صورة دينية. ينبغي التركيز على معرفة الهدف، وطبيعة الشيء المراد الإعلان عنه، هناك حالياً تداخل كبير بين الإعلان والعلاقات، والعلاقات العامة والإعلان والتسويق. ينبغي عدم الإسراف في تحويل الإعلام إلى ترويج وتسويق.

التفاعل مع المؤسسات الأمريكية

وعن التفاعل مع المؤسسات الإعلامية الغربية خاصة الأمريكية خلال فترة الدراسة يقول دكتور طاش: كانت في نطاق محدود كصحيفة الجامعة، والصحف، ومراكز

التليفزيون المحلية.. ولكن في الإجازات كانت هناك زيارات أشمل وأوسع. فقد زرتُ هوليود (مدينة السينما)، وزرتُ بعض المحطات التليفزيونية.

لقد ذهبت إلى هوليود لأعرف ما يجري خلف الكواليس، وماذا يجري هناك. أيضًا زرتُ بعض الصحف، ولكن الزيارات الحقيقية لم تكن إلاّ بعد التخرّج. بعد تخرّجي وعودتي أُتيحت لي عندما كنت رئيساً لتحرير صحيفة (عرب نيوز) فرصة لزيارة بعض المؤسسات الإعلامية الأمريكية مثل (يو إس إيه توداي)، وهي أشهر صحيفة أمريكية، وتعرفت على كيفية العمل وإصدار الصحف. وكانت تجربة فريدة من نوعها. فقد أعجب رئيس تحرير صحيفة (يو إس إيه توداي) بصحيفة (عرب نيوز) وما تقدمه حسب إمكاناتها.

أتيحت لي زيارة أخرى عندما كنتُ رئيساً لتحرير (المسلمون)، وكذلك عندما كنتُ رئيساً لقسم الإعلام بجامعة الإمام قمتُ بزيارة علمية لمدة شهر لعشرة أقسام إعلام في الجامعات الأمريكية، وكانت من أفضل الزيارات التي قمتُ بها من ناحية معرفة الجوانب العلمية لتدريس الإعلام، سواء من الناحية العلمية والمعرفية أو النظرية. زرتُ بعض الصحف التي كانت موجودة في الجامعات التي زرتها.

وقد امتد اهتمام دكتور طاش وتفاعله الإعلامي في فترة وجوده بالولايات المتحدة من الصحافة إلى الإذاعة، فيقول: اهتممتُ بالجانب الإذاعي والتليفزيوني، وأخذتُ مجموعة من الكورسات في هذا الجانب، كذلك كنتُ من الناحية العملية مدمناً للتليفزيون، وكنت أشاهده وأتابعه أكثر من الصحافة، ولكن كدراسة اهتممت بالصحافة.

وقد راسلتُ خلال هذه المدة عددًا من الصحف بالمملكة. فقد كنتُ أراسل صحيفة (الجزيرة)، وكانت تقدم أول صفحة متخصصة بالإعلام، وكان يشرف عليها في ذلك الوقت مجموعة من الإخوة الزملاء مثل: الأستاذ محمد التونسي، والأستاذ

صالح الحبيب، والدكتور عبدالرحمن حبيب، وكذلك مجموعة من الإخوة..
وكنتُ أراسلهم.. وكان معظم ما يتناولونه عن التليفزيون الأمريكي. من الكتابات التي كتبتها، وأثارت جدلاً عن مسلسل رجل الستة ملايين دولار. وقد كتبت عنه، وجاءت نقاشات كثيرة. وكانت الجريدة تصل إلينا عن طريق الملحقية الثقافية على عناويننا البريدية. كتبتُ أيضًا عن قضايا العنف في التليفزيون وتأثيره على الأطفال الذين يقلدون ما يشاهدونه.

عودة إلى أرض الوطن

في أواخر عام ١٩٨٣م عاد دكتور طاش إلى المملكة بعدما عاش في الولايات المتحدة مع أسرته وأولاده تجربة غنية إلى أبعد حد، يعلق دكتور طاش على مرافقة أسرته له:

أولاً حصّنتُ نفسي، وحدث لي نوع من الاستقرار العاطفي والاجتماعي في حياتي، وهذا ساعدني - بلا شك - على أن أركز في دراستي، وأنجح، وأتفوق، وجعلني أشارك في النشاط الثقافي والإسلامي ؛لأن هذا الاستقرار أتاح لي الجو الطيب لذلك.

زوجتي أيضًا لم تدرس دراسة نظامية في أمريكا، لكنها درست اللغة، ومن ثم أخذت تفكر في مساعدتي، وأعطاها ذلك تفرغاً في البيت. كان عندي ولدان عادل وخالد. كان عمر عادل خمس سنوات، وخالد ثلاث سنوات.. فتفرغت لي ولأولادها ومن ثم استفادت هي في دراستها الذاتية. وبحمد الله كان لديها الرغبة في التعلم، وساعدها كثيرون من حولها، ولم تنعزل عن المجتمع، بل تفاعلت معه حتى أن ولدي عادل أدخلناه المدرسة من أول يوم، رغم أن كثيرين كانوا يرون أن ندخله مدرسة عربية إسلامية، فكان قرارنا أن ندخله مدرسة أمريكية. وأعتقد أن كثيرًا مما تعلمه من اللغة الإنجليزية كان من ذلك الوقت. وفي بعض منهجيات التعلم الأساسية أعتقد أن المدرسة الأمريكية كان لها فضل كبير عليه، كانوا في المدرسة يعلمونهم منهجيات التفكير، وهذا أكثر ما يعجبك في المدرسة الأمريكية، أن يجعلوا الطالب يعتمد على نفسه في التفكير، وحل المشكلات التي تقابله، وفي التحصيل الذاتي. ليس كالمدرسة العربية التي يغلب عليها طابع الحشو والتلقين. وبذلك فإن عادل درس المرحلة الابتدائية إلى أن أنهاها في السنة قبل الأخيرة.*

* انتهى إلى هنا الجزء الذي استطعنا تسجيله مع الراحل - يرحمه الله -، وقد دخل المستشفى بعد تسجيل الحلقة الأخيرة وانتقل إلى - رحمة الله - في اليوم التالي.

ومضات عابرة من سيرة الحياة *

ميلاد وعلم:

أطل دكتور عبدالقادر طاش من شرفة الحياة على الدنيا عام ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥١م وانطلق من محضن الطائف القشيب في صباه إلى مراتع العلم والتعلم.

في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية حصل الفقيد على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥م..

إلى أمريكا أبحرت سفن الفقيد تحاول إيقاد مشعل نور في وقت كان العلم رديف الجهل في بدايات لم يكن الكثير يعرف لماذا يتعلم.. حطت رحال ذلك الشاب اليافع في ارض الولايات المتحدة الأمريكية ليتجاوز صدمة الانبهار التي طوحت برؤوس الكثير من أبناء جيله.. متماسك البنيان رغم ضآلة جسده.. ثاقب النظرة رغم غربة الحال.. غاص كثير من الشباب في تلك المرحلة في لذات الدنيا الفانية.. وهو هو.. مستمسك بدينه واضح في هدفه.. كان الإسلام الشامل المتكامل هو الذي يحرك فطرته السليمة فلم تهتز صورة هذا الدين العظيم في ذاكرته وهو يدرس نظريات الإعلام الغربي البعيدة عن الضوابط.. استل منهم النافع لدينه ومضى يقيمها برؤية المسلم الشرعية فنجحت المواءمة ونجح التواؤم بين منجزات العلم وأصالة الإسلام.

كان أول الاشتغال لخدمة الدين في مجتمع غريب عنه يحاول استلاب أبناء دينه وأمته.. فشارك في النشاطات الإسلامية وكان بارزا في المسجد الذي يقطن وتألقت خدمته لدينه وهو يبدأ أولى خطوات الركض الإعلامي الجماهيري عبر رئاسته لمطبوعة إسلامية تصدرها رابطة الشباب المسلم فأجج تفوقها.. مارس النشاط الدعوى أثناء دراسته وكان من فرط همته زياراته المتنوعة لمدن الولايات الأمريكية بغية

---

* عن ملحق (الرسالة) من إعداد الزميل أنور العسيري

الالتقاء بالشباب المسلم.. حصل الشاب عبدالقادر طاش على شهادة الماجستير في الصحافة والإعلام من جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م.

مسيرة أكاديمية:

عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م انتقل الدكتور عبدالقادر طاش إلى مرحلة أكاديمية جديدة إثر حصوله على شهادة الدكتوراه في الصحافة والإعلام الدولي من جامعة جنوب إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية فقد انتقل من ميادين التحصيل إلى ميادين إثراء الأمة وإنارة الطريق لمن غاب عنهم الوعي!! فالشاب الذي ارتحل إلى أمريكا عاد محملاً بنظريات علمية حديثة في الإعلام لكنه مع ذلك وفوق ذلك ظل مسلماً يفجره هم المسلمين فانطلق من حقيقة أن الإعلام الهادف حاجة إسلامية.

استفاد من نظريات الإعلام الغربي وبلور من خلال فهمه للدين نظرية إعلام إسلامي حديث ظل حلماً يكبر رغم محاولات التقليل التي واجهه بها المتربصون فنجحت الفكرة وسرت في جسده الصحوة الإسلامية وإبان عنفوانها الأول ملامح هذا الإعلام وآثاره التي نضجت قبل رحيله عنا.

منذ عام ١٤٠٤هـ وحتى عام ١٤٢٠هـ - (١٩٨٣ - ٢٠٠٠م) ظل يعمل كأستاذ مساعد ثم أستاذ مشارك ورئيس قسم الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الطريق إلى مهنة المتاعب:

- ١٤١٠هـ / (١٩٩٠م): عمل نائباً لرئيس تحرير مجلة (الدعوة) ثم رئيس تحرير مكلف.
- ١٤١١ ـ ١٤١٥هـ / (١٩٩١ ـ ١٩٩٥م): رأس تحرير صحيفة (المسلمون) الدولية الأسبوعية الصادرة عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر.
- ١٤١٤ ـ ١٤١٨هـ / (١٩٩٤ ـ ١٩٩٨م): رأس تحرير صحيفة (عرب نيوز) اليومية الصادرة باللغة الإنجليزية عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر.
- ١٤١٨ ـ ١٤٢٠هـ / (١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠م): أسس وأدار قناة (اقرأ) الفضائية.
- ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م): أسّس وأشرف على تحرير ملحق (الرسالة) الإسلامي الصادر عن جريدة (المدينة) السعودية.
- ١٤٢٠ ـ ١٤٢١هـ / (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م): عمل كمدير عام للإعلام والعلاقات العامة والمؤتمرات برابطة العالم الإسلامي ورئيس تحرير صحيفة (العالم الإسلامي).
- ١٤٢١ ـ ١٤٢٢هـ / (٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م): رأس تحرير صحيفة (البلاد) اليومية السعودية.
- ١٤٢٤هـ (٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م): عمل كوكيل عميد الشؤون الأكاديمية بمعهد إدارة الأعمال.
- ١٤٢٣ ـ ١٤٢٥هـ / (٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٤م): رأس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لدار إعلام للدراسات والاستشارات الإعلامية.
- ١٣٩٤ ـ ١٣٩٦هـ / (١٩٧٤ ـ ١٩٧٦م): التعاون مع إذاعة الرياض كمعد ومقدم برامج.
- ١٣٩٩ ـ ١٤٠٢هـ / (١٩٧٩ ـ ١٩٨٢م):رئاسة تحرير مجلة (الأمل) الصادرة عن رابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا الشمالية.
- كانت له كتابات في عدد كبير من الصحف والمجلات مثل: الشرق الأوسط، الأهرام، الجزيرة، الدعوة، المسلمون، المجتمع، اليمامة، الحج، الإعلام والاتصال.

- ١٤١٥ ـ ١٤٢٥هـ / (١٩٩٥ ـ ٢٠٠٤م): كاتب عمود يومي (نقطة ضوء) في (المدينة)، و(البلاد) و(عكاظ) إضافة لبعض المقالات في صفحة الرأي بصحيفة (الوطن).
- ١٤١٤ ـ ١٤١٨هـ / (١٩٩٤ ـ ١٩٩٨م): كاتب عمود أسبوعي في صحيفة (عرب نيوز).
- أعد وقدم عددًا من البرامج الإذاعية والتلفزيونية ومنها:
- ١٤٠٦ ـ ١٤١٠هـ / (١٩٨٦ ـ ١٩٩٠م): المجلة الإسلامية بالقناة الأولى.
- ١٤١٨ ـ ١٤٢٢هـ / (١٩٩٨ ـ ٢٠٠٢م): مدارات الأحداث بقناة (اقرأ) الفضائية.
- ظهر في العديد من البرامج الحوارية بالمحطات الإذاعية والقنوات الفضائية العربية والأجنبية.

التأسيس العلمي لأبحاث الإعلام:

- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الصحافة والإعلام وناقش العديد منها في الجامعات السعودية.
- حكم عشرات البحوث المتخصصة في الإعلام واعتمد عدداً من الترقيات.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والإسلامية في أكثر من عشرين دولة في العالم.
- ألقى مئات المحاضرات المتخصصة والعامة والتي تناولت قضايا الإعلام وشؤون العالم الإسلامي وهمومه.

عضوية الهيئات واللجان:

- عضو الجمعية العربية الإعلامية بدبي.
- عضو اللجنة التأسيسية للهيئة الإسلامية العالمية للتعليم برابطة العالم الإسلامي.

- عضو مجلس إدارة النادي العلمي السعودي.
- عضو مجلس التعليم بمنطقة مكة المكرمة.
- عضو لجنة المشورة الثقافية بمهرجان الجنادرية.
- عضو مجلس إدارة الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام.

شذرات قلم ومؤلفات الفقيد:

١ ـ رؤى على طريق الدعوة.

٢ ـ الصورة النمطية للإعلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي.

٣ ـ دراسات إعلامية.

٤ ـ الإعلام والتغريب الثقافي.

٥ ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي (مشاهدات وشهادات صحفية).

٦ ـ المسلمون في آسيا الوسطي والدور الإسلامي المطلوب.

٧ ـ أمريكا والإسلام.. تعايش أم تصادم؟.

٨ ـ قدرنا أن نكون إسلاميين.

٩ ـ الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي.

١٠ ـ الثقافة والإعلام وما بينهما.

١١ ـ تركستان المسلمة وأهلها المنسيون.

١٢ ـ نظريات إعلامية في القنوات الفضائية.

١٣ ـ الصحوة الإسلامية.. وقفات للمراجعة ورؤى للمستقبل.

إضافة إلى بعض الدوريات والكتب الصغيرة. وكتاب تحت الطبع بعنوان (من فورة الصحوة إلى رشد الوسطية)

مرب وأسرة:

رغم عبء المسؤوليات تقف خبرة التربوي الإعلامي ماثلة وهو يقدم ثلاثة من الأبناء وأربعة من البنات قد تفوق الجميع في حياته وخط بفضل الله ثم بسقاية الأب الحاني والمربي الكبير فأثمر البستان خير محصول.. في تجربة الدكتور طاش التربوية التي عاشها تلامذته من المقربين إدراك حقيقي لعظم الدور الذي انعكس خروجه من الأسرة موطن هذا الرجل الأول فلم تعق هموم الإعلامي عن ممارسة دور الأب فكان أباً حانياً كما هو معلم ناصح.. فأنعم بذلك الرجل.

ذاكرة هدف:

أصيب بداء السرطان في العام ١٤٢٤هـ، وظل حتى آخر أنفاس حياته يمارس عمله بدأب وجلد وصبر قل أن تجد له مثيلاً بالرغم من قسوة العلاج الكيماوي، حتى حانت لحظة الرحيل فأسلم فقيد الإعلام الإسلامي الأول روحه إلى ربه عصر يوم السبت الماضي الموافق ١٤٢٥/٢/١٣هـ ووري جثمانه الثرى فجر يوم الأحد في مكة المكرمة كما أوصى بذلك في آخر لحظات حياته.... وغاب وهج التجربة الرائدة..

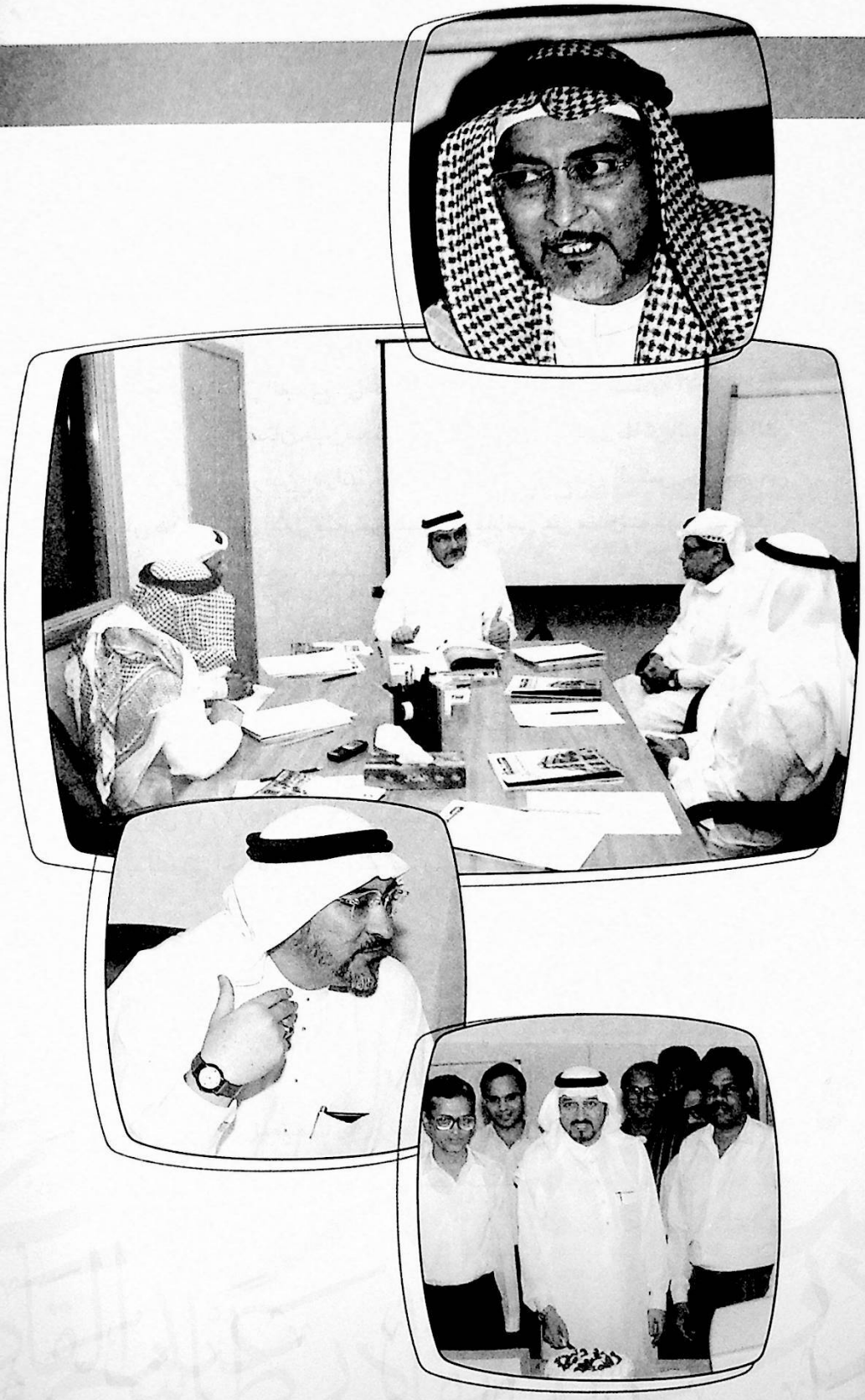

الباب الثاني

عبدالقادر طاش.. كاتبًا صحفيًّا

رسالة علمية تحليلية

عبد القادر طاش.. كاتبًا صحفيًّا*

دراسة تحليلية

تـؤدّي وسائل الإعـلام خاصة الصحافة العديد من الأدوار الوظيفية المهمّة في المجتمعات المعاصرة منها: تنوير الرأي العام، وزيادة الوعي الجماهيري، إذ تقوم بجمع ونشر المعلومات عن مختلف القضايا والأحداث التي تقع في البيئة المحيطة، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، كما تقوم بشرح وتفسير هذه القضايا والأحداث، وتوضيح دلالتها؛ مما يساعد الجمهور على متابعتها وإدراكها وفهمها.

وتعتمد الصحافة في أدائها على مجموعة من الفنون الصحفية، يأتي في مقدمتها فن المقال الصحفي بأشكاله المتعددة، فعلى الرغم من التطورات الهائلة التي طرأت على الصحافة في العصر الحديث، إلّا أنَّ فن المقال ظل يتمتع بأهمية ومكانة كبيرة، ويقوم بكثير من الأدوار الإعلامية المهمّة خاصة في ظل المنافسة مع وسائل الإعلام الأخرى، وفي إطار هذه المنافسة تسعى الصحف إلى الانفراد بعدد من كتّاب المقالات الصحفية، ممّن يحتلون مكانة متميزة لدى جمهور القرّاء، ويحظون بثقتهم بهدف الارتفاع بمكانة وأهمية هذه الصحف لدى القرّاء سواء في

الداخل أو الخارج، وفي هذا الصدد تبرز أهمية الدور الذي يؤديه هؤلاء الكتّاب نظرًا لثقافتهم الواسعة وسعة اطّلاعهم، وتنوّع معارفهم التي تجعلهم يتميزون بقدرة كبيرة في مجال صياغة الرؤى والتصورات، وبلورة المواقف إزاء العديد من الأحداث والقضايا والمشكلات.

---

* أجزاء مقتطفة من رسالة علمية في الإعلام تقدم بها مؤلف الكتاب للحصول على درجة الدكتوراة من الجامعة الأمريكية المفتوحة، والتي نالها بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وكانت بعنوان (عبدالقادر طاش كاتبًا صحفيًا).

كما يستمد هؤلاء الكتّاب أهميتهم من خلال مكانتهم الصحفية التي تجعلهم نائبين عن الجمهور، متحدثين بلسانه، وحاملين لهمومه وقضاياه، ومدافعين عن مصالحة، ومن كونهم يمثلون سلطة شعبية عليها مراقبة أعمال السلطات الأخرى وتقييم أدائها.

وفي هذا الإطار يعدُّ الكاتب الصحفي الدكتور عبدالقادر طاش أحد أهم الشخصيات الصحفية التي أثرت في الكثير من القرّاء على المستوى المحلي، وعلى مستوى الوطن العربي، حيث كانت تتبنى أفكارًا وآراء واتجاهاتٍ ذات طبيعة خاصة، ومن هذا المنطلق جاء اختيار الباحث للكاتب الصحفي الدكتور عبدالقادر طاش؛ ليكون موضوع البحث لمعرفة مدى حرصه على القيام بمسؤوليته الاجتماعية في توعية الرأي العام من خلال معالجته لهذه القضايا، وقد شهد المجتمع السعودي العديد من الأحداث المهمّة، والتحولات الهائلة في كل المجالات خلال النصف الثاني من القرن

العشرين، والتي أفرزت مجموعة من القضايا والمشكلات الجديدة التي كانت تستلزم من كتّاب المقال بالصحافة السعودية القيام بمسؤوليتهم الاجتماعية في توعية وتنوير الرأي العام حول هذه القضايا والمشكلات.

ويعدُّ الكاتب الصحفي الدكتور عبدالقادر طاش أحد الكتّاب الصحفيين في الإعلام السعودي، الذين حرصوا على القيام بوظائفهم وأدوارهم الإعلامية في مجال تثقيف وتنوير وتوعية الرأي العام حول قضاياه ومشكلاته، بجانب قضايا ومشكلات العالم الإسلامي بشكل عام، كما حظي عبدالقادر طاش بمكانة متميزة، ومصداقية عالية لدى جمهور القرّاء والمثقفين والمسؤولين على المستوى السعودي والإسلامي.

مشكلة الدراسة:

ترتبط الصحافة في المملكة العربية السعودية كإحدى الدول النامية بطبيعة الظروف المجتمعية، والنظام القائم فيها، وقد تشابهت السعودية في تاريخها المعاصر مع غيرها من الدول النامية والعربية في مجموعة من السمات، جعلت واقع الممارسة الإعلامية والصحفية بها يتقارب إلى حد كبير.. ومن هذه السمات:

معاناتها من أوضاع التبعية الاقتصادية والثقافية والإعلامية للدول المتقدمة، جمود الحِراك الاجتماعي لفترة طويلة، تفشي الأمية في بداية التأسيس وإلى عهد قريب، غياب أو ضعف المشاركة السياسية.

وفي مثل هذه الأوضاع، يواجه الكاتب إشكالية تجعله ينصرف إلى حد كبير عن الاهتمام بالقضايا، والأحداث العامة، والمشكلات الجوهرية التي يعاني منها المجتمع، للاهتمام بالمشكلات التي تستأثر باهتمام المواطن العادي، كما تفرض عليه الأخلاقيات والالتزامات المهنية القيام بمجموعة من الأدوار والوظائف والمسؤوليات الإعلامية في مجال تثقيف وتعليم وتنوير وتوجيه الرأي العام.

كما يواجه الكاتب الصحفي في هذه الدول مجموعة من الإشكاليات تؤثر في أدائه لأدواره، ووظائفه الإعلامية، وفي مقدمتها: طبيعة النظام الصحفي السائد في هذه الدول، وتبعية الصحف بها للسلطة، والهامش المحدود من الحرية الذي تتيحه السلطة لهذه الصحف، بل قد تستغل السلطة هؤلاء الكتّاب وتعتمد عليهم في إعادة إنتاج أفكارها وتوجهاتها، وتكريس أو تأكيد إجماع الآراء حولها، وتعبئة الجماهير لخدمة أهدافها، وتحديد وعي الرأي العام، وصرف انتباهه عن المشكلات والقضايا الجوهرية والسلبيات التي يعاني منها المجتمع.

وقد شهد المجتمع السعودي العديد من الأحداث المهمة، والتحوّلات الهائلة في كل المجالات خلال النصف الثاني من القرن العشرين، والتي أفرزت مجموعة من القضايا والمشكلات الجديدة التي كانت تستلزم من كتّاب المقال بالصحافة السعودية القيام

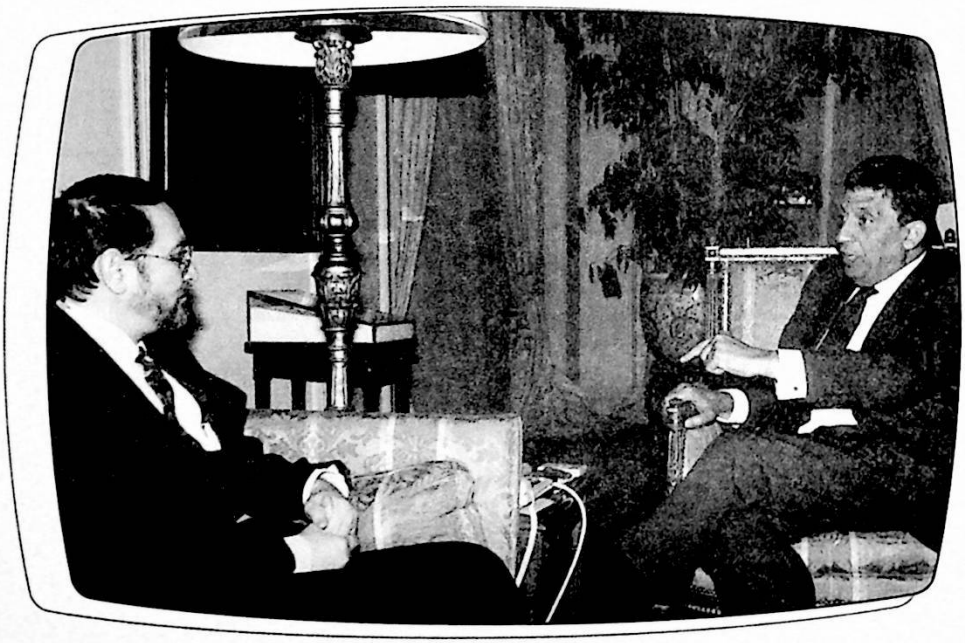

بمسؤوليتهم الاجتماعية في توعية وتنوير الرأي العام حول هذه القضايا والمشكلات. ويُعدُّ الكاتب الصحفي الدكتور عبدالقادر طاش أحد الكتَّاب الصحفيين القلائل بالصحافة السعودية، الذين حرصوا على القيام بوظائفهم، وأدوارهم الإعلامية، في مجال تثقيف وتنوير وتوعية الرأي العام حول قضاياه ومشكلاته، بجانب قضايا ومشكلات العالم الإسلامي بشكل عام، كما حظي عبدالقادر طاش بمكانة متميزة لدى جمهور القرّاء والمثقفين والمسؤولين على المستوى السعودي والإسلامي.

ومن هذا المنطلق، يمكن تحديد وبلورة مشكلة الدراسة في الكشف عن طبيعة الدور الذي سعى الدكتور عبدالقادر طاش إلى القيام به، من خلال مقالاته في مجال تنوير وتوعية وتثقيف وتوجيه الرأي العام، وخدمة قضايا العالم الإسلامي إزاء مختلف القضايا المتعلقة بالمجتمع السعودي والإسلامي، وذلك خلال الفترة من ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م، إلى وفاته ١٤ صفر ١٤٢٥هـ، الموافق ٤ إبريل ٢٠٠٤م، والتعرّف على العوامل والمتغيرات التي أثّرت في طبيعة هذا الدور، والأسلوب الذي تميّز به مقاله، وأساليب الإقناع التي استخدمها في عرض قضاياه.

أهمية الدارسة:

ترجع أهمية الدارسة للأمور التالية:

١ - أهمية الكاتب الصحفي الدكتور عبدالقادر طاش نظرًا لدوره المهم في المجتمع الإسلامي والصحافة العربية. فقد حظيت مقالاته بمكانة كبيرة لدى جمهور قرّاء الصحف، إذ حرص الكثيرون على متابعتها لاسيما زاوية (نقطة ضوء) بجريدة (المدينة)، وتجلّى ذلك في كثرة رسائل القرّاء التي نشرها عبدالقادر طاش في هذه الزاوية.

٢ - هناك الكثير من الشخصيات الصحافية السعودية يُعدُّ تاريخها ترجمة للعصور التي مرت بها البلاد، لما كان لها من دور في تطور الأحداث، ولما ساهمت به

من نصيب وافر في الحياة السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية، وخدمة الدين الإسلامي؛ لذلك فإن إلقاء الضوء على هذه الشخصيات إنما هو أولاً اعتراف بفضلهم، وفي الوقت نفسه بيان لما مرّت به الصحافة في عصور متباينة، ومن هذه الشخصيات الدكتور عبدالقادر طاش، الذي كان له دور فعّال في الحياة الصحفية والسياسية والاجتماعية في السعودية، إلاَّ أنه لم يلقَ عناية من الباحثين، ولهذا يُعتبر هذا البحث أول دراسة تحاول تحديد ملامح شخصية عبدالقادر طاش صحفيًا من خلال عمله في الصحف التي عاصرها.

٣. عدم وجود دراسة أكاديمية عُنيت بشكل أساسي بدراسة الدكتور عبدالقادر طاش، ومواقفه، واتجاهاته إزاء قضايا المجتمع السعودي والإسلامي بشكل عام، إذ إن الدراسات التي تعرّضت لتاريخ الصحافة السعودية تمت في إطار

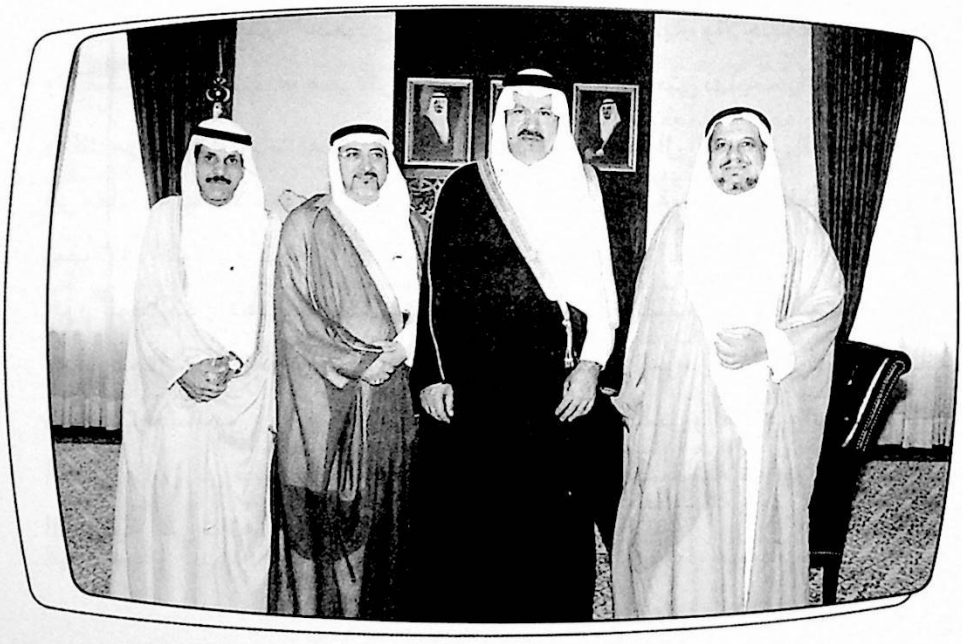

دراسة مواقف الصحافة السعودية بشكل عام، لذا تسعى هذه الدراسة إلى استكمال الجهود العلمية والبحثية في مجال مواقف الصحافة السعودية وكتّابها إزاء قضايا المجتمع السعودي، والأدوار التي سعى هؤلاء الكتّاب إلى القيام بها.

٤. تتيح هذه الدراسة الفرصة للتعرّف على العوامل والمتغيرات المختلفة التي تؤثر في تناول الكاتب الصحافي لقضايا مجتمعه، مثل تطور ظروف وقضايا المجتمع نفسه، والأحداث التي وقعت فيه، تنوع السياسات التحريرية للصحف التي عمل بها، تنوّع مواقفه الوظيفية في تلك الصحف، وعلاقته بالسلطة، وأوضاع الصحافة السعودية، ومستوى علاقتها بالسلطة، ومدى الحرية التي أتيحت لها.

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة رصد وتحليل وتفسير تطوّر معالجة مقالات الدكتور عبدالقادر طاش لقضايا المجتمع السعودي بمختلف أشكالها السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والدينية، منذ فترة بدايته ككاتب مقال، وحتى نهاية حياته..

وذلك من حيث أولويات اهتمامه بهذه القضايا، أنواع المقال الصحفي التي استخدمها في معالجته لها، الأبعاد والجوانب التي تناولها في كل قضية، الأسلوب الصحفي المميز لمقالاته، الأفكار والآراء التي طرحها، المصادر والأطر المرجعية التي استند إليها، أبرز الوظائف والأهداف الإعلامية التي هدف إليها، وتقييم الدور الذي سعى للقيام به في مجال توعية الرأي العام السعودي، والكشف عن العوامل التي أثّرت في كتاباته، وتأثير الخصائص والتكوين الاجتماعي والنفسي والسياسي والفكري والصحفي لعبد القادر طاش في تطور معالجته لمختلف القضايا، بجانب العلاقة بين تنوّع المواقع الوظيفية التي تولاها، وتطور معالجاته في مختلف مقالاته.

تساؤلات الدراسة:

١. ما هي أولويات الدكتور عبدالقادر طاش بالقضايا والموضوعات الخاصة بالمجتمع السعودي في مختلف المجالات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإعلامية، والدينية؟

٢. هل مثّلت القضايا التي تناولها قضايا أساسية وجوهرية في المجتمع السعودي، والإسلامي في ذلك الوقت؟

٣. هل تجاهل بعض القضايا الجوهرية خلال مراحل الدراسة؟

٤. ما الأفكار والآراء التي طرحها حول الأبعاد والجوانب والمواقف التي اتخذها إزاء قضاياه؟

٥. ما المصادر والأطر المرجعية التي قام بتوظيفها، والاستشهاد بها في معالجته لكل قضية؟

٦. ما أنواع المقال الصحفي التي استخدمها في معالجته لكل قضية؟

٧. هل أثّرت علاقة عبدالقادر طاش بالسلطة السياسية خلال فترة الدراسة في معالجته لقضايا المجتمع السعودي؟

٨. كيف أثّر التكوين الاجتماعي والنفسي والسياسي والفكري لعبد القادر طاش في طرح قضايا المجتمع السعودي في تلك الفترة؟

٩. كيف أثّرت رؤيته المهنية المتعلقة بدور الصحافة، والكاتب الصحافي في المجتمع السعودي في عرض قضاياه؟

١٠. ما هي مسارات البرهنة والإقناع التي استخدمها عبدالقادر طاش في عرض مقالاته؟

١١. إلى أي مدى التزم عبدالقادر طاش في عرض قضاياه خلال فترة الدراسة بالمعايير التي ينبغي على كاتب المقال الصحفي مراعاتها، بهدف توعية الرأي العام؟

١٢. كيف برعت رؤيته وتصوّره للمشاكل المطروحة على الساحة العربية والإسلامية والدولية خلال فترة الدراسة؟

نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التحليلية التفسيرية، التي تهدف إلى التحليل والحصول على المعلومات الكاملة والكافية والموثّقة عن شيء ما، كما تهدف إلى تحديد الدور الذي قام به كاتب المقال، والوقوف على اتجاهاته وأفكاره وتصوراته من خلال الدراسة، وتفسير ذلك في ضوء علاقتها بمجموعة من المتغيرات التي تم تحديدها سلفًا في أهداف الدراسة.

المناهج المستخدمة في الدراسة:

اعتمدت الدراسة على عدد من المناهج في محاولة لتحقيق التكامل المنهجي بينها وذلك كالتالي:

(١) المنهج التاريخي:

استخدم الباحث هذا المنهج الذي يقصد به جمع البيانات والمعلومات الماضية المتاحة عن موضوع الدراسة، وتنظيمها وإعادة تصنيفها، وتفسيرها للوصول إلى خلاصات جديدة، وقد تم توظيف هذا المنهج من خلال جمع المادة العلمية من مصادرها الأولية الأساسية والمتمثلة في مقالات عبدالقادر طاش، حيث شكّلت هذه المقالات الوثائق الأساسية لرصد وتوصيف وتحليل موقف عبدالقادر طاش من قضايا المجتمع في تلك الفترة، ثم جمع المادة العلمية من مصادرها الثانوية والتي تمثّلت في مجموعة من البحوث والدراسات والمؤلّفات حول أوضاع وظروف وقضايا المجتمع السعودي في مختلف المجالات خلال تلك الفترة، بهدف الإلمام الشامل بكل الأوضاع والظروف المجتمعية السائدة.

(٢) منهج المسح الإعلامي:

وذلك من خلال المسح التفسيري، بجانب المسح الوصفي، حيث قام الباحث بإجراء مسح وصفي شامل للصحف التي كتب فيها وتولّى رئاسة تحريرها الكاتب، وهي صحف (المدينة ـ البلاد ـ العالم الإسلامي ـ المسلمون ـ مرآة الجامعة)، وذلك بهدف دراسة وتحليل وتفسير موقف طاش، واتجاهاته من خلال مسح مقالاته. ولم يلجأ الباحث إلى اختيار عينة لتكون هي موضوع الدراسة، بل رأى الاعتماد على أسلوب المسح الشامل حتى يتسنى له دراسة مواقف الدكتور طاش إزاء مختلف القضايا دراسة شاملة متأنية، الأمر الذي يوضّح بشكل كبير دوره في الصحافة السعودية، وحركة تطوير المجتمع، بجانب مسح مضمون مقالاته التي تناول فيها بعض الجوانب الشخصية والمهنية المتعلّقة به، ومسح مضمون المقالات التي كتبها الصحفيون، والمفكرون، والمتخصصون.. وغيرهم حول الدكتور عبدالقادر طاش بالصحف السعودية والعربية.

(٣) المنهج المقارن:

وقد اعتمد الباحث على هذا المنهج بهدف التعرّف على أوجه التباين والتماثل التي طرأت على معالجة عبدالقادر طاش لقضايا المجتمع السعودي خلال فترة الدراسة، عن طريق مقارنة تصوّراته لهذه القضايا بين الصحف المختلفة التي عمل بها، والأنواع المختلفة لمقالاته الصحفية، المواقع الوظيفية والمناصب الإدارية التي تولاها بهذه الصحف، المراحل الزمنية المختلفة للدراسة.

أساليب وأدوات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على الأساليب والأدوات البحثية التالية:

١ ـ تحليل المضمون:

تم توظيف هذه الأداة بشقها الكيفي في تحليل مقالات الدكتور عبدالقادر طاش حول مختلف قضايا المجتمع السعودي والإسلامي خلال فترة الدراسة، باعتبار أن هذا الأسلوب فاعل لمثل هذه الموضوعات، حيث إن المقال الصحفي يُعدُّ رسالة إقناعية تستهدف إقناع الجمهور بآراء معينة، وذلك عن طريق رصد الأفكار الرئيسية التي طرحها في كل مقال حول كل قضية من هذه القضايا، وتصنيفها لعدة فئات رئيسية، والحجج التي استند إليها في تأكيد وتبرير وجهات نظره، ودحض وتفنيد الآراء المعارضة له، ورصد المصادر التي استعان بها، والأطر المرجعية التي وظّفها في تناول كل قضية، بجانب رصد أبرز الوظائف والأهداف الإعلامية التي كان يهدف إليها في معالجته لكل قضية.

٢ ـ مسارات البرهنة والأطر المرجعية:

وهي إحدى أدوات تحليل الخطاب، واستخدمه الباحث من خلال تحديد الحجج والبراهين ووسائل الإقناع التي ساقها الكاتب لإثبات المقولات والأفكار التي يتضمنها مقاله.

٣ ـ المقابلات المتعمِّقة:

من خلال إجراء عدد من المقابلات مع بعض الصحفيين الذين عملوا مع الدكتور عبدالقادر طاش ممن أتيحت للباحث فرصة الالتقاء بهم، وقد تم تحديد محاور خاصة بكل مقابلة على حدة، وفقًا لطبيعة علاقة كل شخصية بعبد القادر، بجانب بعض المفكرين والشخصيات الذين كانت تربطهم علاقات وطيدة مع الدكتور طاش.

الإطار الزمني للدراسة:

تناولت الدراسة الفترة الزمنية الممتدة من ١٤٠٣هـ إلى ١٤٢٥هـ (١٩٨٣م - ٢٠٠٤م).

مجتمع الدراسة:

وتحدد مجتمع الدراسة في كافة المقالات التي كتبها الدكتور عبدالقادر طاش في الصحف السعودية وهي صحف: (المدنية، البلاد، المسلمون، الشرق الأوسط، العالم الإسلامي، مرآة الجامعة).

عينة البحث:

تناولت الدراسة فن المقال الصحفي الذي كتبه الدكتور عبدالقادر طاش في صحف الدراسة بأنواعه المختلفة (مقال تحليلي - عمودي - مقال عرض)، وقد قام الباحث بإجراء مسح شامل لمقالات طاش المتعلقة بالقضايا والموضوعات المرتبطة بالمجتمع السعودي في محاولة للرصد، والتحليل الدقيق والشامل. وقد بلغ إجمالي المقالات التي قام الباحث بتحليلها ٨٣٤ مقالاً، وكان توزيعها حسب صحف الدراسة على النحو التالي: ٢٠٤ مقالات لصحيفة (المسلمون)، و٤٦ مقالاً لصحيفة (مرآة الجامعة)، و٥٨١ مقالاً لصحيفة (المدينة).

نتائج الدراسة التحليلية

يتناول هذا الباب نتائج دراسة التحليل الكيفي الذي قام به الباحث لمقالات عبدالقادر طاش في صحف الدراسة (المسلمون - المدينة - مرآة الجامعة).

أولاً - تحليل خطاب لمقالات عبدالقادر طاش في صحيفة (المسلمون) في الفترة من ١٩/٥/١٩٨٥م وحتى ٢٦/٥/١٩٩٥م.

ثانيًا: تحليل خطاب لمقالات عبدالقادر طاش في صحيفة (مرآة الجامعة)، في الفترة من ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ وحتى ٢٠ رجب ١٤٢٠هـ.

ثالثًا: تحليل مقالات عبدالقادر طاش في صحيفة (المدينة) في الفترة من ١٨/٣/ ١٩٩٥م إلى ٣١/١٢/١٩٩٩م.

وقد شملت الدراسة تحليل المقال الصحفي لعبد القادر طاش، والذي تنوّع ما بين مقال عمودي، ومقال افتتاحي، ومقال تحليلي.

وقد قام الباحث بتحليل (٨٣٤) مقالاً، وجاء توزيعها على صحف الدراسة كالآتي:

صحيفة (المسلمون) ٢٠٤ مقالات.

صحيفة (مرآة الجامعة) ٤٩ مقالاً.

صحيفة (المدينة) ٥٨١ مقالاً.

الموضوعات والقضايا التي عالجها طاش في صحف الدراسة:

من خلال تحليل الخطاب، توصلت الدراسة إلى أن عبدالقادر طاش قام بمعالجة القضايا الرئيسية الآتية:

١ ـ القضايا السياسية.

٢ ـ القضايا الثقافية.

٣ ـ القضايا الدينية.

٤ ـ القضايا الإعلامية.

٥ـ القضايا الاجتماعية.

٦ ـ القضايا التعليمية.

٧ ـ القضايا الاقتصادية.

٨ ـ قضايا أخرى.

وقد قام الباحث بتقسيم كل قضية رئيسية إلى عدد من القضايا الفرعية كالتالي:

أولاً: القضايا السياسية، وتم تقسيمها إلى عدة قضايا فرعية هي:

١. قضية الصراع العربي الإسرائيلي.

٢. قضية تآمر القوى.

٣. قضية الصحوة الإسلامية.

٤. قضية الأقليات المسلمة.

٥. قضية أزمة الخليج.

٦. قضية التنصير.

٧. قضية الوحدة العربية.

٨ قضية التطرف والعنف السياسي.

٩. قضايا أخرى.

ثانيًا: القضايا الثقافية، وتم تقسيمها إلى القضايا الآتية:

١ ـ قضية التغريب والغزو الثقافي.

٢ ـ قضية تجديد الفكر الثقافي.

٣ ـ الهوية الإسلامية.

٤ ـ قضية البحث العلمي.

٥ ـ قضية الفن.

٦ ـ قضية الإسلام والغرب.

٧ ـ قضية اللغة العربية.

٨ ـ قضية القراءة.

٩ ـ قضية ثورة المعلومات.

١٠ ـ قضايا أخرى.

ثالثًا: القضايا الدينية، وتم تقسيمها إلى القضايا الآتية:

١ ـ قضية الدعوة.

٢ ـ قضية الجهاد.

٣ ـ قضية تصحيح صورة الإسلام.

٤ ـ قضية تنمية الوعي الديني.

٥ ـ قضايا أخرى.

رابعًا: القضايا الإعلامية، وتم تقسيمها إلى القضايا الآتية:

١ ـ قضية الإعلام الإسلامي.

٢ ـ قضية الإعلام وتكوين الصورة.

٣ ـ قضية النفوذ الإعلامي.

٤ ـ قضية مسؤولية وسائل الإعلام (المسؤولية الاجتماعية).

٥ ـ قضية الفضائيات.

٦ ـ قضية الأداء الإعلامي.

٧ ـ قضية التطور في وسائل الإعلام.

٨ ـ قضايا أخرى.

خامسًا: القضايا الاجتماعية، وتم تقسيمها إلى:

١ ـ قضية الزواج.

٢ ـ قضية التكافل الاجتماعي.

٣ ـ قضية المرأة.

٤ ـ قضية الانضباط الاجتماعي.

٥ ـ قضية الانحراف.

٦ ـ قضية تربية الأبناء.

٧ ـ قضية الرعاية الصحية.

٨ ـ قضية الأمراض الاجتماعية.

٩ ـ قضية البطالة.

١٠ ـ قضايا أخرى.

سادسًا: القضايا الاقتصادية، وتم تقسيمها إلى الآتي:

١ ـ السعودة.

٢ ـ الوظائف والموظفون.

٣ ـ التكامل الاقتصادي.

٤ ـ حماية المستهلك.

٥ ـ التقدم الاقتصادي.

٦ ـ التبعية الاقتصادية.

٧ ـ قضايا أخرى.

سابعًا: القضايا التعليمية وتم تقسيمها إلى الآتي:

١ ـ العملية التعليمية.

٢ ـ تدريس اللغة العربية.

٣ ـ التعليم الابتدائي.

٤ ـ التعليم المختلط.

٥ ـ قضايا أخرى.

نتائج الدراسة:

- توصل الباحث إلى أن معظم القضايا التي عالجها طاش قد تناولها بالرؤية الإسلامية، بمعنى أن طاش في معالجاته الصحفية كان أميل إلى أسلمة القضايا، ويرجع هذا إلى التكوين الثقافي والفكري لطاش.
- توصلت الدراسة إلى أن طاش في صحيفة (المسلمون) اهتم بمعالجة قضية التآمر على الإسلام، وما يُحاك بالمسلمين، وما يدبّره أعداء الإسلام للأمة، حيث أوضح طاش تلك المؤامرات، وفنّد تلك المكائد، وحث المسلمين على التصدي لتلك المؤامرات.
- توصلت الدراسة إلى أن طاش في صحيفة (المسلمون) أولى قضية الصحوة الإسلامية اهتمامًا بالغًا، حيث رصد طاش واقع الصحوة الإسلامية وحِراكها

ومقوماتها، وتناولها بالنقد لتقويم مسيرتها، كما تناول المؤامرات التي تحاك بالصحوة الإسلامية، كما وضع طاش أسسًا منهجية وفكرية، لترشيد الصحوة الإسلامية وتفعيلها بما يتلاءم مع النظام العالمي الجديد من ناحية، وبما لا يخلّ بثوابت العقيدة الإسلامية من ناحية أخرى، ويرجع ذلك إلى أيدلوجية طاش وبنائه الفكري.

- توصلت الدراسة إلى أن طاش في صحيفة (المسلمون) أولى قضية الأقليات اهتمامًا كبيرًا، حيث جاءت في المرتبة الثانية، وقد اتضح من خلال التحليل أن اهتمام طاش لم يتغير بالنسبة لقضية الأقليات في صحيفتي (المسلمون)، و(المدينة)، وهذا يرجع إلى بعض الأمور منها: الجذور الأولى لطاش، فهو ينتمي إلى أقلية تركستان الشرقية، ومن ثم بقيت تلك القضية في عينه ووجدانه، كما

أن اهتمام طاش بقضية الأقليات في صحيفة (المدينة) يرجع إلى أن المجتمع السعودي مجتمع زاخر بكل القوميات الوافدة.. فمنهم التركستان، والهنود، والكشميريون، والأفارقة، ومن ثم فهو يخاطب هؤلاء الأقليات في مجتمعه السعودي.

- توصلت الدراسة إلى أن القضايا التعليمية جاءت في المرتبة الأولى بالنسبة لاهتمامات طاش في صحيفة (مرآة الجامعة)، بنسبة ٧٥. ٥٪، وهذا راجع إلى طبيعة صحيفة (مرآة الجامعة)، حيث إن هذه الصحيفة تابعة للجامعة، وهي المنبر الإعلامي لها، ومن المنطقي أن تنصب اهتمامات طاش باعتباره رئيس تحريرها، وعضوًا في هيئة التدريس على القضايا التعليمية المتعلقة بالطالب، والأستاذ، والمكتبة، والجامعة، والمنبر الإعلامي للجامعة.

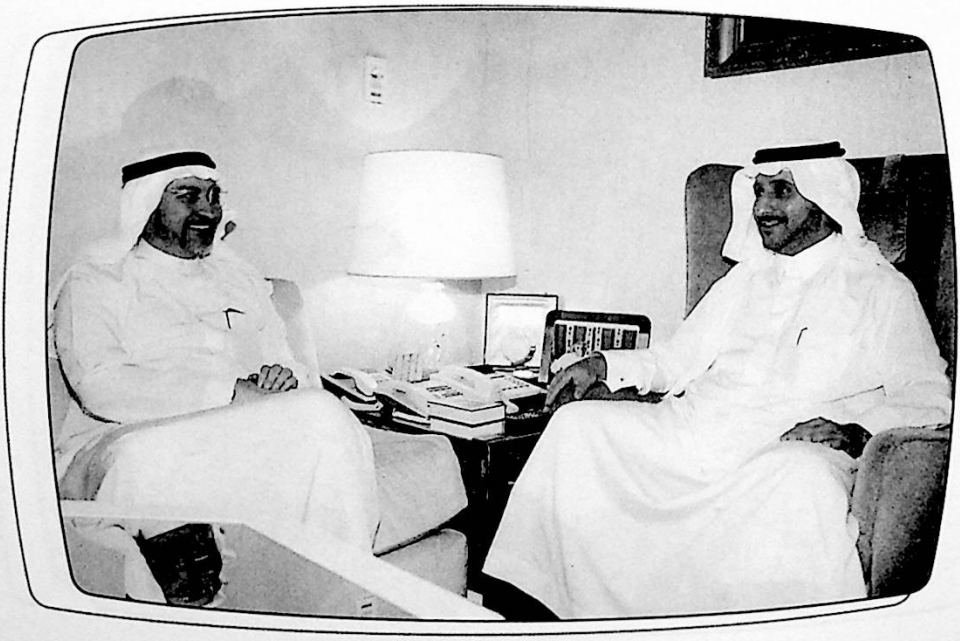

- توصل الباحث أيضًا إلى أن القضايا الاجتماعية والدينية، والإعلامية، جاءت في مراتب متدنية بالنسبة لاهتمامات طاش في صحيفة (مرآة الجامعة)، ويرجع ذلك إلى أن طاش قد عالج هذه القضايا في الصحف الأخرى التي كان يرأس تحريرها، أو يكتب فيها بصفة منتظمة مثل صحيفة (المسلمون)، وصحيفة (المدينة)، وغيرهما من الصحف، كما أن صحيفة (المرآة) ذات طبيعة خاصة، من حيث كونها منبرًا للجامعة وقضاياها الأساسية، وهي القضايا التعليمية والثقافية بوجه عام.
- تنوعت القضايا التي تناولها عبدالقادر طاش في صحيفة (المدينة) عن القضايا التي تناولها في صحيفة (المسلمون)، و(مرآة الجامعة)، فقد أفرد طاش مساحات واسعة للقضايا الاجتماعية، والاقتصادية، والإعلامية.. في حين

أن تلك القضايا جاءت في مراتب متدنية بالنسبة لاهتمامات طاش في صحيفة (المسلمون)، و(مرآة الجامعة)، ويرجع هذا في نظر الباحث إلى طبيعة صحيفة (المدينة)، فهي صحيفة محلية تُعنى بالدرجة الأولى بقضايا المجتمع واهتمامات الجمهور المحلي، على عكس صحيفة (المسلمون).

- توصل الباحث أيضًا إلى أن عبدالقادر طاش قد تطرّق في صحيفة (المدينة) لقضايا فرعية أخرى داخل القضايا الرئيسية، وذلك نظرًا لما أفرزته الأحداث والتطورات من ناحية، وأيضًا بما يلائم طبيعة الصحيفة والجمهور المستهدف.
- جاء اهتمام طاش بالقضايا الاجتماعية في صحيفة (المدينة) في المرتبة الأولى بنسبة (١٩. ٩ ٪)، ويرجع ذلك إلى طبيعة صحيفة (المدينة)، فهي

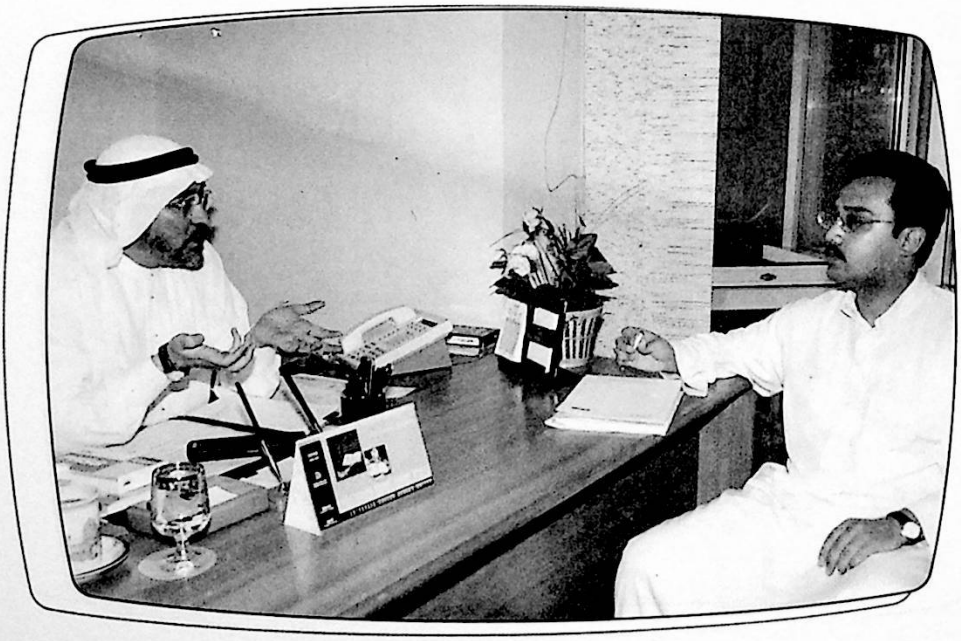

صحيفة محلية موجهة في المقام الأول للمواطن السعودي، ومن ثم فهي معنية بأحوال هذا المواطن وقضاياه، ومشكلاته الاجتماعية. بينما انصب اهتمام طاش في صحيفة (المسلمون) على القضايا السياسية والإسلامية. وجاءت هناك في المرتبة الأولى، وهذا يرجع إلى طبيعة كل صحيفة، وطبيعة الجمهور المستهدف.

- توصلت الدراسة إلى أن القضايا الإعلامية والاقتصادية قد احتلتا مرتبة عالية في اهتمامات طاش في صحيفة (المدينة)، بينما كانتا في نسبة متدنية في صحيفة (المسلمون)، ويرجع هذا إلى أن الواقع الاقتصادي، والتوجه الإعلامي يخضعان لمعايير خاصة تنطبق على كل مجتمع بعينه، بمعنى أن هذه المواضيع لها صفة الخصوصية المحلية، لا العمومية الدولية، ومن هنا فتناسب معالجتها

بشكل أكبر في صحيفة محلية كصحيفة (المدينة)، ولم يتناسب معالجتها بكثرة في صحيفة دولية كصحيفة (المسلمون).

- توصلت الدراسة إلى أن طاش أولى قضية الزواج اهتمامًا بالغًا، حيث جاءت في مقدمة اهتماماته بالنسبة للقضايا الاجتماعية، ويرجع اهتمام طاش بتلك القضية إلى أن قضية الزواج هي لب القضايا الاجتماعية، وهي محور استقرار المجتمع.
- توصلت الدراسة إلى أن طاش اهتم بمعالجة قضية الصراع العربي الإسرائيلي في صحيفة (المدينة)، ولم يتغير هذا الاهتمام عن صحيفة (المسلمون)، حيث جاءت تلك القضية في مقدمة أولوياته أيضًا في صحيفة (المسلمون)، وهذا راجع إلى طبيعة تلك القضية التي تمثل اهتمام العالم الإسلامي أجمع محليًا، وإقليمًا، ودوليًا. فهذه القضية تشغل بال الفرد المسلم في كل مكان.

- أثبتت الدراسة تراجع اهتمامات طاش بالنسبة لقضايا الصحوة الإسلامية، والوحدة العربية، وأزمة الخليج، في صحيفة (المدينة)، وهذا راجع إلى طبيعة تلك القضايا، والتي تتسم بالعمومية، فناسب اهتمامه بها في صحيفة (المسلمون) التي تخاطب الفرد المسلم في كل مكان في العالم، بينما صحيفة (المدينة) تخاطب المواطن السعودي، ومن ثم فمن غير المناسب التركيز على تلك القضايا العامة في صحيفة محلية.
- توصلت الدراسة إلى أن طاش نوّع القضايا الإعلامية التي عالجها في صحيفة (المدينة) بالنسبة إلى صحيفة (المسلمون)، حيث ظهرت قضايا إعلامية أخرى، لم يتناولها طاش في صحيفة (المسلمون)، مثل قضية الفضائيات، وقضية الأداء الإعلامي، وقضية التطور في وسائل الإعلام، وهذا راجع إلى مستجدات العصر، حيث ظهر في تلك الفترة موضوع الفضائيات بكثرة على الساحة العربية، حتى أصبحت ظاهرة لا يمكن إنكارها؛ لما أحدثته من تأثير.

- توصلت الدراسة إلى أن طاش أولى قضية الإعلام الإسلامي اهتمامًا كبيرًا، وأعطاها حيزًا كبيرًا من كتاباته، ويرجع هذا إلى تكوين طاش الثقافي والفكري.
- توصلت الدراسة إلى أن طاش أولى قضية تجديد الفكر الثقافي اهتمامًا بالغًا، حيث جاءت في المرتبة الأولى، وهذه القضية كانت محل اهتمام طاش أيضًا في صحيفة (المسلمون)، حيث كانت في المرتبة الثانية، ويرجع هذا الاهتمام إلى أن طاش لاحظ اختلاط المفاهيم الثقافية، وجنوح الفكر، وتضارب الآراء، وافتقار الحوار، ومن هنا فإن طاش قد عمل على تجديد الفكر، ووضعه في مساره الصحيح بالنسبة للرؤى الثقافية المتعددة.
- توصلت الدراسة إلى أن طاش اهتم بمعالجة قضية الإسلام والغرب، حيث جاءت في المرتبة الثانية في اهتمامات طاش بالنسبة للقضايا الثقافية، وذلك بعد الزخم الشديد حول الإسلام من قبل الدوائر الغربية.
- اتضح أيضا من خلال التحليل اهتمام طاش بقضية ثورة المعلومات، وقد نتج عن هذا الاهتمام بعد تعاظم ثورة المعلومات، وانتشار أجهزة الكمبيوتر بين الأفراد، وتنامي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وأصبحت المعلومات العمود الفقري في المجتمعات الحديثة.
- اتضح أيضًا من خلال التحليل اهتمام طاش بقضية اللغة العربية، ويرجع هذا إلى أن اللغة العربية هي محور القضايا الثقافية، وهي حامل تراث الأمة، وعلامة بارزة على هويتها الثقافية، كما أن اللغة العربية في نظر طاش - تمثل مطلبًا دينيًا، باعتبارها لغة القرآن الكريم.

الباب الثالث

شهادات المعاصرين

هذا الرجل شيمته الصبر!

بقلم: حمد بن عبدالله القاضي *

صبر في حياته على كثير من التحديات التي واجهها في أغلبية الأعمال التي تصدّى لها، و كان . رحمه الله . بجميل صبره، وحُسن نيّته، وصادق إخلاصه، يحقق فيها أعلى معدلات النجاح.

وفي مرضه كان الراحل العزيز الدكتور عبدالقادر طاش عنوان الصبر، بل وعنوان العطاء.. كنت عندما تتحدث إليه رغم الضعف البادي عليه . كما يبدو من صوته . يشعرك أنه بخير، رغم ما يعانيه من آلام الداء، ولكنه لم يستسلم . رحمه الله . رغم مرضه العضال، فكان أن أصدر كتابه الأخير عن الإعلام قبل أيام . وهو على فراش المرض، بل فراش الموت . رحمه الله.

أتذكر . في هذه اللحظات . واحداً من المواقف التي جمعتني به، وهي كثيرة، لكن أشير إلى هذا الموقف؛ لأنه يكشف عن شديد عزمه، وصدق عزيمته عندما يتجّه أو يتصدّى إلى أي عمل مهما كان عسيراً . بفضل الله .، ثم بما جُبل عليه من تفانٍ واجتهاد، بل جهاد ينتصر ويحقق طموحه في العمل الموكل إليه.

أذكر قبل سنوات عندما جمعنا مع بعض الإخوة المثقفين بالرياض، مع بدء التفكير بإنشاء (قناة اقرأ) الفضائية، وقد تم الاجتماع بالرياض بحضور صاحب القناة ومؤسسها الأستاذ صالح كامل، وعندما بدأ الحديث إلينا كان الراحل الغالي يتحدث بشكل دقيق، وفكر مرتب، ورغم أن هذا العمل الإعلامي الجديد على الساحة الإعلامية، بصفة (قناة اقرأ) أول قناة فضائية إسلامية، إلاّ أنّه كان منظم الأفكار،

* عضو مجلس الشورى، رئيس تحرير المجلة العربية

واضح الرؤية، أبان عن أهداف القناة وطموحاتها، والتحديات التي يمكن أن تواجهها، وكان الشعار الجميل الذي وضعه لها (متعة الإعلام الهادف)! وفعلاً قامت القناة، وبدأت البث، وحققت النجاح، وبعد أن استوت على الجودي، واطمأن على نجاحها، غادرها بكل هدوء وصمت؛ ليكون على موعد مع عطاء آخر، ونجاح جديد، فكأنه ـ رحمه الله ـ سحابة خير، لا يرغب أن يخص مكاناً دون آخر.

من هنا كم تكون خسارتنا كبيرة وفادحة بفقد أمثال هؤلاء (الروّاد)، في وقت أحوج ما نكون إليهم، وفي وقت تواجه فيه عقيدتنا وأمتنا وبلادنا أعتى التحديات من بعض أبنائها، ومن أعدائها معاً.

أجل كم نحن بحاجة إلى أصوات إعلامية مثلما كان نهج الراحل العزيز.. أصوات تسعى إلى تقديم إعلام إسلامي واعٍ، ينشر فضيلة التسامح، وثقافة التعدد، ورؤية الإسلام التي لا أحسب أن دينا آمن بالتعددية مثلما آمن الإسلام، وبنص القرآن الكريم.

وبعد:

إنَّ عزاءنا في الراحل العزيز، أنَّه أعطى، وقدّم، وأسس، وأبقى له طلاباً أوفياء يسيرون على نهجه الإعلامي الجاد والملتزم.

اللهم اغفر لأخينا الراحل العزيز وارحمه، اللهم أجزه خير الجزاء عمّا قدّم لدينه، ووطنه، وأبناء وطنه. اللهم أجعله من الذين تستقبلهم الملائكة قائلين مرحبين: (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)، وأسأل الله كما جمعنا على محبته في الدنيا، أن يجمعنا معه في الحياة الأخرى.

د. عبدالقادر طاش (رحمه الله)

بقلم: د. سلمان بن فهد العودة *

زرته في مرضه، ورأيته وقد تهلّل سريره الأبيض لآيات الصبر والإيمان، التي تشعُّ من محيّاه رغم آلام جسده الذي أمضّه المرض وأنهك قواه.

حادثته.. فوجدت روحه الوثّابة ما زالت في تألقها، ونفسه توّاقة لإكمال طريقه الإعلامي، الذي قلَّ سالكوه، واستوحش ناظروه.

وصدق الله إذ يقول: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

قلة هم الذين يستبقون الأحداث، وينظرون إلى مرامي البصر، ويدركون واجب المرحلة، ويكونون كالغيث لا يُبالي على أي أرض سقط.

حصل الدكتور عبدالقادر طاش - رحمه الله - على البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٩٥هـ، ووجد أمته بحاجة إلى من يتخصص في مجال صدَّ عنه الكثيرون، ويُنظر إليه بعين الريبة والشك، والاتهام بالذوبان، والتبعية.

أدرك أن الحرب الضروس التي تطحن العقول، وتمسخ الهويات، وتُميت العقائد دون إراقة قطرة دم واحدة هي حروب إعلامية تنوّعت أسلحتها؛ من مكتوب في الصحف، إلى مسموع في الإذاعات، إلى مشاهد في الفضائيات.

فقه - رحمه الله - منذ تخرجه أن هذه الحرب تحتاج إلى إعلامي مسلم، يحمل همَّ أمته، ويؤمن برسالته، ويترجم ذلك إلى واقع عملي في دنيا الناس، مصداقاً لقوله ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ». حديث صحيح.

* داعية إسلامي سعودي

ومن ثَمّ رحل إلى الولايات المتحدة، وحصل على الماجستير في التخصص الذي شغل فكره وخاطره (الصحافة والإعلام) من جامعة أوكلاهوما سنة ١٤٠٠هـ، ثم ما فتئ بنشاط وجدٍّ ودأب أن حصل على الدكتوراة في التخصص ذاته سنة ١٤٠٣هـ، وأثناء هذه الفترة لم يكن مشروع حياته الإعلامي نظريًّا فقط، بل مارسه عمليًّا، من خلال ترؤسه لمجلة (الأمل) الصادرة عن (رابطة الشباب المسلم العربي) في أمريكا الشمالية، ثم قفل راجعاً إلى بلاده، حاملاً طموحاً إيجابيًّا بناءً، وملكة صحافية واعدة؛ مما جعل مهمته صعبة في بيئة تُعاني من تفشي الأميّة، والتبعية الاقتصادية للدول الكبرى، والأعراف والتقاليد الاجتماعية المتجذّرة، والتي أكثرها لا تعتمد على أسس شرعية ثابتة عند التفتيش عنها.

ومن شأن هذا وغيره أن يجعل الكاتب، أو الإعلامي يُولي ظهره للقضايا الجوهرية، والإشكالات الأساسية في مجتمعه مهتمًّا بقضايا فرعية، قد تكون حديث فئة دون أخرى.. بيد أنها لا تمسّ واقع الحياة الفعلي.

إضافة إلى أن النصف الثاني من القرن الحالي في ديارنا قد حفل بأحداث وتحوّلات على مختلف الصُعد، أفرزت مجموعة معقّدة من القضايا الجديدة، ألزمت بعض الإعلاميين التّنحي، أو مواجهة دور الإصلاح والتوعية والتنوير، وقد اختار عبدالقادر ـ رحمه الله ـ الطريق الثاني.

إن الحديث عنه، هو حديث عن مجتمع، وترجمة لعصره الذي عاشه متفاعلاً مع قضاياه، حتى بات من أهم الشخصيات الإعلامية على المستوى المحلي والعربي.

فمن خلال مجهودات فذّة واعية، حاول إخضاع نظريات الغرب الإعلامية وتوظيفها لخدمة الإسلام.

فعندما عمل في جامعة الإمام ـ بعد عودته ـ تراه يؤسس قاعدة أكاديمية للإعلام الإسلامي في قسم الإعلام، وكان شعاره: تسخير الإبداع الإعلامي لخدمة الإسلام.

ترأس صحيفة (المسلمون) (١٤١١هـ - ١٤١٥هـ)، وكان اهتمامه - آنذاك - منصبًّا على معالجة قضايا التآمر على الإسلام من أعدائه في الداخل والخارج: فكتب، وفنَّد، وصحّح، وحثَّ على تكاتف المسلمين ضد أعدائهم.

كان صاحب ثوابت إسلامية، وفهم ثاقب، ترى ذلك في رصده للصحوة الإسلامية وقادتها، ومقوماتها، وتناوله لقضاياها نقداً، وتقويماً، ونصحاً، وإرشاداً.

اهتمّ بالأقليات الإسلامية، وموقفهم الشرعي، وأوضاعهم، وشغله - أيّما شغل - الصراع الإسلامي اليهودي في فلسطين وغيرها، وأولى ذلك اهتماماً كثيراً.

عُني بتجديد الفكر الثقافي الذي تخبّطت فيه الآراء والمفاهيم، وافتقر لأبسط مقوماته وهو الحوار.

ترأس لمدة أربع سنوات صحيفة (عرب نيوز) اليومية الإنجليزية عبر الشركة السعودية للأبحاث والنشر.

كان من أوائل المدركين أن العصر الذي يعيشه هو عصر انفجار معلوماتي هائل، وأن العالم أصبح كقرية واحدة، بل كشقة واحدة، وأن الكلمة المرئية الموجّهة هي من أعظم خطابات العصر ومواكبة لروحه؛ فكانت فكرة تأسيس قناة (اقرأ) الفضائية ١٤٢٨هـ، والتي لعبت دوراً رياديًّا لما جاء بعدها من القنوات، فارتقى بالإعلام الإسلامي وسط تحديات صعبة.

أصدر لجريدة (المدينة) ملحق (الرسالة) ١٤٢٠هـ، فأمتع القرّاء بوسطية سمحة في الفكر والمفاهيم.

رأس تحرير صحيفة (العالم الإسلامي)، فطوّرها، ونهض بها بحسّه الإداري، وأفقه الصحفي الواسع.

كان يؤمن بفكرة البث المضاد، وهو البث الإسلامي الموجّه إلى إفريقيا وأوربا والغرب، وأن يسخّر المسلمون هذه التقنية الفضائية لخدمة الإسلام، وأنه لا سبيل

لنا لمواجهة زخم الفضائيات الباطل الذي ينشر الرذيلة، ويفسد الأخلاق والعقائد إلّا بضرورة استثمار وسائل الإعلام الجماهيرية؛ لمجابهة هذه التحديات الكبيرة، وذلك في سبيل تكوين وعي جديد بالمعطيات الحضارية للإسلام، وقدرتها على بناء نموذج حضاري عظيم، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾

كان دكتور عبدالقادر طاش روحاً إيمانية فعّالة، تجادل بالتي هي أحسن، وتنصر الحق بالكلمة، وتعزز الحجّة بتسخير الآلة الحديثة لصياغتها وإيصالها للناس.

ولقد كان من الحق للروّاد وهو منهم أن تحفظ الأجيال لهم فضلهم، وتجعلهم في محل الأسوة والقدوة، فهو ممن سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، نحسبه كذلك والله حسيبه، ولقد سرَّني أن ينبري الإعلامي النشط الدكتور عبدالعزيز قاسم - وهو أحد المقربين من الدكتور عبدالقادر طاش، وهو خليفته في ملحق الرسالة - لإعداد دراسة عن هذا العَلَم، تكون أداء لبعض حقه على الجيل الذي تتلمذ عليه، وأفاد منه، وترسّم خطاه.

رحم الله الأستاذ عبدالقادر، وخلفه في أهله وولده ومحبيه وتلاميذه بخير، ورفع درجته في المهديين، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

فقيد الوسطية

بقلم: د. محسن العواجي *

إنَّ القلب ليحزن، وإنَّ العين لتدمع، ولا نقول إلاَّ ما يرضي الرب: وإنّا عليك يا أبا عادل لمحزونون. رحمك الله يا دكتور عبدالقادر طاش، رحلت عن هذه الدنيا فما ذكرك الذاكرون إلاَّ بخير.

لقد كنت مثالاً لرجل المبدأ والعمل الصامت، بدأت المسيرة وقورًا، ومرضت صبورًا مأجورًا، ورحلت من الدنيا منقلبًا إلى أهلك مسرورًا بإذن الله، لم تخض مع الخائضين الذين جعلوا مصالحهم الشخصية فوق كل اعتبار، عايشت أحداثًا موسمية لغيرك، فلم تغير من طريقك الذي رسمته لنفسك راجيًا ما عند رب البشر، مُعرضًا عن هبات البشر، آثرت الصعود على جبل القيم والمبادئ، حملت لواء الوسطية، فحظي الجانب الفكري منها بإسهاماتك عبر عشرات الكتب، ومئات المقالات، وأمّا الجانب الإعلامي الذي كنت مبرزًا فيه، فقد أكسبك احترام الغالبية، فما قُرئ لك تشفٌّ من أحد، ولا انتهازية لموقف، ولا استعداء لسلطة، بل كنت حريصًا على العبارة الشرعية المشروعة، فثبّتك الله وسط أعاصير المزالق الرسمية، والأهواء البشرية التي راح ضحيتها الكثير ممن عاصروك، فلم يقدروا على مقاومة الإغراء، فسلكوا كل وسيلة تبرر لهم غاية البقاء، حتى ارتبطت بعض صحفنا بأسمائهم عقودًا من الزمن، مستميتين في البقاء فيها بأي ثمن، وكأن الأمهات لم يلدن سواهم، فهرم إعلامنا مع شيخوختهم! يقول لي أحدهم ـ وقد بدت عليه مظاهر الثراء الفاحش في زمن قياسي لما رأى الدهشة على وجهي: لن أستطيع العيش لولا توظيف المهنة.... ؟ لا عليك يا فقيدنا الفاضل، ألا ترى بعض من تملّقوا لك في حياتك طمعًا فيما عندك، ثم افرنقعوا عنك، ليس بعد

* أكاديمي سابق وناشط إصلاحي

رحيلك فحسب، وإنما في مرضك! لما رأوا التجارة واللهو عند غيرك، هؤلاء نسوا أن الرجال الذين يرجون الله واليوم الآخر إنما يعملون لوجه الله أولاً، لا ينتظرون من عبدة الدرهم والدينار، ولا من اللاهثين وراء المناصب والمصالح جزاءً ولا شكورًا، هذه الجرائد التي وصفت الليدي ديانا بأنها شهيدة! وأخرى نشرت مغامرة لأحد كتَّابها مع عشيقته الصينية.... ليست منابر ينعى من فوقها الرجال الأفاضل، الذين لهم مكانة في قلوب أولياء الله وأحبائه، وما حاجة أبي عادل بشهادة المشبوهين، وهو الذي كسب ثقة المصلحين، ورجال العلم والفكر الذين يحبهم ويحبونه يوم أن كان فارس ميدانه، لا يُبارى ولا يُجارى، حتى ترجّل راضيًا بما استوفى من رزق وأجل.

لقد رحل الدكتور عبدالقادر طاش، وخلَّف وراءه مدرسة إعلامية وسطية، هو صاحب لوائها، وبإذن الرب الكريم سيلقى أجره عنها مضاعفًا في يوم يبحث البعض عما قدّم إعلاميًّا، فلا يجد سوى أوزار من التملق للمسؤول، والتصفيق لمن يُرجى من ورائه كراع شاة، أو شق تمرة.. ألا بئس ما يفعلون. إنَّ محبتنا لأخينا المرحوم - بإذن الله - الدكتور عبدالقادر تجعلنا نقدّر كل من كتب عن هذا الرجل داعيًا له ومذكرًا بفضائله، وفي الوقت نفسه نسجّل عتبنا، بل أسفنا على منابر إعلامية تعرف عنه أكثر من غيرها، لكنها جحدت حقه بعدما استيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا، تمارس الانتقائية حتى في لحظات الحزن والفراق!! ألم يكن بعضها يتعمد تصفية حسابات ماضية، أو مواقف شخصية تتعارض مع المواقف الإنسانية الواجبة في مثل هذه المناسبات؟! تبًا لمن يتخذ إلهه هواه، ويسخّر صحيفته مستبدًا للنطق باسمه، أو باسم تياره، أو زمرته.. مهما تشدّق بالوحدة الوطنية، وسمو الهدف، وقداسة الرسالة، نقول ذلك لتسجيل الموقف المريب لهؤلاء الذين يزعمون أنهم يقسمون رحمة ربنا، دون الحاجة لشهادتهم، وعندنا شهود الله في أرضه لأبي عادل وغيره من الفضلاء.

أيُّها الصحفيون والكتَّاب، كفى بالموت واعظًا، أما ترونه يتخطفنا واحدًا واحدًا؟

أما يرى البعض أنهم يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون؟ أما علم الصحفيون أنهم يدوّنون عملهم الصحفي بأيديهم، وفي الدنيا فوق الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها في الآخرة؟ ليت الأحبة يستعدّون للحظة الغرغرة، حين تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله، وإن كنت لمن الساخرين، إني لأحسب أبا عادل ممن سيسره ما كتب طيلة العقود التي أمضاها في خدمة الكلمة الهادفة - بإذن الله -، ولا نزكّي على الله أحدًا. لقد نجح - رحمه الله - في المحافظة على لغة إعلامية معتدلة، لم تفقده الموقع القيادي، لكنها لم تذهب به مذاهب الآخرين الذين إن أُعطوا منها رضوا، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون. فرحم الله فقيدنا أبا عادل. ولله ما أخذ وله ما أعطى. وكل شيء عنده بأجل. و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

عبدالقادر طاش.. كيف عرفته؟!

بقلم: عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس *

عشتُ همًّا ثقيلاً عندما أُعلن عن المرض الخطير الذي حلَّ بزميلنا وصديقنا الأستاذ الدكتور عبدالقادر طاش، وحاولتُ الاتّصال به في المستشفى التخصصي بجدة لأسمع صوته، وأُسمعه صوتي الملحف بالدعاء له أن يمنَّ الله. جل وعلا. عليه بالشفاء العاجل. ولم أستطع تحقيق ذلك. بكل الأسف. وأصبحتُ أتتبع أخبار حالته الصحية مما تنشره الصحف. في تلك الفترة. وكانت في إعطاء الصورة الحقيقية عنه بين مدٍّ وجزر.

وكتبتُ عنه إلمامة في زاويتي الأسبوعية بجريدة (الجزيرة)، الثلاثاء الموافق ١١ شعبان ١٤٢٤هـ، أثنيتُ عليه بما هو أهله.. ولا أدري هل اطّلع على تلك الكلمة الموجزة أم لا.. طمعًا في أن يعلم أن إخوانه ومحبيه لله وفي الله.. يقفون معه في محنته وابتلائه بما هو في مستطاعهم ومقدرتهم.. وهو المشاركة الوجدانية والدعاء له.. أما الشفاء والعافية فهي من خصائص العليم القدير.. سبحانه وتعالى.

وقبل وفاته بأيام.. أعلنت الهيئة العامة لحقوق الإنسان، التي أُنشئت حديثًا بأن الدكتور عبدالقادر طاش قد أصبح عضوًا في هذه الهيئة. فاستبشرنا خيرًا بأن أخانا الحبيب قد شُفي أو كاد..

ولكن ما كادت عضويته تعلن حتى أُعلن عن وفاته. رحمه الله. فأيقنتُ بأن ضمّه لعضوية هذه الهيئة ليس إلّا رفعًا لمعنوياته، واعترافًا بأدواره الإعلامية والدعوية والثقافية التي خاضها في حياته المباركة. إن شاء الله. وبخاصة إنجازاته ومهماته الصعبة التي

* رئيس النادي الأدبي بالرياض السابق

مارسها في عالم الصحافة من جريدة (المسلمون)، حتى جريدة (البلاد).. إضافة إلى جهوده الأكاديمية تدريسًا وتأليفًا.

لقد رأس تحرير عدد من الصحف السعودية، وأضفى عليها روحه الإسلامية، وطموحه المستشرف لإعلام ناجح ومؤثر في خدمة الثقافة الإسلامية.

ولعل من أهم إنجازات الراحل الكريم.. مشاركته في إنشاء (قناة اقرأ)، التي تعتبر من خير القنوات العربية الفضائية، وأكثرها نفعًا، وتوعية، وتوجيهًا لملايين المسلمين، الذين استفادوا منها الكثير الكثير في أمور دينهم ودنياهم. وقد أدارها، وأدار فيها عددًا كبيرًا من الندوات، واللقاءات الحوارية الطيبة.

نسأل الله أن يجعل ذلك مرجحًا لميزان حسناته، وأن يثيبه أجزل الأجر والثواب.

لقد عرفتُ الأخ عبدالقادر طاش قبل ثلث قرن، وذلك حينما كان هو وعشرات من مبتعثي جامعة الإمام محمد بن سعود لتحضير الماجستير والدكتوراة في كل من: مصر، وأمريكا، وبريطانيا. وكان هو من المبتعثين إلى أمريكا. وكنتُ حينها أمينًا عامًا للجامعة، ثم مشرفًا على الدراسات العليا والبعثات.. وكنت أتلقى منه خطابات كثيرة تتصل بالمبتعثين في أمريكا، يتحدث فيها عن بعض المعوّقات التي تعترض أحوال بعض الدارسين وما يتصل بشؤونهم. وكنتُ أجد من مدير جامعة الإمام ـ يوم ذاك ـ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي كل استجابة وتسهيل لمهمة هؤلاء المبتعثين، وتحل كل مشكلة بأسرع وقت ممكن، حتى ترتاح نفوسهم، ويجعلون كل همِّهم في التحصيل جودة وسرعة في العودة إلى الوطن؛ ليقوموا بالمهام والواجبات التي بعثتهم الدولة من أجلها.

ثم جمعتني بالدكتور عبدالقادر بعد نيل الدكتوراة وعودته إلى الوطن، وقيامه بعمله الذي عُهد به إليه في نفس الجامعة، جمعتني به عدة مؤتمرات، ولقاءات كثيرة.. في أمريكا، وبريطانيا، ولبنان، فضلاً عمّا جمعتني به داخل المملكة.

ومن خلال التزامل والتشارك في تلك المؤتمرات والندوات، لم أجد في هذا الرجل الوديع المسالم، وفي كل حالاته إلاّ مثالاً كريًا. لرجل يقل أمثاله في سماحة نفسه، وعلو خلقه، وكريم سجاياه، وتمتعه بالفكر الإسلامي الرحب المعتدل والمتزن، والذي ليس في عداد المتشددين الغلاة، ولا المتطرفين الجفاة، ولا أُزكّي على الله أحدًا.

ومن أحبه الله أحبه الناس. ولعل في التدفقات القلمية التي ملأت صفحات عديدة من جميع الصحف المحلية.. من يوم وفاته، وإلى ما شاء الله من أيام قادمة رثاءً له، وتمجيدًا لبعض صفاته الخيّرة ما يشير إلى أنها (بشرى المؤمن).

رحم الله عبدالقادر طاش. وجبر مصيبة أهله وذويه ومحبيه. (إنا لله وإنا إليه راجعون).

في ذكرى عبدالقادر طاش

بقلم: محمد صلاح الدين *

أفكّر دائمًا في أخي الدكتور عبدالقادر طاش ـ يرحمه الله ـ كمثال كريم للمهنية الإعلامية العالية، وللأستاذية العلمية الأصيلة، لكنه يظل كإعلامي محترف، يتميّز بثلاث مميزات هامة، أولاها أنه جمع بين الجانب العلمي النظري من المهنة الإعلامية، والجانب العملي، أعني جانب الممارسة، وأنه تمرس ـ ثانيًا ـ بالإعلام المكتوب والمرئي والمسموع، وفي طليعة ذلك تأسيس مشروع قناة (اقرأ) الفضائية الإسلامية، ورئاسة تحرير عدد من المجلات والصحف اليومية الكبيرة، وأخيرًا فقد كان ـ يرحمه الله ـ، في طليعة الإعلاميين الذين حرصوا على تأصيل الإعلام الإسلامي منهجًا وممارسةً، نظريةً وتطبيقًا، وكل هذه المميزات قلَّما توفرت لغيره من أقرانه الإعلاميين.

ولابد أن يشير المرء إلى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ، قد وهب أخي الدكتور عبدالقادر طاش، الكثير الكثير من دماثة الخُلق، وحُسن المعشر، وكريم الخصال، واستقامة السلوك، مما هو أساسي ولا غنى عنه لنجاح الإعلامي وأصالته وإنجازه، وضروري لاتّساع دائرة علاقاته، وعمق تواصله مع محيطه، وقوة تأثيره في كل من هم حوله.

ولقد كان من فضل الله على أخي الدكتور عبدالقادر ـ يرحمه الله ـ أن وفّقه ـ سبحانه ـ لدراسة الماجستير والدكتوراة في جامعتين أمريكيتين، فكان أن استوعب من خلال ذلك دروس التقدّم الإعلامي المذهل في الولايات المتحدة الأمريكية، وأبعاد التطور المتسارع في المهنة الإعلامية مثلاً، ونظريةً، وتطبيقًا، فأعانه كل ذلك على عمق الرؤية، وجودة الأداء أستاذًا لطلابه في الجامعة، وقياديًّا ممارسًا في مختلف المناصب في الصحافة المكتوبة، والإعلام المرئي، وكشخصية إعلامية تتعامل بمهنية عالية

* إعلامي وناشر سعودي

مع الشأن العام على الصعيد المحلي والعربي والإسلامي والدولي.

تلك كلمة ذكرى للأخ العزيز، والفقيد الكريم الدكتور عبدالقادر طاش، وتحية تقدير لوفاء تلميذه أخي الدكتور عبدالعزيز قاسم، والله أسأل أن يتقبل منا - سبحانه - جميعًا صالح أعمالنا، وأن يشملنا بفضله وعفوه وغفرانه، وأن يجمعنا في مستقر رحمته، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أبو عادل.. كما عرفته

بقلم: د. إبراهيم بن محمد أبو عباة *

رحم الله أبا عادل.. فقد عرفته قبل خمسة وثلاثين عامًا، وكنا آنذاك طلابًا في الجامعة في كلية اللغة العربية. وقد جمعتنا رحلة طلابية إلى المنطقة الشرقية بدعوة من شركة (أرامكو)، وقد كانت هذه فرصة للتعرف على أخي الحبيب دكتور عبدالقادر عن قرب. ولعلّ من حُسن حظي أنَّ غرفتي بجانب غرفته، ولهذا كنا نلتقي كثيرًا، وقد شدَّني ما يتصف به. رحمه الله. من أدب جم، وخلق رفيع، وسمت وصمت مع بشاشة لا تفارق محيّاه، وابتسامة دائمة، ومما يشدّك لأبي عادل نظافة مظهره ومخبره.. يلفت نظرك بلباسه الأنيق، وحديثه المفيد.

وكان رحمه الله على درجة عالية من الصلاح والاستقامة. دخلت عليه ذات مساء بعد أن عدنا من برنامجنا ذلك اليوم، وكان الوقت متأخرًا، فوجدته فارشًا سجادة صلاته، واقفاً بين يدي ربه في خشوع وتذلل يصلي صلاة الوتر. وعجبت من شاب.. وفي سفر.. وفي غرفة لا يراه فيها أحد.. يحافظ على السنن! إنه بحق (شاب نشأ في طاعة الله). وعدنا من رحلتنا المباركة، وتخرّجنا في الجامعة، وذهب كل واحد منا في سبيله. وعلمت أن أبا عادل قد ابتعث للدراسة، وكانت تأتيني أخباره بين حين وآخر. وألتقيه في أوقات متباعدة. وأعلم شيئًا من أخباره السارة بأنه تخصص في الإعلام، ولم ينس قط - وهو في الغربة - أنه سعودي مسلم، فحافظ على هويته، وعقيدته، وأخلاقه، ولم تشغله الدراسة عن وظيفته الكبرى في هذه الحياة، فحمل

* أكاديمي ومدير التوجيه والإشراف بالحرس الوطني

مشعل الدعوة، وانضمّ إلى قافلة الأخيار من أبناء بلده وأمته، يدعو إلى دينه بالتي هي أحسن، مستخدمًا أسلوب القدوة والعمل الجاد، ولم يشغله هذا عن دراسته، فعاد متفوقاً إلى بلده ليواصل رسالته بكل إخلاص! لم يذب في ذلك المجتمع، ولم ينبهر بما فيه. فهو يملك رصيدًا كبيرًا من الاعتزاز بدينه، وقيمه، والحب الشديد لبلاده ومجتمعه.. عاد وهو أصلب عودًا، وأكثر عزيمةً، وأعلى همّةً.. عاد وهو يحمل مشروعًا كبيرًا بعد أن رأى أثر الإعلام وخطورته وشدة تأثيره، وأن صناعته في يد أعداء الأمة، فطرح مشروعه الحضاري (الإعلام الإسلامي)، وجاهد واجتهد من خلال عمله رئيساً لقسم الإعلام في جامعة الإمام على إرساء قواعد هذا الفن.. ووضع أُسسه وآلياته حتى استوى على سوقه وآتى ثماره. ولم يكتفِ بذلك.. بل راح يعمل في الميدان لممارسة ذلك في الواقع من خلال عمله رئيسًا لتحرير جريدة (المسلمون)، وعمل بعدها مديرًا لقناة (اقرأ)، وواصل مسيرة العطاء بكل همّة وإخلاص واقتدار، حتى وافاه الأجل المحتوم رافع الرأس، عالي القامة.. رحمك الله أبا عادل رحمة واسعة، وغفر لك ولوالديك ولجميع المسلمين، وجمعنا جميعًا في مستقر رحمته، إنه سميع مجيب.

في وداع أخي
الدكتور عبدالقادر طاش

بقلم: د. سعيد بن ناصر الغامدي *

إذا كانت في القصائد الطوال عدة أبيات لا تُنسى، فهناك علاقات وصداقات هي مآثر باقية في الذاكرة لا تُمحى، وعبد القادر طاش. رحمه الله. من هذا الصنف المنقوش على صفحة القلب، وفي أعماق الذاكرة.

لن أستعيد هنا ذكريات خاصة، رغم ندواتها وطيبها، بل أحاول أن أشعل بعض الضوء من أجل الحياة، وأذكّر بهذا الاسم من أجل المبدأ والهوية والشرف، وأرسم بعضاً من هذا النجم من أجل الطموح والهدف السامي، والطريق القويم، لأني لا أشك أن هناك من يبحث عن مثل هذه المضامين، ويسأل عن دروبها ونماذجها.

أفكّر في عبدالقادر ـ رحمه الله ـ ومقالاته، ومسيرته الثقافية والاعلامية، وأجدني مضطراً للمقارنة مع آخرين في (مهنة المتاعب)، و(مهنة المغانم والمغارم)، فأرى جملة منهم يفكرون في مقالاتهم ومضامينها أقل مما يفكرون في المنصب والسمعة والمكانة، فلا يكادون يستيقظون عند الصباح حتى نراهم يشرعون لا في كتابة المقالة الناضجة الصادقة، بل في كتابة كل لون من ألوان الوجاهات والطلبات!! أيمكن أن نقارن ما يكتبه الدكتور طاش بتلك الأعمدة الملساء؟

إن مقالته لها وجهها الخاص، ونكهتها الخاصة، وهي لا تشبه إلّا نفسها، أما تلك المقالات الملساء فيشبه بعضها بعضاً. أستطيع القول بأن المقالات الكرتونية الباهتة ليست سوى قطعة خبز يابسة، أما مقالات دكتور طاش وأحاديثه فوليمة!!

* أكاديمي ومفكر إسلامي سعودي

أستطيع أن أستشف من طريقة دكتور طاش وأسلوبه، ومقالاته، ونمطه الإعلامي ـ بل والحياتي ـ أنه لا يحب ما هو ساطع يبهر العيون، ولا ما هو معتم عتمة لا تخترقها العيون، وأنه لا يحب ما هو يابس جداً، ولا ما هو مائع جداً، ولا يرغب فيما هو كثير التحفظ والجمود، ولا ما هو كثير التقدم والبروز، ولذلك كله نجده لا يحب وحشية الضبع، ولا ضعف الأرنب، ولا إرهاب المتسلّط، ولا خضوع الذليل!! هل يمكن أن يوصف الاعتدال بأكثر من هذا؟! إن هذا هو الاعتدال غير المصطنع، فلم يكن ـ رغم خوضه غمار تغيرات وتحوّلات ممن تبلله قطرة ماء، أو تجففه نسمة هواء. ولم يكن صلباً فيُكسر، ولا مائعاً كالخرقة فيُعصر.

لقد كان ـ رحمه الله ـ يستشرف المستقبل بعين بصيرة نافذة، وأذكر في ذلك لقاء كان في منزله تحدث فيه ـ مع نخبة متطلعة لمستقبل وطن وأمة ـ عن (صناعة النجوم)إعلامياً، وكان يحذّر من استقطابات إعلامية تستغل الرغبات الذاتية، والمآزق النفسية والفكرية؛ لتجعل من الفوانيس أقماراً، ومن أعواد الثقاب شموساً! وكان يتحدّث بحرقة من يريد أن يقول: (إن الأبناء لا يفهمون عذاب الآباء، ماداموا أنفسهم لم ينجبوا أبناء).. ونقول الآن: صدقت يا أبا عادل. لقد رأينا حتى بعض من حضروا عشاءك تلك الليلة، وسمعوا أقوالك تلك استقطبوا وتحركوا كالفتيل الملتهب، وتقلبوا في المغانم وصاروا خبراء!!

لقد افتقدنا أبا عادل وأشباهه في زمن تكاثر فيه الذين يمارسون الإعلام المبتذل، كمن يأخذ الأواني المطبخية المهترئة والمثقوبة والمكسورة ويلمّعها حتى تعود كأنها أواني جديدة، فهو لم يصلحها بل لمّعها، وغش بها الأعين، ولذلك تكاثرت أكوام الأواني الإعلامية، وراج سوقها على ضعاف البصر.

تضاريسنا يسكنها دخلاء يحملون فيروسات الخصم الذي تسوّر العراق، وفلسطين، ويبثون عدواهم، وأصبحنا نرى أولئك المرضى يتنفسون في آنيتنا.. يتكلمون بألسنتنا،

ويلبسون ثيابنا.. ولكن وجهتهم غير وجهة الأمة، وقيمهم غير قيمها! ما بين (طابوري خامس) يخدم الخصم عن قناعة واختيار، أو ضائع ممزق بين فكره المحقون في الدماغ، وعواطفه المائلة نحو أهله، وتضاريس هويته. أمّا بعض من يسمّون أنفسهم بالحيادية، والانفتاح، والتقبل.. فسوف نرى (ظاهرة التأرجح) و(البندولية) التي أضحت من سمات (العصرنة) المزاجية، أمّا البصيرة والتأمّل، وحُسن الاختيار فمن سمات العقول الراشدة، وقل أن ترى متأرجحًا إلّا وفيه من مزاجية التزلج ما يشهد بزئبقيته، ومسارعته وتسرّعه، وما يشي بتذبذبه، وليس سوق الإعلام والثقافة في حاجة مثل حاجته اليوم إلى شخصيات من عيار عبدالقادر ومدرسته؛ لإعادة التوازن (بين الذوبان والجمود)، وضبط معيار السوق، وتخفيف حالات التذبذب والمسارعة.

إذا كانوا يقولون قلب الشاعر هو بيت شعره، فإنه يمكن القول أيضاً بأن مبادئ الإعلامي هي بيت إعلامه، فإن كانت مبادئه سماوية حلّقت وشعّت، وإن كانت أرضية لم تجد لها مكاناً سوى الأرض.. تتمدد عليها كأشياء من سقط المتاع، ولهذا أعترض على أولئك الذين يقولون: لماذا أنتِ أيّتها المقالة، أو الصحيفة، أو القناة.. فارغة؟ لأن السؤال يجب أن يوجّه لصاحب أو أصحاب تلك الأعمال الركامية الباهته، أو المنتفخة انتفاخ البالون الملون!! أليس كافياً يا أمتي أن تصنعي مدافئك من الخشب، وأن تشربي بالغرابيل؟!

هل بمقدوري هنا أن أصوّر تلك الطبيعة العفوية في الدكتور طاش ـ رحمه الله ـ، وعقليته المبتكرة والمقدرة المهنية العليا، إن ذلك قد يبدو صعباً، ولكني هكذا رأيته وعرفته، بيد أن من المهم إدراك أن الثقافة والمهارة الإعلامية أو غيرها يمكن اكتسابها وتعلّمها، أمّا مشاعر الطيبة والتواضع، والأخوة الصادقة، وإيثار الحق.. فهي الغالب فطرية في الإنسان منذ ولادته، تزداد بالرعاية، وتذوي بالإهمال. إنها تشبه فطرة الطيران عند الطيور، وفطرة الأنفة عند الأسود.

هل يحق لي أن أقول لأولئك المرتابين، والجافلين، والمتوجسين، ومكثري التنقل دونكم نموذج عبدالقادر ـ رحمه الله ـ، لتدركوا أن ما في جبالنا من عطور وزهور وطيور وأصوات مازالت تعيش وتطير فوق الجبال، وأعلى من الجبال بلا مبالغات ولا مجازات معقدة، ولا استعارات مزركشة، لأن أصحابها ـ بكل بساطة ـ ألصق بهذه الأرض وتاريخها، وحكمتها وتراثها، وأمجادها وعطائها المستقبلي وحضارتها.

جاء عبدالقادر ـ رحمه الله ـ على أنقاض جريدة منسية، فسعى بجدٍّ واجتهاد ليقيم جدرانها المتداعية، ويضيء مساربها القاتمة.. جاء بروح طرية، ونفس متوثبة، ونجح في عدة أمور في زمن يسير.. وتساءل بعضهم: من أين له القدرة على ذلك؟ فتجيب الجريدة يجب أن يكون رئيس التحرير جاداً ونزيهاً مثل عبدالقادر ـ رحمه الله ـ؛ لينجز مثل هذا الإنجاز.. ويأتي سؤال آخر فيه فحيح التحدي: وهل تظنه سينجح بمجرد الفضائل؟ وهل سيتركونه؟ أجابت الصحيفة: أنت على حق.. لكن يجب أن تعلم أن قليلاً من النزاهة لا تضرك!! فسأل: ولكن أين أجدها؟ كان ذلك سؤال العجز والتلوث، ولم يدرك ما في جواب الجريدة من سخرية!!

يُقال إن الإبداع والفاعلية نتيجة عوامل عديدة أهمها قوى القلق والثورة التي تعتمل في الروح لتشق طريقها بعد ذلك، كما تشق النبتة الطرية طريقها من بين أكداس التراب الرطب الثقيل، أو من بين شقوق الصخر اليابس.. فهل كان طاش كذلك؟ وهل منظره الهادئ الرزين، وبسمته المشرقة البهية تخفي تحتها تلك القوى؟ أم أن العبقرية تتغذى بعواطف إنسانية ومواهب أقوى مما يظن الواصفون والمنظرون؟

إن هناك من يعتقد أنه مبدع وعبقري، وهو ليس سوى نملة تدب في ظلال عظمة نخرة، وهناك من تنطق أفعالهم بعبقريتهم وإبداعهم دون ادّعاء أو استعلاء أو تفاخر.. هذه حقيقة وليست مشكلة.. إنما المشكلة عند من لا يميز بين الاثنين!! أو من تخدعه قرقرة الادّعاء كالبطن الخاوي.

هل يحق لي أن أقول بأن عبدالقادر ـ رحمه الله ـ في هدوئه القلق، ورزانته المبدعة، وسكونه المتوثّب، وبشاشته الآسرة من ذلك الصنف الموهوب النادر؟ لن أكون مبالغاً إذا قلت بأنه من الصنف الذي يرى ويدرك دون أن يبارح مكانه ما لا يراه، ويدركه الأحمق الذي سافر متجوّلاً حول العالم. قد لا يكون نتاج دكتور طاش ـ رحمه الله ـ كثيرًا كثرة نتاج آخرين، لكن ما الفائدة من ثلج يذوب عند أول خيط شمس مشرقة؟ وما ثمرة من يملأ جرة قعرها مثقوب؟ وما ميزة قوارير المشروبات الملقاة في كل مكان ولو بدت لامعة؟ هل يمكن أن تقارن هذه الأشياء باللؤلؤ النادر؟ أو نبع الماء المنساب بهدوء ورقة؟

جمال الروح ذاك هو الجمال تطيب به الشمائل والخصال
زهـــور الشـــمع فاتنة ولكن زهور الروض ليس لها مثال

إن الحياة لها حدود، وهي قصيرة مهما طالت، أمّا النفع والفائدة والخير، وأحلام العطاء فلا تنتهي، إنها بذور في الأعماق تنتظر النور، عين ماء صافية تحلم بالتدفق، شمس تستأذن للشروق. لا تأخذوا قولي هذا على سبيل الجد ما لم تروا رسالة الأخ الصديق الدكتور عبدالعزيز قاسم، عن أستاذه دكتور عبدالقادر طاش ـ رحمه الله ـ لعلكم ترون ـ أيُّها القراء الفضلاء ـ كيف أن الحقل الذي حرثته أحلام دكتور طاش أوسع بكثير من واقع نتاجه، وأن النور المنبعث من نار متواضعة أعظم أثراً، وأبلغ نفعاً من نيران المحارق الإعلامية ذات الشهيق والدخان.

ألم تكن النار التي رآها موسى ـ عليه السلام ـ مجرد نار صغيرة، لا يمكن أن تقارن بنيران فرعون المتضخمة والهائلة، والتي تحوّلت بعد مدة إلى مجرد رماد بارد!!

الشك لا يساورني في أن النافع باقٍ، وإن كان قليلاً غير مزخرف ولا مزوّق، وأن الفاسد زائل مهما تزيّن وتجمّل، وانتفش وانتفخ.

هل في إمكان البذور ألا تنفلق نابتة في الأرض الندية؟ والأزهار هل تستطيع ألّا تتفتح عندما يأتي دفء الربيع؟ وجداول الماء هل تستطيع ألّا تجري عندما تهطل الأمطار بغزارة؟

ليست العبرة في ذلك، وإن غابت هذه العبرة. رغم بداهتها عن البائسين والمتشائمين والغافلين. ولكن اكتمال العبرة في أن تعرف كيف تستفيد من ذلك، وكيف تستثمره لصالح غد مشرق.. فلا يكفي أن يكون لك حقل، ولكن عليك أن تعرف كيف تسقيه، وكيف تحرثه، وتبذره، وترعى غرسه.

إعلاميون ومثقفون عدة كانوا يحلّقون كالصقور في أجواء الصحافة والثقافة.. كنت ترى النزاهة والعبقرية تشع مع كل سطر يكتبه أحدهم، حتى إذا طمع وأراد أن يصطنع له سناماً من الشحم.. أضاع آخر ما يملك من ريش الصقر.

كأني بعبد القادر - رحمه الله - في سيرته، ومسيرته، ونتاجه يخاطب المتشرّدين في أسواق الآخرين، والساكنين في مقابر الغرب يناديهم إلى

(البلاد) التي أنبتت الأمجاد. إلى (المدينة) التي علّمت البشرية معاني المدنية الحقيقية. إلى (الرسالة) التي يكون بها الإنسان إنساناً، منذ أن أشرقت شمس (اقرأ).. إن حقول فرنسا، أو كاليفورنيا، أو كندا، أو أستراليا تنبت بذوراً تلائمها، وكذلك حقولنا لها بذورها وأشجارها التي تلائمها. إن الورق مثل الحقل، والبذور هي الحروف والكلمات، والأثر الاجتماعي هي السنابل والثمار.. فإذا حرث الصحفي أو المثقف بقلمه، وبذر في مجتمعه بذوراً غريبة عن أرضه وبيئته وطقسه، فإن الأرض ستنفيها وتلفظها، أو ستبقى عائشة في البيوت المحمية.. ولكن إلى متى؟

الموهبة الكبيرة ليست في الاستنساخ والمحاكاة، ولا في الجمود والركود.. إنها تأتي مع الإحساس بالمسؤولية والتعبير عن الذات، واستشراف المستقبل انطلاقاً من الجذور.. فهل تتمكن الطفيليات من ممارسة ذلك؟

أول من زرع أرضنا بالحضارة الإيمانية. لا شك أنه. لاقى عناء كبيراً، وكذلك من كتب الحروف الأولى، ولكن عندما يحرث ألف إنسان تلك الأرض، فإن من يأتي بعدهم يجد الحرث أيسر وأسهل، أمّا حين توضع الحصى في الحقول، وحين تستنبت فيها الأشواك والأفيون، أو حين تُهجر الأرض مدة طويلة، فإن من يأتي بعد. ولو بعد ألف مزارع. سيجد الحرث أكثر مشقة، وأصعب؛ لأنه سيكون في حاجة إلى جهد مضاعف لإزالة الحصى، واقتلاع الأعشاب والأشجار الضارة، وتحريك التربة المتكلسة، وانتقاء أحسن الحبوب للبذار.. وفوق ذلك عليه حماية الحقل من الحشرات، والطفيليات، والقوارض والجراد، ومن آثار الزمهرير والريح اللافحة، ولصوص الحقول.. يا لها من مشقات متتالية لا يصلح لها مزارع كسول يبحث عن لذة مستمرة وراحة دائمة!

ما أشد حرارة الدم الذي يجري في عروق الصقور، تحلّق عالياً، وتصدح بذات الصوت الذي تعلّمته من أهلها، ولا تقع على الجيف، ولا تتشبه ببغاث الطير.

كان دكتور عبدالقادر. رحمه الله. نموذجاً متميزاً لأولئك الزّارعين الذين يجهدون لاستصلاح أراضي أُميتت بعد حياة، وأُفسدت بعد صلاح.. مثالاً لصقر يحلّق في الأعالي، وينظر بعينه النفّاذة، ويصدح بصوت أهله بهويتهم، لم يكن من أولئك الذين يستعيرون حناجر أو محاجر..

هل أبدو خياليًّا، أو حالمًا، أو واهمًا وأنا أتصوّر عبدالقادر (النموذج.. وليس الشخص بالضرورة) في ساحة الإعلام والثقافة، وهو يمتطي صهوة الكلمة الصادقة، ويصغي كفارس نبيل إلى أصوات تناديه تقول له: (هناك أناس غرباء يلوّثون ينابيعنا، يطفئون قناديلنا، يشعلون الحرائق في بساتيننا، يقطعون الطريق، يكشفون ستر نسائنا)! فيجيب بأبيات بن رواحة، وبصوت أبي قتادة، ويرتجز رجز علي يوم خيبر، وكما قِيل: (والضد يظهر حسنه الضد) ترى آخرين في ثياب ثقافية أو إعلامية أنيقة، فقدوا روح الفروسية، ونفسية النبلاء، وأصبحوا في ميادين الثقافة والإعلام أشبه ما يكونون

بدلالي الحراج، كلّما نزلت سلعة صاحوا منادين عليها، داعين لها، حاثّين عليها، مجمّلين ومزوّقين.. همّهم كثرة الزبائن، لا فرق عندهم بين جيد ورديء، فحماستهم للبيع، وصراخهم للترويج يزداد طرديًّا مع رداءة المعروض.. المهم أن السلعة جديدة في سوق حراجهم، حتى وإن كانت مستهلكة رديئة مجربة.. ألا كم هو الفرق بين شخصية الفارس، وشخصية الدلال!!

قيل لحلاق: كم من رأس عظيم استسلم بين يديك، رهن كفيك، وشفرتك؟ قال: لا أدري أنا، لا يهمني ما بداخل الرأس، الذي يهمني الشعر.. أحلقه أو أرتبه، والمال أقبضه!!

وقيل لحكيم: كم من وسيم قسيم استشارك، وطلب رأيك ونصحك؟ قال: لا أدري.. فأنا لا أهتم بالشكل، بل بالعقل!! ترى كم عدد حلاقي الصوالين الأدبية والثقافية والإعلامية؟ وكم عدد حكمائها؟ لا أدري على وجه التحديد.. الذي أدريه أن دكتور طاش - رحمه الله وأمثاله - من الصنف الرفيع، ممن يصح فيهم قول الشاعر: (شم الأنوف من الطراز الأول).. لقد كان بإمكانه أن يفتح صالون تجميل إعلامي كما فتح غيره، وكان بإمكانه أن يتلاعب بورقة الإقليمية والعنصرية والمناطقية والفئوية كما تلاعب غيره، لكنه كان أعلى من ذلك وأجل، فهو ابن مدرسة زكية طاهرة، أبى أصحابها إلّا المعالي والقمم الغوالي، وعافوا سواها!!

من تلق منهم تقل لاقيت سيده مثل النجوم التي يسري به الساري

لست أنسى مقدار استبشاره وهو يخبرنا بالاتصالات والرسائل التي كانت ترد إليه في قناة (اقرأ) من مسلمين محرومين من دينهم، محاصرين في هويتهم.. لقد رأيت البشرى ترتسم على محيّاه وهو يشعر أن الكلمات والبرامج، والنقل الحي للصلاة في الحرمين، والمقابلات والفتاوى تؤلّف محيطاً يضم تلك الأصداف اللؤلؤية في كرم، ويظلل تلك النفوس العطشى في جود (لا مكافأة من أكبر بسمة على وجه مضطهد في دينه، ولا كنز أغلى من حياة هوية في نفس من حورب لأجلها).

بماذا أختم القول عن أبي عادل ـ عليه رحمة الله:

إنسان استطاع أن يبني بلا ادّعاء ولا افتخار.

إنسان استطاع أن يبهج ويبتهج دون صخب أو طيش.

إنسان استطاع أن يبكي دون يأس أو إحباط.

إنسان استطاع أن يستقبل الموت دون أنين يائس، أو انكفاء بائس.

إنا لله وإنا إليه راجعون.. وإنا إلى ربنا لمنقلبون.. اللهم اكتبه عندك في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلفه في أهله في الغابرين، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده.

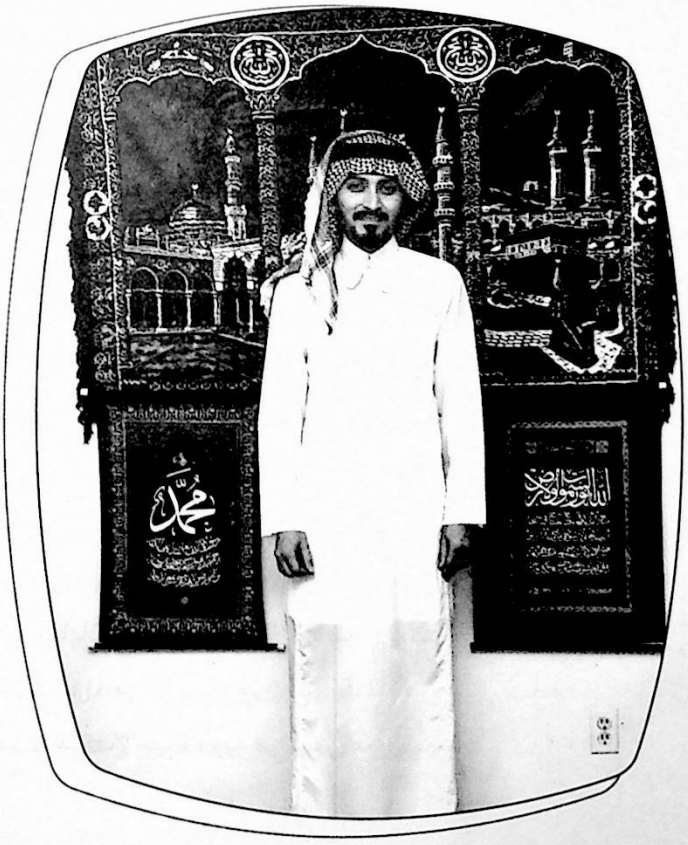

رحم الله عبدالقادر طاش
ورحم معه (إعلام الأخلاق)

بقلم: د. عبد الرحمن الشبيلي *

النموذج الذي مرّ بالإعلام في منطقتنا . مدرسةً وتطبيقاً . خلال (ظاهرة) زميلنا الراحل عبدالقادر طاش، كان نموذجاً مختلفاً عما نشهده في الآونة الأخيرة، من صنوف التطبيقات والممارسات، وبخاصة في مجال القنوات الفضائية، المشفَّر منها والمفتوح.

لم يكن الراحل أول من دخل إلى الإعلام قادماً من الجامعة أو بالعكس، لكنه كان بين الجامعة والإعلام رائداً في بدء نموذج من الإعلام - الصحفي والتلفزيوني - المتخصص في الخط الإسلامي الملتزم، وتحويل مادته الجافة إلى عمل شيّق مقبول بندواته، ودروسه، وفتاواه، وأحاديثه، بل ومسابقاته.

كانت القنوات التلفزيونية المتخصصة (موضة) غربية محمودة، بدأت منذ الستينيات الميلادية (للرياضة، والمناخ في التسويق، والأطفال.. الخ)، ثم بدأت تدريجياً تتحوّل في كثير منها إلى الابتذال والإسفاف، وكعاداتنا - العرب - في نقل الحضارة ومنجزاتها بأسوأ تطبيقاتها، جاءت العدوى عبر سيل من المحطات الهابطة والرخيصة.

على يد أخينا الراحل، استبشر المجتمع بنموذج راقٍ من البث ذي الطابع الإسلامي المطوّر، وكان - رحمه الله - أحد مبدعيه، والقائمين عليه، والمنفذين له، حتى ارتبط بشخصه. وكانت (الأخلاق) إحدى سماته، وبعض الركائز التي قام عليها منهجه، بل كان هو كذلك بمسلكه، وبتدريسه، وبعلاقاته المهنية والشخصية.

---

* إعلامي وعضو مجلس الشورى السعودي السابق

كنا في يوم من الأيام، أن يوسم الإعلام بسمة (الإسلامي)، لاعتقادنا أن كل ما هو منتشر بيننا هو إسلامي في مواثيقه، وسياساته، وخطوطه العامة، وفي نهجه وإطاره وتطبيقاته، لكننا اليوم، بعد أن رأينا الإعلام من حولنا ينزلق تدريجياً إلى مستويات هابطة، وتفسح له أسواق مجاورة أجواءها، وتمنحه المظلة القانونية، والتسهيلات التقنية، مهرنا نستعيد التمسك بهذه السمة، كي نحافظ على البقية الباقية من الأخلاق والمثل، ونستذكر أشخاصاً مثل زميلنا الراحل الذي وضع للتقنية الإعلامية أسساً من القيم والاحترام.

وفي المملكة العربية السعودية، ظهرت قبيل رحيله، قنوات سارت على مدرسته، بدأت محافظة، وربما بالغت في المحافظة، شجّعها على ذلك الإقبال المتزايد على الاشتراك بقنواتها، وفي اعتقادي انه ما كان لهذا الإقبال أن يزداد لولا أنه يمثل (رسالة) بأننا في - الأعم الغالب - مجتمع محافظ يتطلع إلى الوسطية، بين التزمت المتشدد، وبين الانفلات المنهمر من بلدان مجاورة. إنه الإعلام (الرشيد) الذي كان عبدالقادر طاش أحد وجوهه ونماذجه المشرفة.

عبد القادر طاش في سجل الخلود

بقلم: د. عوض بن محمد القرني *

لقد تعرّفت على الدكتور عبدالقادر طاش . رحمه الله وأسكنه فسيح جناته . بكتاباته قبل أن ألتقي به عندما كان يواصل دراسته العليا في الغرب، كان يتحفنا بين الفينة والأخرى بكتابات رائعة متميزة، تجمع بين الأصالة الإسلامية، والوعي الراقي، والأسلوب المبهج، فنال شهرة، وحجز مكاناً في قلوب وعقول الشباب من أمثالنا في ذلك الوقت.

وعند عودته للتدريس في جامعة الإمام في قسم الإعلام ـ الناشئ في ذلك الوقت ـ تعرّفت عليه عن قرب، وتوثّقت عرى الود، وترسّخت أسباب الصداقة والحب في ذات الله سبحانه وتعالى، وتنقل في مواقع البذل والعطاء والبناء، عدته بعد الإخلاص ـ بإذن الله ـ نفس متوثبة، وعقل منفتح، ومهنية عالية، وقلم سيّال، ومخزون علمي ثقافي واسع. وازدادت علاقتنا مع مرور الأيام، وتعدد المواقع قوة وقرباً، حتى أصابه المرض الذي نرجو أن يكون مكفراً لذنوبه، ورافعاً لدرجاته عند ربه، ثم انتقل إلى الدار الآخرة جاهداً مجاهداً، رفيقاً محبوباً. وإنني في هذا المقام سأشير ـ باختصار ـ إلى بعض ما تميّز به الدكتور عبدالقادر طاش ـ رحمه الله ـ لا من باب المدح والثناء، فهو الآن إلى رحمة الله، والدعاء أحوج، ولكن لكون تجربته أصبحت ملكاً للأجيال في ميدان وتخصص قلّ الروّاد الأصلاء فيه.

١. مما تميّز به ـ رحمه الله ـ أنه صاحب مبادرات، وتجديد، ومشاريع، من بين تطوير قسم أكاديمي للإعلام، إلى إنشاء صحف متميزة، إلى إنشاء قناة فضائية ـ هي الأولى في ميدانها ـ وهكذا إنجازات متوالية في جميع مراحل حياته المختلفة.

* أكاديمي سابق ومفكر إسلامي

٢. أنه رغم دراسته في الغرب، وخوض غمار تجارب إعلامية معاصرة، لكنه بقي الأصيل في ثقافته، وفكره، ومواقفه، ووظّف كل إمكاناته للدفاع عن دينه، وأمته وقضاياها، وطرق أبواب سبل النهوض بها.

٣. لقد كان مع حماسته، وأصالته علمياً مهنياً إلى أقصى درجات العلمية والمهنية؛ مما أسهم في تحقيقه قدراً كبيراً من النجاحات.

٤. كل من تعامل معه - رحمه الله - يدرك أنه كان قمة في اللطف والأخلاق مع الموافق والمخالف، والبعيد والقريب؛ مما جعله - رحمه الله - يتبوأ القلوب حباً وتقديراً، ومما يلحظه من عرفه في هذا السياق أن الابتسامة لا تفارق محيّاه.

٥. لقد كان - رحمه الله - شخصية إعلامية متميزة، متعددة جوانب التميز.. فهو إداري إعلامي قيادي، وهو كاتب إعلامي، وهو محاور إعلامي، وهو محاضر في التخصص نفسه، وهو مدرب إعلامي.. وقد مارس ذلك كله بتفوق، وتميز، وريادة، وأسبقية.

رحم الله الدكتور عبدالقادر طاش الذي سلك ونقش اسمه في سجل الخلود بالعمل الصالح، والدأب الدائم، والتميّز المبدع.

أستاذ الصحفيين

بقلم: جمال خاشقجي *

هناك أصدقاء تشعر أنهم دوماً هناك، تلجأ لهم في الملمّات، بحثاً عن نصح أو عون، تعرف أنهم لن يردوا لك طلباً، ولن يعتذروا بضيق الوقت. من هؤلاء كان أخي، وصديقي، وأستاذي عبدالقادر طاش. رحمه الله ..

التقيته آخر مرة في مايو الماضي، قبل أن يعصف به هذا المرض البغيض، أو (المرض البطّال) . كما كانت تسميه والدتي رحمها الله . ذهبت إليه أستشيره، وقد اشتدت عليَّ هجمة الغلو والتطرف، وسوء الظن في أسبوعي الأخير كرئيس لتحرير صحيفة (الوطن)! قال لي: (هناك واقع لابد أن ندركه، ونتعلم فن التعامل معه، إن الرسالة الإعلامية مثل المعادلة الكيميائية.. لو أغفلت عنصراً بسيطاً ستنفجر المعادلة كلها في وجهك)! ولكنّي لم أدرس الكيمياء، وبالتالي حصل ما حذَّر منه الدكتور.

ولازلت أسأل: كيف استطاع . رحمه الله . أن يكسب قلوب الجميع، مضى باعتداله وسط صورة إسلامية معتدلة، بل لم نكن . وقتذاك . نصفها بالاعتدال، إذ كان هو السائد، والغلو قليل وشاذ وقتها، وبالتالي لم يكن له حكم، ولم تظهر تسمية مثل (الحركات المتشددة)، أو (المغالية)، أو (المكفراتية). شارك عبدالقادر الشاب في رسم تلك الصورة الجميلة، منذ أن كانت مجرد عودة للدين والقيم، بعد هجرة قصيرة ساذجة مارسها بعض المتفوقين والبارزين من الطلبة، إلى الأفكار اليسارية، والناصرية، و(التقدمية).. ومن لم يكن يجيد ذلك غلبه الانصراف عن الدين، وإهمال واجباته. وأعتقد أن في ذلك صفة (تقدمية)، تلك العودة المباركة اصطلح لاحقًا على تسميتها

* رئيس تحرير صحيفة الوطن

(صحوة إسلامية) طلابية، انطلقت تحديدًا في ثانويات المملكة، وأزعم تحديدًا ما بين المدينة المنورة وجدة، في أواخر التسعينيات الهجرية، ثم ما لبثت أن نمت، وامتدت جغرافيًّا، وتوغّلت ودخل فيها مَن لا يفقه فن الدعوة، ولا يُحسن الاعتدال، ومَن هو منشغل بالتنافس والتحزّب، وجمع الأنصار حتى لو كان تشويه من لا ينضوي تحت رايته، وسمعنا لأول مرة عبارات مثل (نحن لا نكفّر مسلمًا، ولكن قولك فيه كفر!)، وعبارة مثل: (لا غيبة لفاسق)، وأخرى مثل: (مبتدع) تُرمى في وجه شباب قوّامين، صوّامين، فنتعجب ونغضب، ولكن بقي الدكتور يبتسم في وجه هذا، وبناصح ذاك في لطف، أعتز أنني كنت متوافقاً فكرياً معه، وكان يتألم مثلما يتألم كل مسلم لعملية اختطاف الإسلام، التي تُمارس أمام أعين العقل والمنطق، ووسط تكبير وتهليل، وهتاف شباب غاضب، معقد يفتقد إلى سماحة الإسلام، وقدر الكراهية في نفسه أكثر من قدر الحب، تتلمذت مع الدكتور طاش ـ رحمه الله ـ أن الدعوة إلى الله حب، وتتلمذوا هم أن الدعوة إلى الله ليست إلا سيفاً ورمحاً. عرفته مبكراً في أوائل الثمانينيات الميلادية، بعيداً في الولايات المتحدة، بكاربنديل بولاية ألينوي، حيث كان يحضّر الدكتوراة في الإعلام، كان زمناً جميلاً، يسوده حُسن الظن، وظل ـ رحمه الله ـ آية لذلك، وظل كذلك منذ أن عرفته، ولعلّ في ذلك دلالة على صدقه، وصواب اختياراته، فغيره تشدد، ومضى مع التيار الغالب، بل حتى غير في هيئته وحديثه عندما رأى أن هذا هو التيار السائد، وأن (الجمهور عايز كدا)! ولكنه لم يفعل ذلك، وهو الخبير بفنون الاتصال بالجماهير، وكذلك لم يتخفف أيضاً من الثوابت، وهو في مهنة ثائرة تضيق بالقيود، وكان بإمكانه أن يفعل ما فعله غيره، ويقبل بفقه (ما عمت به البلوى). كنت حديث عهد بتدّين عندما التقيته أول مرة، ولكن تدين تشوبه حماسة، واندفاع، واستعجال، خبرها السابقون في الدعوة من أمثاله رغم أنه كان في منتصف العشرينيات وقتها، فتولاني باهتمامه ونصحه، ونشطت زمنها في رابطة الشباب

المسلم العربي، والتي كانت أهم وأكبر تنظيم طلابي عربي في الولايات المتحدة، وقريبة من تيار (الإخوان المسلمون)، واعتقدتُ أن هذا هو المنهج الذي أسير عليه عندما أُسند لي مهام إعلامية. أعددتُ وقتها تقويماً هجرياً يُطبع ويوزّع على أعضاء الرابطة، وزيّنته بعبارات حماسية لمختلف القيادات والرموز المحسوبة على الأخوان، تدور حول فكرة الدولة الإسلامية الموعودة، وكانت تلك الفكرة المحركة للشباب الإسلامي ـ وقتذاك ـ وأحسب أنها لا تزال كذلك. قلّب عبدالقادر صفحات التقويم، وابتسم وقال: (يا جمال نحن لا ننتمي إلى حركة بذاتها، وإنما إلى الإسلام كله، لا تحصر خياراتك في تيار واحد؛ فتضيّق على نفسك! وإنما انفتح على الإسلام كله، ورجاله، وعلمائه). ولا زلت أحمل هذا الدرس الأول معي. كان ـ رحمه الله ـ صحفياً محترفاً، اختطفه (الإعلام الإسلامي).. ولكن أحسب أنه مات سعيداً بذلك، فلقد أعاد تأسيس مفهوم الإعلام الإسلامي، وأنقذه من الخطابية والوعظ، والمقالات و(الينبغيات) كما كان يسمي المقالة التي تضمن جملة (ينبغي أن) أكثر من مرة.

تعلمت منه ذلك في (الأمل) مجلة رابطة الشباب المسلم العربي، وكان رئيس تحريرها، وعيّنني مشرفاً على المراسلين ومعه حوّلنا المقالات التي يكتبها الطلبة إلى أخبار وتجارب وتقارير صحفية.

واكتملت تجربتي معه في (المسلمون) الصحيفة التي لم يجعلها صحيفة إسلامية، وإنما صحيفة معنية بشؤون المسلمين وقضاياهم، مارسنا فيها كل فنون الصحافة الحديثة، ولا يزال خريجو مدرسة صحيفة (المسلمون) يعملون بروحهم الإسلامية الطيبة في صحف ومحطات تلفزيونية كبرى لا يمكن وصفها بالإسلامية. ففرضوا أنفسهم وسط هذه المؤسسات الصحفية الكبرى بمهنيتهم، وخرجوا عن دائرة (الصفحة الدينية) إلى كل صفحة في الجريدة، وإلى كل محطة فضائية.

أعتقد أن هذا هو ما كان يريده الدكتور طاش، لم يكن يريد إعلاماً إسلامياً منفصلاً عن مجتمعه، وإنما إعلاميون محترفون قادرون، ولكن منضبطون بالإسلام يستشعرون قضاياه وهمومه.

رحمك الله يا ابن الطائف، لقد تركت محبين يذكرونك من إسلام أباد إلى الدار البيضاء.

الأستاذ

بقلم: بكر بن إبراهيم بصفر *

الحمد لك أيُّها الكريم الوهّاب، حين قبضت روح أستاذي بعد بلاء، كان طهوراً وبشارة.. ولا أزكيه عليك. فقد بشرتنا على لسان حبيبك ﷺ أن هذه الأسقام، والصبر عليها رفعة لمنزلته عندك؛ لتبلغه بها ما لم تبلغها أعماله.

والحمد لك أيُّها الكريم الوهّاب، حين قدّرت لأستاذي أن يُوارى الثرى المبارك قريباً من نداءات منائر المسجد الحرام، وبأيدي خلق من كرام الخلق، لم يجمع أكثرهم به مال ولا نسب إلّا الحب لروحه الطيبة الزكية، فيا رب أوجب له فردوسك الأعلى برحمتك، ثم بثناء خلقك الذي بشرتنا أنه من موجبات جنتك.

أستاذي المعلّم الذي تفيأ ظلال علمه المئات من طلاب الإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفي المؤسسات الإعلامية التي ترأسها، أما أنا فقد تمتعت برعايته الشخصية الخاصة في (المسلمون) (١٤١١ ـ ١٤١٤هـ)، حين أتاح لي فرصة (فك الحرف) الصحفي، وشرَّفني بالإشراف على الصفحة الثقافية خلفًا للشاعر المبدع الذي سرقته الأكاديميا والإدارة الدكتور أحمد بهكلي، فكانت أول فرصة لي في حياتي للتواصل مع الشعراء، والمفكرين، والمثقفين الكبار، وتهيأت لي إطلالة أسبوعية من خلال زاويتي الصغيرة (مشكاة)، ونفخ فيَّ مشجعاً حتى ظننتُ أنني محمد صلاح الدين، أو فهمي هويدي.. أربع سنوات قضيناها مع الرجل الكبير؛ كاتب هذه السطور، ومحمد بركات، وشريف قنديل وخالد السهيل، وعلي عثمان، فكنت حينذاك أنتظر زيارتي الأسبوعية بعد ظهر كل اثنين لأسلّم الصفحة والمقالة،

* مدير عام تعليم العاصمة المقدسة

ولأحظى بجلسة ثقافية مؤنسة مع (قفشات)، ومداعبات، ومنازعات بركات (القومي القديم)، مع (الأصولي) القادم للمنازلة الأسبوعية من مكة، مع مداخلة من خالد تارة، وتعليق من علي تارة أخرى، ليسمع الأستاذ الحديث حين يسخن، فيشارك في أحيان قليلة ممسكًا العصا بيننا من الوسط، كما هي عادته رحمه الله.. كيف استطاع رئيس تحرير أكاديمي مهني من طراز رفيع أن يحوّل بيئة العمل التي جمعت صحفيين من توجهات شتّى إلى واحة انسجام وتكامل، بل حتى أخوة عائلية؟ ذاك هو سر شخصية عبدالقادر طاش الإنسان.

أستاذي أستاذ سلامة، وسعة صدر وسعت كل من عرفه أو لاقاه، حتى أسرني وأسرهم جميعاً، بروحه النقية، ووجهه البسام أبدًا، حتى كأني أتخيل عبق ذكراه الطيبة في المرابع التي حل فيها يومًا ما في (الأمل) أيام البعثة، ثم هنا على أرض الوطن في (الدعوة)، و(المسلمون)، و(عرب نيوز)، و(البلاد)، وملحق (الرسالة) في (المدينة).

أستاذي الأستاذ المؤسس، الذي غاب عن دنيانا كما يفعل الكبار دائماً، وقد خلّف من السنن الحسان الجارية له ـ بإذن الله ـ الكثير؛ فأبو عادل من مؤسسي قسم الإعلام الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود، وهو الأب الفكري المؤسس لقناة (اقرأ) الفضائية؛ أول قناة إسلامية متخصصة، ومؤسس (ملحق الرسالة) في (المدينة)، الذي أسأل الله أن أراه صحيفة من صحف مؤسسة (المدينة) يوماً ما.

أستاذي الأستاذ الأب، والزوج الذي يعبر عن حبّه العفوي الشفّاف لبيته الصغير حيث كان. ولازلت أذكر لفتة من أبي عادل لا يتنبّه لها عادة عندما شرّفني ليلة في بيتي، في أواخر صيف عام مضى، وكان على مائدتي المتواضعة بعض رمان الطائف، مدينة صباي وصباه، إذ قال لي على استحياء بأن أم عادل وبناتها يعشقن الرمّان.. ولعله يكون عربون اعتذار لتأخره في العودة إلى جدة، وما علم ـ رحمه الله ـ أن تلك الليلة

هي آخر عهده ببيت تلميذه، ولا أدري هل سيتذكرني الدكتور عادل، فأنعم كما نعمت دائماً بمائدة أم عادل الأصيلة في أيام أستاذي الكريم.

حفظكم الله آل طاش، وأحسن عزاءكم وعزاء الأمة في الرجل الكبير. وأسأل الله أن يجمعنا ويجمعكم به في جنته، وأمّا الحزن فوالله إنا على فراقك أيُّها الأستاذ لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي الله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

دكتور طاش (رمّانة الميزان)

بقلم: د. حمد الماجد *

هذا وصف جميل استعرته من معد أحد البرامج الحوارية الشهيرة في قناة (أوربت)، كان قد استضاف الدكتور عبدالقادر طاش . رحمه الله . مع ضيفين آخرين: أحدهما (إسلامي)، والآخر (ليبرالي). وقد أخذ الاثنان بخناق بعض، فكان طاش رمّانة الميزان. والوصف الأكثر دقة أن الدكتور طاش (رمّانة الميزان) في كل حياته، ومع كل من تعامل معه مهما كان موقعه على خارطة التصنيف الفكري، وأيًا كان لونه في الطيف العقدي، رمّانة ميزان (by default) كما تقول لغة الكمبيوتر.

لم يَدُرْ بخلد هذا الذي وصفه برمّانة الميزان أن الدكتور طاش حقًا رمّانة طائفية حلوة، تفتحت زهرتها في مدينة الطائف السعودية البلد الأشهر عالميًا في إنتاج أجود أنواع الرمّان، وهكذا كان طاش.. رمّانة رائعة المظهر، حلوة المذاق، طيبة المطعم، تُشفي علل التخلّف، وتداوي أسقام الجمود، كل الذي في (طاش الرمّانة) مفيد.. الحَبُّ والقشر، وحتى اللبّ المر في جوف الرمانة الطاشية.. وصفة طبية ناجعة، وهكذا كانت بعض أطروحات طاش الجريئة في الإصلاح بشكل عام، والإصلاح في (الجسد الإسلامي) بشكل خاص، كانت هذه الأطروحات عبارة عن قطع من لبِّ الرمَّان المر والمفيد، ربما ضايقت البعض من هذه المرارة، ولكن تبقى الحقيقة أن (ما حرَّك داواك).

* أكاديمي وكاتب بصحيفة (الشرق الأوسط)

روعة هذه الرمّانة البشرية الجميلة المتوازنة، أنها احتفظت بانتمائها الإسلامي الصريح. فلم تداهن الخصوم، ولم تجامل الأصحاب. ومع ذلك احتفظ الدكتور طاش في قلوب الجميع بود نادر، وتقدير فائق، وهذا ـ وربّي ـ ميزة ما يُلقّاها إلّا الذين صبروا، وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم.

جمعني بأخي الحبيب الدكتور طاش همُّ العمل الإسلامي في الغرب، فكلانا تخرج في أمريكا، وكلانا له اهتماماته حول الأقليات المسلمة في الغرب. وكلانا حضر كثيرًا من المناشط الثقافية في أوروبا، فالتقيت به كثيرًا في المؤتمرات والندوات التي عُقدت هناك، فكان يتعاهدني وأنا كويتب بسيط متواضع بالدعم المعنوي، والتشجيع الأخوي، حتى أخاله من هذه المتابعة لم يقرأ غير مقالاتي.

إذا لم تسمعوا بشيء اسمه (الأخوة الأبوية).. فقد وجدتم ضالتكم في هذا الرجل العجيب، يعامل زملاءه في بلاط صاحبة الجلالة (الصحافة) كالأخ، والزميل، والأب. وقد طلب مني ـ عليه رحمة الله ـ أن أكتب في جريدة (المدينة) وبالتحديد في (الرسالة) الملحق الأكثر إثارة والتهابًا في صحافتنا الإسلامية، إلّا أنني، وبسبب غفلتي، ونسياني، وانشغالي في أعمال المركز الإسلامي في بريطانيا، لم أنل شرف تحقيق طلبه، يا سبحان الله الذي وهب هذا الرجل هذه القدرة الفائقة على امتلاك ناصية قلوب من تعاملوا معه، إني أرجو الله أن يكون ممن أحبه الله فحبب فيه خلقه، اللهم اجمعنا به في الفردوس.

الاعتدال عند الدكتور طاش

بقلم: محمد المختار الفال *

الإعلام الإسلامي كغيره من (مشاريع الصحوة) برز ضمن منظومة معرفية هدفها تأصيل بعض العلوم الإنسانية الحديثة من خلال تلمّس جذورها في تراث حضارة الإسلام.

وفي مراحله الأولى خالطت مسيرته ـ القصيرة نسبياً ـ الكثير من الاجتهادات في المنهج والتطبيق، دفعت بعض أهله المتحمسين ناقصي التجربة إلى المبالغة في تتبع الإشارات، واللمحات، والقبسات المثبوثة في تراث، لينتهوا إلى التقرير بأصالة (الإعلام) في الإسلام. وقد اختلفت نتائج الاجتهادات ـ قرباً وبعداً من المعرفة الإعلامية ـ بحسب زاد المجتهدين، واطلاعهم على النظريات الإعلامية الحديثة، وغنى تجربتهم العملية.

وفي مرحلة ما بدأ الآمر موضع تساؤلات وتشكيك من كارهيه، وشفقة بعض الحادبين عليه من أن تقف التجربة دون أن تبرهن على جدّيتها، لكن إصرار الداعين له، ورغبتهم في تعميق التجربة، وانضمام بعض أساتذة الجامعات ذوي الكفاءة الإعلامية دراسة وممارسة إلى هذا المشروع، تدفعهم قناعاتهم بأهمية إظهار ما يميّز هذه الأمة وأحقيتها في إبراز سمات خطابها الفكري، ومناهجها في الحياة أضاف بُعدًا جديدًا لهذا التوجّه. وكان من ثمرات هذا الحماس، وهذه الإضافة المزودة بالعلم أن أدرك أصحاب المشروع طبيعة الإعلام، باعتباره علماً وفناً وتجربة لا تكفي فيه النوايا الطيبة، والمسلك الحميد، بل لا بد لمن يريد أن يكون مؤثراً نافعاً فيه أن يسلك له

* رئيس تحرير صحيفة (المدينة) السابق

مسالكه، ويغوص في نظرياته، ويتقمص أساليب تطبيقاته، ومناهج تناوله للقضايا، ومخاطبة الناس. وهكذا بدأ - قبل أكثر من عشرين عاماً - اتجاه الكثير من شباب هذه الأمة نحو هذا الحقل بعد التيقن أنه ميدان المعركة الحقيقي بين الأمم، وداخل تيارات المجتمع الواحد. وغذّى هذا الاتجاه وشجّعته المؤسسات التربوية، والجامعات الإسلامية بابتعاث منسوبيها إلى الجامعات العربية، ومدارس الإعلام فيها ليدرسوا هذا العلم في موطن ولادته، ويطّلعوا على فنون تطبيقاته داخل تلك المدارس، وفي مؤسسات المجتمع الإعلامية بغض النظر عن المضمون الذي تحمله تلك الوسائل، حتى إذا عاد أولئك الشباب إلى أرض الوطن مزوّدين بالنظرية، ومدربين - بدرجات متفاوتة - على التطبيق، عادوا إلى (روحهم) وقيم حضارتهم، ومفاهيم دينهم، واحتياجات مجتمعاتهم ليوظفوا الحصيلة العلمية لصقل الموروث الإيماني في حق الإعلام. وفي هذه المرحلة برز للوجود (إعلاميون إسلاميون) متحررون من (دروشة) العاطفة غير المصقولة بالمعرفة، ناجون من منقصة تسفيه حضارة الأمة، والسخرية من مكوناتها الثقافية، واتهامها بتأخرها عن حاجة الإنسان في هذا العصر.

ونستطيع القول - ونحن مطمئنون - إن الدكتور عبدالقادر طاش - رحمه الله - كان أحد أبرز جيل هذه المرحلة التي أنتجت المزيج الناتج من تزاوج الإعلام وقيم الأمة، وظهور نماذج إعلامية مقنعة لأهل الصناعة، وغير منفرة لأهل الورع والتدين. وقد استطاع الدكتور طاش بروحه المتسامحة، وما وهبه الله من القبول لدى الناس أن يقدم نموذجاً كريماً للإعلامي صاحب المبادئ، المدرك لطبيعة الصنعة الإعلامية؛ ولهذا تفتحت له الأبواب ليدخل المؤسسات الإعلامية التي كانت تتهيب الكثير من أساتذة وخريجي الجامعات الإسلامية؛ بحجة فقدانهم لمتطلبات (الفن)، وإيغالهم في النظرية، وعدم واقعيتهم، وتجاهلهم للجانب الاستثماري في صناعة الإعلام. ولحُسن الحظ.. فقد استطاع الدكتور طاش بمواهبه وأخلاقه أن يكسب ثقة أصحاب

القرار في هذه المؤسسات، دون أن يتخلّى عن (الضابط) الأخلاقي، والمسؤولية العامة، وكان نجاحه ـ في أكثر من موقع ـ بداية لدخول عشرات من شباب الوطن خريجي الجامعات الإسلامية ليثبتوا قدرتهم على تلبية متطلبات العمل الإعلامي المتقن، بعد أن كانت مواطن استيعابهم مقصورة على ما عُرف بالصحف والمجلات الإسلامية.

هذه تقدمة ـ وإن طالت بعض الشيء ـ تهدف إلى إثبات الدور الريادي الذي لعبه الدكتور عبدالقادر طاش في مجال الإعلام المسؤول، الساعي إلى الانسجام مع قيم ومبادئ المجتمع دون أن يتخلّى عن شروط الإعلام نظريةً وتطبيقًا، وهذا الدور لم يقتصر على الإعلام المحلي، حيث امتدت جهوده إلى الساحة العربية والإسلامية من خلال أعماله الأكاديمية ـ ولن أتحدث عنها، فغيري أجدر بذلك ـ أو تطبيقاته العملية في أكثر من موقع.

وأستطيع أن أتحدث عن بعض تجاربه ـ جزئيًّا بقدر ما تسع المناسبة ـ حيث كنت قريبًا منها.. إمّا مزاملة، أو مراقبة، أو معايشة. وأولى تلك التجارب كانت في جريدة (المسلمون) حين انضمّ إليها مسؤولاً عن مكتب الرياض، وكنت ـ حينذاك ـ مديرًا لتحريرها، ورغم أن هذه الفترة لم تدم طويلاً، فقد لمست منذ اليوم الأول في التعامل مع الدكتور عبدالقادر طاش احترامه لضوابط العمل، وتقديره لدور المسؤولية، وقدرته على التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه. فرغم أنه آتٍ من الجامعة ومحاضراتها، وما توجبه طبيعة العلاقة التي تحكم أستاذها مع طلابه إلى صحيفة يقودها صحفي ومساعدوه، وكلهم لم يخوضوا تجربة التدريس في الجامعة، ويتعاملون بإيقاعات سريعة، وينظرون إلى الموضوعات الصحفية بقدر كبير من عدم التقيّد بمواصفات النظرية. فقط استطاع المواكبة دون أن يشعر الجميع بأنه يفرض أستاذيته، أو يتعالى بدرجته العلمية، أو يسبب إعاقة في سرعة الاستجابة لمتطلبات العمل.

وعندما تولى رئاسة تحرير (المسلمون) برزت ملامح شخصيته، والخطوط العريضة لتوجهاته، وهي خطوط تعتمد على (وحدة الأمة) دون التفريط في اليقيني من تعاليم دينها. وقد استطاع بهذه الروح (التوافقية) أن يجعل جريدة (المسلمون) ملتقى الآراء على الساحة الإسلامية. وكانت مدرسة (الاعتدال) في جميع التيارات هي السائدة، مع عدم تجاهل واقع من يقفون على الأطراف بهدف معرفة وجهات نظرهم، ومناقشتهم بالتي هي أحسن لعلهم يستجيبون، أو تتكشف لهم بعض حقائق ما يجهلون، بل إنه خطا في اتجاه من وصفوا بمعاداة ثوابت الأمة في سبيل ألاَّ تبقى حجة على مدرسة الاعتدال التي لا تُحاكم النوايا، وتحسن الظن بالخلق، وتدعو الجميع للهداية، وتسلك لذلك مسالك الحوار، وتبيان الحقيقة.

وقد لقي - رحمه الله - عنتًا من المشككين في نوايا الناس، الظّانين بهم سوء القصد، وخبث الطوية، كما اتّهم من بعض أصحاب الأغراض بعدم الثبات على الموقف، وبغياب المنهج.. بل اتّهمه البعض بالمحازبة، وكل ذلك لم يُثْنِه - على ما في هذه الاتهامات من خطورة - عن منهجه، بل مضى يغذّ السير فاتحًا صدره للنقد، مبتسمًا في وجه أصحاب الوجوه العابسة والصدور الضّيقة؛ لأنه مؤمن بسلامة مقصده، واثق من معرفة العقلاء والأخيار في بلده لهذه الأهداف.

هذا المنهج الوسطي جعل الدكتور عبدالقادر طاش موضع رضا المتعارضين، وهي خصلة تبدو للبعض أنها سلبية إذا نظروا إليها على أنها فقدان للموقف، لكنها تصبح إيجابية إذا كانت ثمرة للإنصاف، ورغبة في استثمار الجانب الخيّر في كل طرف. وأظن أن (الخيرية) هي مبعث هذه (التوفيقية) التي صبغت سيرة هذا الإنسان. فهو لم يكن سلبيًّا أبدًا، بل ظل في دائرة الضوء يشارك بقلمه ولسانه في الساحة الإسلامية. وفي ذروة التصنيفات والانحيازات ظل محافظًا على روح الاعتدال التي لا تتردد في نقد المجترئين على قيم الأمة، دون أن تحرمهم ما في طروحاتهم من قيم

فكرية، أو وجهات نظر منطقية، ولم تحل التصنيفات دون أن يوجّه النقد إلى تجربة الصحوة وما اكتنفها من أخطاء. والخلاصة أن الاعتدال، وحُسن الظن بالناس، والرغبة في توسيع دائرة الخير هي السمة المركزية في فكر هذا الإعلامي البارز.

ذكريات مع عبدالقادر طاش

بقلم: د. صالح بن سليمان الوهيبي *

بلغني مساء يوم الأحد ١٤٢٥/١/١٤هـ نبأ وفاة الزميل الدكتور عبدالقادر طاش . عليه رحمة الله ورضوانه .، ولقد حزنت أشد الحزن، فهو زميل عزيز، وصديق كريم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

عرفت الدكتور طاش . أول ما عرفته . طالب دراسات عليا ناضجًا أرسلته جامعته . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . لدراسة الإعلام في أمريكا، فكان أكبر عقبة تخطّاها هي اللغة الإنجليزية التي أحسب أنه لم يدرسها من قبل، وكان الذي جمعني به هو حضور أحد اللقاءات الإسلامية التي كانت تزخر بها أمريكا خلال الثمانينيات الميلادية في أيام إجازة عيد الميلاد المسيحي بالذات، كالمؤتمر السنوي للاتحاد الإسلامي، ومؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي، وقد صار الدكتور عبدالقادر فيما بعد مسؤولاً عن البرنامج الثقافي في أحد مؤتمرات الرابطة، فكان عمله منضبطًا ومتميزًا.

ومرت بنا الأيام هنالك، حتى وقع الاختيار عليه في حدود سنة ١٤٠١هـ رئيسًا لتحرير مجلة (الأمل) التي تصدرها (رابطة الشباب المسلم العربي) في أمريكا، فاختارني . مع آخرين . عضوًا في هيئة تحرير المجلة، وكنا نجتمع كل شهر تقريبًا لمراجعة ما لدينا من مادة مكتوبة، واختيار ما هو صالح منها للنشر، وكنا نمضي يوم السبت أو يوم الأحد كاملاً لنحرر المقالات، ونغربل ما يصلح للنشر، ونصلح ما هو ضعيف منها نظرًا لقلة المادة، ثم نضع الإطار العام لعدد أو أكثر.

* الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

وكنت إذ ذاك أدرس في جامعة إنديانا، وهو في جامعة جنوب إلينوي، فكان يجيء بسيارته مع زوجته وأولاده لهذه المهمة، وأظن أن تلك الفترة التي تسلم فيها أبو عادل ـ رحمه الله ـ التحرير كانت فترة ازدهار لمجلة (الأمل) من حيث الشكل والمضمون، وانتظام الصدور، وكان العمل كله قائمًا على أساس التطوع، مضافًا إلى الأعباء الدراسية التي كان كل واحد منا ينوء بها في مرحلة الدكتوراة.

من أبرز ما لاحظته لدى الدكتور طاش أنه صاحب رؤية إعلامية واضحة، تنأى عن التجريح والتشهير والإثارة، حريص على الالتزام بالآداب الإسلامية فيما يكتب وينشر، وهو من محبي اللغة الفصحى، والحريصين على التحدّث بها من غير ما تكلف، وهو رجل منظم في أعماله وأفكاره، وصاحب ذوق فني رفيع يظهر فيما أشرف عليه من أعمال.

وفي عام ١٤١٩هـ كنت ضمن المشاركين في التنظيم لافتتاح مسجد خادم الحرمين الشريفين في لوس أنجلوس، وقد أقيمت على هامش الافتتاح ندوة عن العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، ووقع الاختيار عليه ـ رحمه الله ـ للحديث عن الإعلام، واتصلنا بقناة (اقرأ) التي كُلّف بافتتاحها آنذاك، وأرسلنا له فاكسًا عليها نبلّغه بما ننتظر منه، وتأكدنا من وصول الخطاب، ولما وصل إلى مقر اللقاء سألته فأبلغني أنه لم يتسلم شيئًا، وأخبرته بما كُلّف به فاعتذر، فلم أقبل منه، فعكف في غرفته يومًا أو يومين يعدّ للجلسة المطلوبة، ولمّا حان موعد الندوة شارك في تقديم ورقة مركّزة تناولت جانبًا نظريًّا، وجوانب عملية في العلاقة الإعلامية بين الشرق والغرب.

رحم الله أبا عادل، وأسكنه فسيح جناته، وجعل الخير والبركة في ذريته.. آمين.

عبد القادر طاش..
العطاء الرائع والنموذج الأروع

بقلم: ياسر الزعاترة *

فقدت الأمة الإسلامية مساء الأحد الماضي واحداً من أعلامها البارزين خلال العقدين الأخيرين، هو الدكتور عبدالقادر طاش، ذلك الرجل الذي حمل رسالة الإسلام السمحة منذ نعومة أظفاره، وحتى اللحظات الأخيرة من حياته بعد صراع مع المرض لم يمهله طويلاً، فخطفه وهو في ذروة عطائه، وفي وقت تبدو الأمة فيه في أمسّ الحاجة إلى رجال يحملون مشروعها في التحرر والنهوض، ورسالتها العظيمة إلى العالم أجمع.

لقد تجاوز الدكتور طاش حدود بلده السعودية - التي عاش ومات فيها - باستثناء سنوات دراسته في الخارج، حيث عاش للأمة، كما عاش لدينه كل لحظة من لحظات عمره، وحمل الهمّ الإسلامي بكل تحوّلاته، أكان في الغرب أم في العالم الإسلامي، وجاهد من أجل صياغة خطاب إسلامي قادر على حمل حقيقة الرسالة إلى الداخل والخارج.

كان - رحمه الله - معنيًّا بصياغة خطاب إسلامي مميز، يتعاطى مع روح الرسالة من دون أن يتجاهل حقائق العصر ومعطياته على مختلف الأصعدة، وذلك كي تتحقق عالمية الرسالة التي لم تأتِ لأمة بعينها، بل لكل البشر بكل ألوانهم ولغاتهم.

في هذا الإطار تبدو أهمية الجهد الذي كان يبذله الراحل الكبير، والذي يحتاج إلى من يكمله، لأن لدى المسلمين الكثير مما يمكن أن يقدموه للعالم إذا استخدموا لغة العصر، وحملوا حقائق رسالتهم لا مجرد قشورها الخارجية.

* كاتب ومحلل سياسي أردني

الجانب الآخر في شخصية الراحل الكبير تمثّلت في ذلك الحرص الشديد على صياغة خطاب إعلام إسلامي، يتعاطى لغة العصر وتقنياته. وقد بذل على هذا الصعيد جهوداً مميزة، منذ أن كانت المطبوعات الإسلامية أكثر من نادرة، وصولاً إلى ملامح تطور مازال أقل بكثير من المأمول.

بدأ الراحل الكبير رحلته مع الإعلام منذ دراسته في الولايات المتحدة، وفي سياق العمل الطلابي، وصولاً إلى تجاربه المتعددة في المملكة. وفي مختلف المراحل، ظل وفيًّا لرسالته، ومشروع الأمة في النهوض، إضافة إلى متابعة حثيثة لجراحها النازفة في فلسطين وسواها من صراعات الأمة مع من يستهدفون إخضاعها.

يبقى الجانب الأروع في شخصية الراحل الكبير ممثلاً في خلقه الرائع، والنموذج الذي يقدمه على هذا الصعيد، فهو لم يكن كاتباً ومفكراً فحسب، بل كان نموذجاً للمعلّم الملتزم، الذي يحمل الرسالة بالخلق والتعامل قبل الفكر والتنظير.

رحل الدكتور عبدالقادر باكراً قبل أن يحقق الكثير من أحلامه، وهو الرجل المدجج بالطموح، بيد أن نداء الأجل قد حان. فندعو الله أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يتقبله في الصالحين، وأن يخلف الأمة فيه خيراً. إنه سميع مجيب.

مؤسس الإعلام الوديع!

بقلم: زياد الدريس *

أحيانًا تؤجل رثاء عزيز لديك، لأنه عزيز جداً. وتريد أن ترثيه بما يستحق. ثم تفاجأ بأنك تلعثمت في أن تعبرَ بما كنت تأمل من مشاعر، فتصبح بين نارين: نار السرعة، أو نار السكوت. لكننا كثيراً ما ننسى أن الحزن الكبير لا يحتاج إلى أشياء كبيرة لعرضه، وإلاّ لما جعل الخالق سبحانه قطرة ماء تخرج من العين تعبر عن الحزن بما لا تقدر عليه سيول من لعاب الكلام. !

تعرّفت على أخي الفقيد عبدالقادر طاش - أول مرة - قبل قرابة عشرين عاماً، عندما كتبتُ مقالاً في مجلة اليمامة بعنوان (تلفيق المعاني لبلوغ الأماني)، وبعد أيام قليلة من نشره، وجدت رسالة لي عند المجلة، ففتحتها مزهواً بأن أصبح لي قرّاء يراسلونني، وإذا بها من (القارئ!): عبدالقادر طاش على ورقة صفراء مازلت أحتفظ بها، يشكرني فيها على المقالة، ويشد على يدي، لكنه بعد ذلك يعاتبني على حدّة اللغة في المقالة، وأنه كان يمكنني إيصال الرسالة التي أردت برفق ولين.

كانت هذه أول رسالة أتلقاها من أبي عادل، أما آخر رسالة نقدية فكانت اتصالاً هاتفياً في مثل هذه الأيام من العام الماضي، كان يحدثني وهو لا يكاد يتمالك نفسه من الضحك والحبور والإعجاب بمقالتي عن (العادات السبع لمرشحي الوزارة)، وكيف أنّه صور المقالة نسخًا عديدة يوزعها على أصدقائه؛ لأنه يراها من أكثر المقالات نقدًا ساخرًا.

بين تلك الرسالة، وذلك الاتصال - غير الأخير - كانت علاقة أخوية مع دكتور طاش

* سفير المملكة في اليونسكو

تجاوزت حدود الرسائل الورقية والهاتفية إلى قواسم مشتركة من المشاعر والرؤى والمواقف، التي كانت دوماً تذكّرني بالنصيحة الأولى من الإعلامي الوديع الدكتور طاش، والتي لا أخفي أني كنت كثيرًا ما أتمرد عليها، لكني أظن أنها كانت. ومازالت. تحدّ من تمرد أكبر كلّما تذكرتها.

هل سينتهي مفعول النصيحة الآن بغياب صاحبها؟.

لا أظن ذلك، لأن صاحبها نفسه لن يغيب وجداناً.. وإن غاب جسداً.. رحم الله أخي الكبير أبا عادل، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في مستقر رحمته.. آمين.

دكتور طاش ..
ستظل مشتعلاً في دواخلنا

بقلم: أمجاد محمود رضا *

لأول وهلة لم أُصدّق الخبر، خاصة وأن الساحة الإعلامية كانت تضج بحيوية فكره.. فلقد كان بيننا ومعنا.. ومنذ أيام ليست بالبعيدة كرّمته الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام . التابعة لرابطة العالم الإسلامي . على أعماله الإعلامية المتميزة في خدمة الإسلام.

كان ولا يزال . في الذهن . نجماً متألقاً بخلقه الرفيع، وفكره الصائب، ورؤيته النافذة، وعلمه الغزير، ووعيه المتقد.

دكتور طاش إنسان جمع بين الخلق الرفيع، والفكر الصائب (ككاتب)، والرؤية الثاقبة (كمتخصص وخبير)، فكان مبدعاً في إنتاجه، مؤثراً في طرحه، ومتفرداً فيما يتركه من أثر على متلقيه، ورياديا في مجاله.

إن خسارتنا كبيرة في رحيل دكتور طاش عنا..

وإننا بحق أحوج ما نكون اليوم إلى أمثال هذه الشخصية، في هذه المرحلة التاريخية التي تمر بها أمتنا ومجتمعنا.. فهو خير من سخّر علمه وخبراته في صد الحملات المغرضة عن الإسلام ووطنه. إن مسيرته وخبراته وتجاربه كلها تشهد له، قبل أن تشهد له كلمات المفكرين والإعلاميين والمسؤولين.. وقد تلمّسنا جميعاً كيف دفعته مسؤوليته الوطنية والإنسانية ليقبل على كل عمل فيه مصلحة الوطن وأبناء الوطن.. آخرها عضويته في جمعية حقوق الإنسان.. وذلك رغم مرضه وتعبه.

* كاتبة سعودية ومديرة تحرير الوطن سابقاً

أقولها وإن غاب عنّا..

لقد شعرت بالأمان - وقتذاك - لوجوده عضواً فيها؛ لكونه طاقة إعلامية فذة.. توقعت أن يحقق ما نحلم به في ضوء إجادته لفن مخاطبة الآخر، ولإجادته صياغة الرؤية المستقبلية لعمل من هذا النوع، وتمكنه كإعلامي قدير على ترجمة تلك الرؤى إلى واقع.

ولكن القدر سبق الجميع.. ولكنه سيظل كإعلامي متميز (شمعة) وإن أطفأها القدر إلّا أنها ستظل مشتعلة في دواخلنا كإعلاميين، تضيء بنورها الطريق لكل من يريد أن يختار المهام الصعبة، والعمل الجاد والمخلص لوجه الله، ولرفعة الوطن.

عبدالقادر طاش..
ذلك الطيف الذي رحل

بقلم: د. عاصم حمدان *

عندما التقيته لآخر مرة، وفي الحفل التكريمي الذي أقامه له بعض أحبابه ومريديه، لم ألحظ تغيراً في الروح المعنوية التي يتمتع بها الفقيد الطاش، تلك الروح الطيبة والرضية التي رسمت ملامح شخصيته، والتي من خلالها أحبه الجميع، وفي كل الأمكنة والمواقع التي جمعتهم به، في الطائف يافعاً، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود دارساً، وفي الولايات المتحدة الأمريكية مبتعثاً، وفي شارع الصحافة كاتباً ومسؤولاً، وفي أول قناة عربية وإسلامية (اقرأ) ناشطاً.

قلة من رؤساء التحرير والذين يزيدهم ضجيج الصحافة وصخبها وتناقضاتها حباً وبهاءً وتجلة، وكان عبدالقادر طاش واحداً من هذه القلة، وأزعم أنني خبرته من خلال تعاوني معه كاتباً في (المسلمون)، و(عرب نيوز) أكثر من غيري، وكان البون شاسعاً بينه وبين آخرين خلفوه في تلك المواقع. هو لا يكذب، ولا يتهرب. ويكره أن يكون متلوناً أو لابساً لأقنعة مختلفة، فلقد أدرك أن الذين يلبسونها سرعان ما يتبدى للآخرين القبح من ورائها، حتى ولو كان حجابها كثيفاً، ويغيب عن الآخرين أن قبح النفس والصفات هو الأسوأ بين أنواع القبح الأخرى في هذا الكون.

وقلة من أرباب صناعة الإعلام تستطيع أن تستقطب مريدين أو محبين وأنصاراً، وكان (الطاش) قادراً على أن يفعل هذا، ولكنه مع هذا الحب الذي كان ينثره على الآخرين ورداً و(كادياً) من بين سفوح ووديان (الهدا)، و(قروى)، و(الردف) مع

* أكاديمي وكاتب في صحيفة (المدينة)

هذا الحب، وتلك الوداعة والطيبة إلّا أنه لم يسلم من أوخاز أقرب الناس إليه!! وأزعم أنه لم يعرف القلب منه حقداً، ولا حفيظةً، ولا موجدةً على هذا الضرب من ضروب البشر، والذين يتحيون بخداعهم ومكرهم - عقلة الأعين في سهادها - ليضربوا الناس من القفا ثم يهربون. وما علموا أنهم وإن غابوا عن أعين البشر فلن يغيبوا عن علم من لا تغفل له عين ولا ينام، عز سبحانه عن النظير والشبيه والمثال.

ربع قرن من الزمن أو أكثر، صنع فيها الطاش الكثير في الساحتين الفكرية والصحافية الإعلامية، وشيد بناءً للكلمة الوسطية، والمعتدلة، والمستشرفة أيضاً لمستقبل الأمة، وخصوصاً في الحقل الإعلامي والذي تتنافس في رحابه القدرات والمواهب. وإذا كانت الأمة تعيش مخاضاً صعباً، فحسبك يا أبا عادل أنك أسّست للكلمة الطيبة والنافعة والقوية ما عجز الآخرون عن فعله، والأعجب من هذا كله أنك فعلت هذا في هدوءٍ، وكأنك بصنيعك هذا تضرب المثل، وتقيم القدوة. وحسبك أيُّها الحبيب أنك تركت خلفك من يحملون الراية، ويكملون المسيرة.

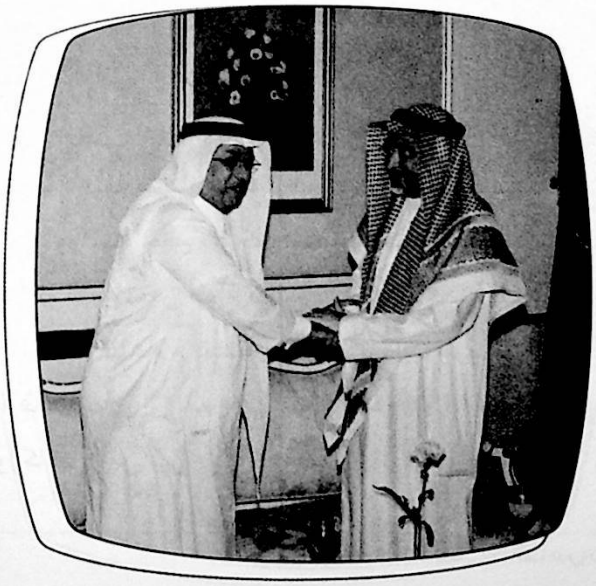

دكتور طاش..
أحد صالحي العصر

بقلم: د. محمد الهرفي *

الحديث عن الدكتور عبدالقادر طاش. رحمه الله. حديث سهل بدايته، ولكن نهايته ليست بذات السهولة!!

كبار الرجال لا تعرف. عندما تريد أن تتحدث عنهم. من أين تبدأ، ولا كيف تنتهي.. إذ كل ما فيهم يستحق أن يُتحدث عنه وبذات الأهمية..

الدكتور عبدالقادر. رحمه الله. ترك دنيانا، كما تركها قبله الكثيرون ممن لا يحصيهم إلا الله، ولكن هناك فرق بين من يتركها بجسمه ويبقى ذكره فيها خالداً، وبين من يتركها بجسمه وكل شيء فيه، وقد يُتحدث عنه بما يكره لو كان يسمعهم!!

في زمن الإعلام الهابط برز الدكتور عبدالقادر بفكره النيّر، وآرائه القوية التي سخّرها لخدمة بلده وأمته الإسلامية؛ ليكون لها إعلام يعبّر عن ذاتها ومرتكزاتها الأساسية المعتمدة على دينها..

لم تكن هذه المهمة سهلة، لاسيما وكلنا يعرف أن البدايات محاطة بكثير من الصعوبات، يُضاف إلى ذلك أن فكرة الإعلام الهادف الذي لا يرتبط بغير ثوابت الأمة لم يكن له من يتبناه، وغير قادر. في الوقت نفسه. على ممارسته إلا أعداد قليلة من المتخصصين. وكان الدكتور. رحمه الله. واحداً من أبرزهم آنذاك..

عندما ترأس الدكتور قسم الإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان ذلك في بداية مسيرته الإعلامية الموفقة حرص كثيراً على تخريج طلاب أكفاء في

* أكاديمي وكاتب في صحيفة (الوطن)

مختلف التخصصات الإعلامية؛ ليكونوا قادرين على القيام بواجباتهم التي تحتاجها بلادهم.. ولقد عمل مع زملائه في القسم على وضع مناهج إعلامية تحقق الأهداف العليا، التي أتفق وزملاؤه على الوصول إليها، وطالما حدث اختلاف بينه وبينهم على معرفة أي الوسائل أفضل، وكان - رحمه الله - رجّاعاً إلى الحق! وهذه صفة نادرة في كثير من الرجال..

جريدة (المسلمون) كانت محطة أخرى في حياته الإعلامية، فقد عمل معاراً من جامعة الإمام، واستطاع أن يجعل من هذه الجريدة - رغم كل المعوقات - واحدة من الجرائد الإسلامية المتميزة ذات الهدف الواضح الذي لا يقبل التلوّن والتغيّر..

انطلق بعدها إلى قناة (اقرأ)، وكان أول رئيس لها، وكانت هذه القناة أول قناة إسلامية متخصصة، واستطاع أن ينطلق بها إلى آفاق رحبة من العطاء، بحيث أصبحت المتنفس - شبه الوحيد - لكل أبناء العالم العربي الذين يبحثون عن إعلام هادف لهم ولأبنائهم.

وإبان تولي الدكتور عبدالله العبيد الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي حرص على استقطاب الدكتور عبدالقادر ليكون مسؤولاً عن الدائرة الإعلامية في الرابطة. ولأن هذه الرابطة - عالمية - ولأن اهتمام الدكتور عبدالقادر كان عالميًا، فقد عمل في هذه الدائرة بهدف إبلاغ رؤيته وتحقيقها؛ ليكون نفعه أعم وأشمل.. وهذا ما كان..

لا يستطيع منصف أن ينكر الأثر البارز الذي تركه الدكتور على الإعلام الهادف، ولا يستطيع أحد - أيضاً - أن يتجاهل أثره الكبير على هذا اللون من الإعلام في بلادنا خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة.

أقول: لا يُذْكر الدكتور عبدالقادر - رحمه الله - إلا ويُذْكر معه دوره البارز في تحقيق نقلة نوعية في الإعلام الهادف.. ولا يُذْكر الدكتور أيضاً - في أي مكان - إلّا ويقول الحاضرون: رحمه الله فقد كان واحداً من صالحي رجال عصرنا.

عبد القادر طاش..
الإعلامي الداعية الإنسان

بقلم: د. عبدالحليم عويس *

لم يكن يدور بخلدي . والغيب بيد الله . أن تذبل هذه الزهرة اليانعة بهذه السرعة، فهذا الصديق الإعلامي المتّقد حرارة وإيماناً ونشاطاً . يوحي مظهره الودود المتفائل الهادئ وعمله الدؤوب . بأن لديه الكثير مما يحلم في القيام به.. خدمة لدينه الذي يتعرض لحرب عالمية، جنودها في الداخل لا يقلون عن جنودها من الخارج، وخدمة لأمته التي يريد أعداؤها تغيير قلبها وعقلها في هذه الظروف الصعبة!! لكن الله غالب على أمره.. ولا نملك إلا أن نقول محتسبين: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

. عملت خمسة عشر عامًا مع الدكتور عبدالقادر طاش في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وكنا . معاً . من الجهاز الاستشاري العامل مع معالي الأستاذ الدكتور عبدالله التركي (مدير الجامعة الأسبق، والوزير السابق، والأمين العام الحالي لرابطة العالم الإسلامي). فكانت تجمعنا نشاطات متعددة دعوية وإعلامية وتحضيرات لمؤتمرات وندوات.. كما أننا اشتركنا في أعمال دعوية وإعلامية خارج الجامعة على كثير من الأصعدة.

وكنا نتزامل أيضاً في تحرير مجلة (الدعوة) السعودية الغرّاء، ولاسيما في عهد رئيس تحريرها الداعية الفاضل الشيخ سعد آل فريان (وكل رؤساء تحريرها أفاضل).. وكان لنا اجتماع أسبوعي تحت رئاسة الشيخ سعد (جزاه الله خيراً).. وقد استمر ذلك لعدة سنوات.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

وقد جمعتنا - إلى جانب ذلك - ندوات ولقاءات كثيرة خارج هذين الإطارين الوظيفيين.

ويعلم الله أنني طيلة هذه السنوات - التي تقترب من عقدين من الزمان - ما رأيت في الدكتور الحبيب عبدالقادر طاش - رحمه الله رحمة واسعة - إلا القلب النقي، والعقل الذكي، والسمت الهادئ الوقور، والأخلاق النبيلة، والابتعاد عن مواطن الخلاف والشحناء، والإخلاص لهذا الإسلام العظيم من خلال جهوده التنظيرية والتطبيقية في مجال الإعلام الإسلامي.. خروجاً بهذا الإعلام الإسلامي من دائرة الرؤية التقليدية، والممارسة العاطفية العفوية إلى مرحلة (العلمية) الممزوجة بروح الدعوة وفكر العالم الأكاديمي، والداعية الذي يخلص لقضيته من كل كيانه، بغير حماس ظاهر، أو ردود أفعال تبتعد بصاحبها عن الموضوعية..

وما زلت أتذكر عندما اتصلت به في الأيام الأخيرة من ذي الحجة الماضي (١٤٢٤هـ). أطمئن على صحته وعافيته - أثناء وجودي في مكة المكرمة مشاركًا في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي.. مازلت أتذكر أنه - مع ما يعانيه من المرض - يطلب مني بإلحاح أن أكتب له شيئاً عن الجمعيات الأهلية الإسلامية.. فحتى في هذه اللحظة المرَضية،وفي هذا الظرف الاستثنائي من حياته، كان يعيش أخي عبدالقادر طاش لدينه وأمته، حاملاً الهمّ الإسلامي العام إلى آخر لحظة.

فجزاك الله يا أخي الحبيب خير الجزاء، وألحقك بالشهيد (أحمد ياسين) في الفردوس الأعلى في الجنة.. ففضلُ الله عظيم، وأبواب الجهاد واسعة. وقد كنت على باب من أبواب الجهاد، وسلام عليك في الآخرين.

إعلامي إسلامي جلس على أقصى كرسي الاعتدال عبد القادر طاش..

عاش في محاولة الإمساك بالأمل

بقلم: مشاري الذايدي *

كان وجه الإعلام الإسلامي الأكثر إشراقا وترغيبا. لنقل إنه أفضل من يستطيع أن يقنع الناس بدماثته. كانت لديه (ترسانة) من الحب والسماحة. وهب الدكتور عبدالقادر طاش فكرة الإعلام الإسلامي، كل شيء في حياته. ونذر نفسه للاعتدال الإسلامي إلى آخر قطرة من روحه. كتب في سياط المرض عن وجوب النقد الذاتي للإسلاميين، ثم قبل أن يترجل عن صهوة الحياة بأسابيع، كتب مناصرة للإسلامي التنويري المحامي عبدالعزيز القاسم، مساندا مطلبه في إصلاح مناهج التربية الدينية في السعودية.

الهدوء والتروي، هما عنوان طاش، في حديثه وتحولاته، التي كانت تنويعا على ذات النغم الخالد، في مشيته وعلاقاته. الشيء الوحيد الصاخب في عبدالقادر طاش هو عاصفة الحب والسماحة التي كانت تهب من جنبات روحه.

طاش ابن مدينة الطائف الجبلية، وسليل الألم الإسلامي المطارد في هذا القرن الحزين، وابن الأسرة الإسلامية المعانقة للإسلام هوية قبل أن تتشبع مساماتها من الأرض السمراء.

حدد خياره، وحدّدته الملابسات الاجتماعية والتاريخية. فكان الانفتاحُ على الأفق الإسلامي الواسع. حصل على قسط من تعليمه الجامعي في السعودية، ثم صوّب نظره

* كاتب وصحافي في جريدة (الشرق الأوسط)

إلى أميركا، فظفر بشهادة الدكتوراه في الإعلام. جاء بها إلى بلاده التي كانت للتو تفتح عينيها على الخارج في اتساع مندهش. ترك (الدكتور) غرب الوطن، ويمم إلى العاصمة الرياض، حيث جامعة الإمام محمد بن سعود. وهناك كانت قصة أخرى مع التدريس والهمّ الأكاديمي. درّس في قسم الإعلام، ولن نقول الإسلامي، إذ لا شيء إلا هو. هناك لم ينحسر الماء بعدُ عن صخور العقول المختلفة والاتجاهات المتعاكسة في كثير الأحيان، التي كشفت أن هناك مسلمين وإسلاميين، ليسوا بالضرورة في مربع التطابق الموضوعي.

نما القسم وُضمّ إلى قسم آخر، حيث اندمج الإعلام بالدعوة، ومن هناك خرجت كلية (الدعوة والإعلام). فرحل عبدالقادر إلى الكيان الجديد مدرسا الإعلام ليصبح رائدا سعوديا في مجاله، في الوقت الذي كان فيه الأشقاء من مصر والسودان يديرون دفة التدريس. غادر طاش قاعة الدرس الجامعي بعد أن ترأس قسم الإعلام لفترة من الوقت، لكنه لم يبعد كثيرا. انتقل من غرفة إلى غرفة، أو بالأدق من غرفة إلى شرفة تجابه الناس وتنقل الدرس الجامعي إلى الميدان. تخلص الدكتور من احباطاته التي كشفت له الفرق بين الواقع والمثال في تجربته الجامعية، حيث الرابطة الإسلامية ليست بالضرورة كما يعرفها إحساسه الأممي.

بعيداً عن التنظير، وفي أعماق الواقع، ارتقى السلم الإعلامي فأصبح نائبا لرئيس تحرير مجلة (الدعوة)، أول مجلة سلفية في السعودية. كان الرئيسُ، هو الصحافي داوود الشريان، واستمرت هذه الثنائية في جريدة (المسلمون)، التي شهدت فترة توهج إلى قبيل حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١. انفصلت هذه الثنائية بعدما غادر الشريان كرسي الرئاسة وحل فيه عبدالقادر الذي لم يطل المقام به كثيرا حتى غادره هو الآخر. حيث أشياء كثيرة تغيرت في السعودية بعد غزو الكويت.

عبد القادر طاش لم يفارق إيمانه العميق بنجاح الفكرة الإسلامية، أو الصحوة

الإسلامية، انتقل لتجربة جديدة، بلغة مختلفة، وهذه المرة بالإنجليزية حيث ترأس تحرير جريدة (عرب نيوز). طاش والتغيرات، هكذا كانت حياته، حيث غادر رئاسة التحرير باللغة الإنجليزية ليعود للعمق الديني مشرفا على ملحق الرسالة الإسلامي في جريدة (المدينة). وبعيدا عن تفاصيل التجارب، يعود الرئيس رئيسا من جديد، فيقعد على كرسي تحرير صحيفة (البلاد). في تلك الفترة أعطى طاش الضوء الأخضر لتلميذه ومساعده عبدالعزيز قاسم لاستكتاب (شباب تنويريين) لتكون الإطلالة الأولى لهم في الصحافة المحلية. كان طاش رجلاً يتمتع بدفء في استقباله وحديثه. في حلقة تلفزيونية صاخبة في برنامج (على الهواء مع عماد الدين أديب) وصفه جمال عنايت معد البرنامج بـ (رمانة الميزان). حيث كان الحديث عن إصلاح الخطاب الديني في السعودية، ودار جدل بين كاتب السطور والداعية عايض القرني، فكان عبدالقادر طاش رسول التقريب. كان في أعماقه يؤمن بأهمية الإصلاح والتغيير.

وبعد أن حفر للإعلام الإسلامي واديا عميقا، حيث أسس قناة اقرأ، القناة الإسلامية الأولى، غادرها ليؤسس دارا خاصة للاستشارات الإعلامية، وكان يزمع إصدار صحيفة من مصر.

طاش الممتزج بالإنسان، قبل أن يودع الحياة اختير عضوا في جمعية حقوق الإنسان الوليدة في بلاده السعودية، لتظل روحه المتسامحة مرفرفة على هذه الجمعية.

أخذ الإسلام ببعده الإنساني، عاش مخلصا للأفكار التي ينتمي إليها والتي تحكم كل منخرط في التيار الإسلامي (رؤية العالم، والموقف من الغرب.. الخ) لكنه كان يقعد على أقصى كرسي اعتدال موجود في صالة الإسلاميين، دوما كان يبحث عن هذا الكرسي، لكنه لم يخرج من الصالة يوما! الدكتور عبدالقادر طاش غادر عن ثلاثة أبناء وابنتين. طبيب ومهندس وطالب، وبنت جامعية، لم يفرض عليهم خياراته الفكرية والحياتية. برحيله لم نفقد إسلاميا معتدلا فقط، بل فقدنا إنسانا رائعا.

ورحل الإعلامي الشامل..

بقلم: محمود صادق *

ما لنا نصحو كل يوم وقد غيب الموت واحدا من علمائنا والصالحين! ألا يذكرنا ذلك بقول رسول الله ﷺ: إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينتزعه منكم بقبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون وفي لفظ: يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير لا يباليهم الله باله، وفي آخر: لا يعبأ الله بهم شيئا.

منذ أيام رحل عنا الإعلامي القدير الدكتور عبدالقادر طاش، رحل بعد رحلة عناء مع مرض السرطان، طاعون العصر، الذي افترس رئتيه رغم أنه لم يكن يوما من المدخنين، لكن الله ابتلاه بمرض سرطان الرئة، والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة.

لقد ارتبط اسم دكتور عبدالقادر طاش الأكاديمي السعودي والإعلامي الإسلامي بصحيفة (المسلمون) التي كانت تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، حيث استطاع أن يقدم من خلالها ذلك الشكل الراقي من الصحافة الإسلامية وصارت الجريدة ترتبط باسمه رغم أنه لم يكن رئيس تحريرها الأول أو الأخير. والدكتور عبدالقادر طاش صاحب مدرسة إعلامية تميزت بالالتزام مع مواكبة تطورات المجتمع، سواء من نواحيه السياسية أو الحياتية، فالدين عنده هو الحياة والجريدة الدينية في مفهومه لا تعني اقتصار أبوابها فقط على التعريف بالعبادات

* صحافي وإعلامي مصري

ونواقض الطهارة والصلاة، رغم أهمية ذلك، لكن الإعلام من وجهة نظره هو كل ما يعين المسلم على أداء رسالته في الحياة، سواء كان ذلك من منظور ثقافي أو سياسي أو اجتماعي.

عرفت الدكتور عبدالقادر طاش في نهاية العقد الثامن من القرن العشرين، وعملت معه في جريدتي (المسلمون) و (عرب نيوز) خلال العقد التاسع وأثناء هذه الفترة لم تكن العلاقة بيننا كعلاقة المرؤوس برئيس التحرير، بل كانت أقرب إلى العلاقة الفكرية، وذلك لإيماننا المشترك بذات الرسالة الإعلامية الهادفة، ولا أبالغ إذا قلت إن دكتور طاش توأم عقلي، فما كاد أحدنا يبدأ بطرح فكرة ما إلا ويجد الآخر يكمل أبعادها ويشرح طرق التنفيذ. ولأن العلاقة بيننا لم تكن علاقة عمل تنتهي بانتهائه، فقد بقيت، بل وصارت أشد توثيقا لأنها ببساطة شديدة لم تبن على المصالح الذاتية سريعة الزوال، بل تأسست على رؤى فكرية عميقة ومصلحة عامة هدفها خدمة هذا الدين الذي هو أمانة في أعناق المسلمين.

وإذا حاول البعض تأريخ الإعلام الإسلامي فلا يمكنهم بحال أن يتجاهلوا الدور الذي أداه الدكتور عبدالقادر طاش، إذ بالإضافة إلى تميز الهدف والرسالة التي حملها على عاتقه، كانت مدرسته الإعلامية تتميز بسمات أخرى أهمها التواضع فلم يحدث أن تعامل مع معاونيه كرئيس، بل كان جميع من يتعاون معه يشعر أنه مثلهم يدا بيد حتى ينجح العمل، وكان صبورا يتحمل معوقات العمل وأخطاء الآخرين دون أي تعنيف، بل مجرد لفت للنظر رقيق، وكان لا يتعامل مع أخطاء الآخرين، بل ينظر إلى حسناتهم ويحاول أن يضخمها ويتغافل عن مساوئهم محاولا أن يتناساها، كما تميزت شخصيته الإدارية بالقدرة على التجميع حتى المخالفين له في الرأي والهدف. ومن الصعب أن نجد أحدا تعامل معه أو عرفه ويحمل في قلبه ضغينة له أو كرها فشخصيته تجبر الآخرين على حبه وإن اختلفوا معه.

ونستطيع أن نطلق لقب الإعلامي الشامل على دكتور عبدالقادر طاش، فهو بالإضافة إلى عمله الأكاديمي كأستاذ للإعلام ورئيس للقسم في جامعة بن سعود الإسلامية، عمل بالصحافة المطبوعة وكان رئيسا لتحرير صحيفة المسلمون، ثم جريدة (عرب نيوز) الصادرة باللغة الانجليزية وبعدها جريدة (البلاد) السعودية، كما عمل بالإذاعة السعودية، وكان له أيضا برنامج بالتلفزيون السعودي، ولا ينس المتلقي العربي الجهد الذي بذله دكتور طاش في تأسيس قناة اقرأ الفضائية كأول قناة إسلامية، وبرامجه السياسية المميزة التي قدمها خلال الأعوام الأولى لميلاد القناة. لقد رحل دكتور عبدالقادر طاش، توأم عقلي، دون أن يكمل مشروعنا الجديد جريدة المستقبل، رحل مؤمنا كما تعودناه، لم يتزعزع إيمانه قدر أنملة رغم ما اعتصر جسده النحيل من أوجاع، رحل وجميع من يعرفه يدعو له بأن يكون مع الصالحين الصديقين في أعلي عليين من جنة رب العالمين.

عبد القادر طاش..

فلسفة حياته وأعماله وريادته في الإعلام الإسلاميّ

بقلم: د. محمد أبو بكر حميد *

التزم عبدالقادر طاش الإسلام خلقاً وسلوكاً كما التزمه منهج عمل وفلسفة حياة وكرس كل حياته لخدمة دينه ووطنه وأمته.

كان يحلم بالارتفاع بالإعلام العربي إسلامياً إلى مستوى التحديات التي تواجهها أمتنا في عقيدتها وثقافتها وخلقها، وأسّس منهجاً مميزاً للأعمال الصحفية والإعلامية التي أدارها ومنحه الناس لقب الإعلاميّ الإسلاميّ دون غيره من أبناء جيله، لا يجمع الناس على (فكر) رجل إجماعهم على (خلقه) إذا كان صاحب (خلق حسن)؛ لأن الفكر يخضع للرأي والاجتهاد والقبول والرفض، والناس في ذلك مذاهب شتى. أما حسن الخلق فهو كالمرآة التي تعكس الحقيقة الواحدة التي لا يختلف عليها اثنان، والحسن الخلق إذا كان صاحب فكر وصاحب التزام فإن حسن خلقه يحميه من كيد الذين يختلفون معه في الفكر؛ فخلقه يطفئ لهيب صدورهم إن كانوا من الحاقدين، ويكسبه احترامهم ويُحيّدهم إن كانوا من المنصفين.

ذو حظ عظيم.. جال ببالي هذا الخاطر عندما مرت بنا ذكرى وفاة الإعلاميّ الإسلاميّ الدكتور عبدالقادر طاش(١٣٧١ ـ ١٤٢٥هـ) في يوم الاثنين الحزين (١٤٢٥/٢/١٥هـ الموافق ٢٠٠٤/٤/٥م)وتابعت في الأيام التالية حجم المقالات التي كتبت عنه، وإجماع كل من كتب عنه بلا استثناء بأن أعظم ما في هذا الرجل

* إعلامي وكاتب في صحيفة (الجزيرة)

كان خلقه مع الناس؛ فأحبه كل مَن عرفه أو عمل معه أو جلس إليه من كل الطوائف الفكرية والأجناس، مهذباً، صبوراً، متسامحاً، شديد الحياء، يدرأ بالحسنة السيئة، يدفع بالتي هي أحسن، لا يعاقب، يلتمس لغيره العذر، كاظم لغيظه، لم يسمع منه أحد من الذين عملوا تحت إدارته كلمة نابية أو جارحة قط، بل كان بلسماً، يداوي جراح الجميع بهدوء ورقة وتواضع.

إن عمل الإنسان أو علمه مهما عظم لا يورثه محبة الناس إذا كان سيئ الخلق، وقد يكسب الإنسان احترام الناس لعلمه أو عمله، ولكنه لا يكسب محبتهم إلا بخلقه وأسلوب تعامله معهم، وقلة هم الذين يجمعون في وقت واحد احترام الناس ومحبتهم؛ لأن التعامل مع الناس يحتاج إلى صبر عظيم؛ لهذا وصف الله الصبور الحسن الخلق بأنه صاحب الحظ العظيم في قوله تعالى: (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم)، وقد كان عبدالقادر طاش ـ رحمه الله ـ (ذو حظ عظيم) في قلوب الناس، وعند ربه ـ إن شاء الله ..

هذه خلاصة ما شهد به كل الذين كتبوا عنه لم يشذ عنها أحد، فما منهم إلا وتطرق إلى حسن خلقه، وأدبه مع الناس، وهذا هو خلق المسلم الحق الذي تحلى به عبدالقادر طاش، وهذه شهادة الناس له، وهو اليوم بين يدي الله لا يستطيع لهم جزاءً ولا شكوراً.

وكما التزم عبدالقادر طاش بالإسلام خلقاً وسلوكاً التزمه رسالة عمل وفلسفة حياة؛ فقد كرّس علمه وعمله لخدمة دينه وأمته، ورغم أن دراسته الجامعية كانت في قسم اللغة العربية وآدابها، إلا أنه اتجه للإعلام في دراساته العليا لما رأى أن وطنه وأمته أحوج ما يكونان إلى هذا التخصص الدقيق والخطير، فأقوى الحروب التي تشن علينا لإضعاف عقيدتنا ومسخ هويتنا، وتمزيق وحدة شخصيتنا هي حروب إعلامية.

وأدرك عبدالقادر طاش ـ منذ باكر شبابه ـ أن الأمة تفتقر إلى ذلك الإعلامي المسلم

الذي يؤمن برسالة أمته فيترجمها إلى مشروع حياة ورسالة عمل؛ ومن أجل ذلك الهدف الكبير سافر الشاب عبدالقادر طاش إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على الماجستير سنة١٤٠٠هـ والدكتوراه سنة ١٤٠٣هـ في الصحافة والإعلام الدولي، وقبل أن يعود ليوظف ما تعلمه هناك لخدمة فكرة (الإعلام الإسلامي) الذي أصبح مشروع حياته ورسالة عمله، مارس هذه الرسالة عملياً في الولايات المتحدة الأمريكية حين اختاره زملاؤه رئيساً لتحرير مجلة (الأمل) التي تصدرها (رابطة الشباب المسلم العربي) هناك، وكان ذلك اعترافاً له بكفاءته في خدمة دينه وأمته من خلال تلك الوسيلة الإعلامية.

الانطلاق والريادة والنجاح

كرّس عبدالقادر طاش بعد حصوله على الدكتوراه سنة ١٤٠٣هـ وعودته من البعثة جهده في تأسيس قاعدة أكاديمية للإعلام الإسلامي لقسم الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً مشاركاً، ثم رئيساً لهذا القسم. وله جهوده في تطويع نظريات الإعلام الغربية وتوظيفها إسلامياً.

وكان طلابه الذين يشهدون له اليوم بالرؤية المستنيرة وسعة الأفق يؤكدون أن علينا أن نأخذ من نظريات الغرب ما يصلح لنا بعد أسلمتها، ثم بعد أن نستوعب أفضل ما عند غيرنا ننطلق للإبداع وصناعة ما يؤهلنا للحديث عن الإعلام الإسلامي الذي نريد. وبعد أن رسخ هذه الفكرة في أذهان تلامذته انطلق بها تطبيقاً في الصحف والمجلات التي رأس تحريرها أو عمل بها.

ولعل أهم ما قدمه في خدمة الصحافة الإسلامية في الفترة التي رأس فيها تحرير جريدة المسلمون (١٤١١ ـ ١٤١٥هـ)، أنه نهض بهذه المطبوعة وجعلها دولية بالفصل لا بالقول، واستطاع أن يحقق للصحافة السعودية سبقاً في العالم العربي،

فقد شهدت أرقام التوزيع أنه لأول مرة في تاريخ الصحافة السعودية الحديثة تحقق صحيفة سعودية المرتبة الأولى على مثيلاتها في مصر ذات الكثافة السكانية، ويروي زميله - الذي عمل معه - الصحفي الأستاذ شريف قنديل أن رواتب جميع المحررين والمسؤولين في مكتب (الشركة السعودية للأبحاث والنشر) في القاهرة كان يغطيها المردود التوزيعي للصحيفة! ومن بعده فقدت صحيفة (المسلمون) الرسالة التي كانت تعبر عنها مهنياً وفكرياً؛ فظلت تتراجع حتى توقفت عن الصدور في أواخر ١٤١٨هـ، وبقي عبدالقادر طاش عصرها الذهبي الذي سيذكرها التاريخ به.

ثم رأيناه بعد ذلك يرأس تحرير صحيفة (عرب نيوز) اليومية الصادرة بالإنجليزية، فيعطيها من روحه الإسلامي، فتميزت بذلك (القبس) لمدة أربع سنوات (١٤١٤ - ١٤١٨هـ)، ولم يستطع فقط أن يعطيها تميزاً صحفياً وفكرياً فحسب، بل استطاع أيضاً أن يجمع على محبته واحترامه بحسن خلقه وتواضعه كل العاملين فيها من مسلمين وغير مسلمين؛ فكسب إخلاصهم في عملهم طواعية دون خوف أو إكراه.

ويعدّ دوره الريادي والأساسي في تأسيس قناة (اقرأ) الفضائية وإدارته إياها في الفترة من (١٤١٨ - ١٤٢٠هـ) من أهم إنجازات حياته وحجر الأساس في تحقيق طموحه في الارتقاء بالإعلام الإسلامي إلى المستوى الذي يواجه به التحديات المماثلة.

كان عبدالقادر طاش مثله مثل كل مسلم غيور على دينه وأمته يحلم بالارتفاع بالإعلام العربي إسلامياً إلى مستوى التحدي، وصدّ الهجمة الشرسة التي انهالت بها القنوات الفضائية على قيمنا وثقافتنا وعقيدتنا مستهدفة بشكل أساسي شباب هذه الأمة لإفساده وفتنته وإغوائه لإبعاده عن التفكير في أداء رسالته.

بهذا الوعي أدار قناة (اقرأ) لمدة عامين فكانت سنوات التأسيس أفضل سنواتها ولا تزال بصماته وملامح من منهجه عليها إلى اليوم.

الثبات على المبدأ والعطاء المتنوع

ولما رأى أن أجواء الثقافة الدعوية والفكرية الإسلامية أحوج ما تكون إلى عمل صحفي إسلامي يتسم بالوسطية وروح الاعتدال والتسامح ويعكس بروح إعلامية صادقة وأمينة قضايا الأمة، أصدر لجريدة المدينة ملحق (الرسالة) سنة ١٤٢٠هـ فأعاد للناس ذكريات (جريدة المسلمون) من خلال وحدة المنهج ووضوح الرؤية وتميز الفكر، ورأس تحريره لمدة عام. وبعد ذلك تقلب في عدة مناصب فعمل سنة ١٤٢١هـ مديراً عاماً للإعلام برابطة العالم الإسلامي ورأس تحرير صحيفة (العالم الإسلامي) ودفعها خطوات تطويرية إلى الأمام مهنياً ودعوياً، ثم تركها ليصبح سنة ١٤٢١هـ رئيساً لتحرير (جريدة البلاد) وبذل جهداً ملموساً لإصلاح أحوالها على قصر المدة التي لم تزد على عام، ومع ذلك فقد شهدت الأعداد التي أصدرها وعياً جديداً برسالة الإعلامي الإسلامي الذي يخدم رسالة أمته من أيّ موقع يكون فيه فيرتفع فوق أصعب الظروف، وقد اكتسبت هذه الصحيفة (شخصية) تميزت بها في حينها سيُنذر بها عبدالقادر طاش حين يدرس الدارسون تاريخ تطورها.

رائد متعة الإعلام الهادف

بقلم: سليمان بن علي العلي *

كثير هم من نقابلهم في حياتنا.. قليل هم من نحبهم بصدق، ونتذكرهم من وقت لآخر، ومن هذا القليل قلة لا ننساهم، ونتمنى أن يكونوا حولنا، أو نكون حولهم، ودكتور عبدالقادر طاش كان معي من الصنف الأخير، وكانت معرفتي به أيام كنتُ طالباً في الولايات المتحدة الأمريكية أدرس اللغة الإنجليزية في مدينة صغيرة في ولاية ميسوري عام ١٩٨٣م، أي قبل اثنين وعشرين عامًا، وإذا بشخص يأتينا بسيارته. لا أعرفه ولا يعرفني. ومعه كوكبة من الشباب المسلم قادمون من ولاية إلينوي التي تبعد عنا ساعتين، فعرّفني بنفسه قائلاً: أخوك عبدالقادر طاش، وجئنا لندعوكم للذهاب معنا بمناسبة قدوم مولود لي في مسجدنا، وكنت وقتها عازبًا أعاني من رداءة طعام الجامعة، طبعًا فرحنا أنا ومن معي، وأكبرنا في هذا الرجل قدومه إلينا كل هذه المسافة. وهو لا يعرفنا. ليدعونا في هذه المناسبة، ويأخذنا معه بسيارته، ثم يرجعنا في آخر الليل، طبعًا كانت دماثة الخلق، وحُسن الفكاهة، وبشاشة الوجه هي الروح السائدة في لقائنا معه، وتعلّمت درسًا في بداية حياتي العملية أن أبذل لإخواني ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأن لا أستثقل مسافات أو أوقاتاً في سبيل تقوية العلاقة بهم، ثم مرت السنون، والتقيت به ليطلب مني العمل معه في تأسيس قناة (اقرأ) الإسلامية كنائب له، وكان تعامله معي بنفس الروح التي عرفته بها منذ لقائي الأول، لم يتغير بل زاد أريحيةً وتواضعًا، فتعلمت منه العمل الجماعي، ثم بدأنا معا في تأسيس قناة (اقرأ) الفضائية من خلال تحديد هويتها الإسلامية، ورسم الخطة الإعلامية لها، فاقترح شعارًا لها (متعة الإعلام الهادف)، وانطلقنا بنشر الفكرة في

* مستشار ومدرب برامج إطلاق القدرات وتطوير الذات

كافة الأرجاء بدعم من الشيخ صالح كامل، وكان ـ رحمه الله ـ يحطّم العوائق، ويذلّل الصعوبات في جلد رائع، وحكمة مبصرة، وكان يقول لي: إن كل برنامج جاد مفيد سيأخذ ـ حتما ـ مكان برنامج سيئ رديء.

لقد أمضيت معه عامًا كاملاً، لكنه كان بالنسبة لي خبرة لا تُقدّر بثمن، استفدتُ منها استفادة عظيمة، لازلت أنهل من معينها.

ورغم انشغالي بهموم الحياة إلّا أن علاقتي به لم تنقطع لعمق أخوتي به، وبساطته، وتواضعه، وبذله للنصيحة لي.. فهو نعم الأخ والصديق القريب من النفس.

وكنتُ كلّما التقيت به لم أجد تغييرًا أبدًا رغم المناصب التي تقلّدها، والألقاب التي نالها، وظل أبو عادل ذلك الإنسان الذي يأسرك بتواضعه الجم، حتى أنني عندما كنت أعوده في مرضه الأخير كان هو الذي يبادرني بالسؤال عن أحوالي، وكأني أنا المريض، ويناصحني، ويهوّن عليَّ أمور الدنيا.

نعم يا أبا عادل.. لقد تركت آثارًا عظيمة، فكنت السبّاق في برنامجك المتميّز (المجلة الإسلامية)، ثم أضفت عليها قناة (اقرأ) الفضائية، بالإضافة إلى الكثير من كتبك القيمة، ومقالاتك النافعة، وبصماتك الواضحة في كل منصب إعلامي تقلّدته.. فهنيئًا لك بهذه الآثار التي أرجو أن تثقل موازينك عند رب العالمين، وأن يرفع قدرك في الآخرة كما رفعه في الدنيا، وأن يجمعنا معك في مستقر رحمته في فردوسه الأعلى.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.. آمين.

الآن وقد توفاه اللّه!!

بقلم: صالح الشيحي *

يقول الشاعر:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

تذكرت هذا البيت فور علمي بنبأ وفاة أخي (عبد القادر طاش)..

لم أزد على أن قلت: رحمك الله، برحمته التي وسعت كل شيء.

لست من الذين يميلون إلى الحديث عن الأشخاص بعد موتهم..

غير مُجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باك ولا ترنّم شادي

فضلاً عن أنني لست اليوم في موقف يُخوّل لي الحديث أو الرثاء.. ذلك على الرغم من كون الطبيعة البشرية تقول بأن الإنسان - في هكذا موقف - كثيرًا ما فزع نحو الحزن والرثاء، بأية طريقة.

فقط أتيت للحديث عن هؤلاء الذين تذكروا (عبد القادر طاش) عندما توفّاهُ الله، صابرًا محتسبًا، فأتوا من كل حدبٍ وصوب، تتلاطم - أو هكذا بدا - في أفواههم ألفاظ الحزن، وتبدو على وجوههم مظاهر البكاء، يُعدّدون مناقبه، وصفاته، ويشهدون بإنجازاته، وجهوده.. ويروون ذكرياتهم معه!!

- فهذا قابله في أمريكا، وهذا هاتفه من القاهرة، وهذا رافقه إلى لندن، وهذا زامله، وذلك يذكر موقفاً إنسانيًّا، وآخر يشير إلى موقف طريف، وذلك قرأ عليه مقالاً، وذلك قرأ إليه، وآخر قرأ عنه، وسادسٌ تعلم على يديه، وسابعٌ وثامنٌ وتاسعٌ وعاشر!!

- قَدِم إلينا هؤلاء عندما مات (عبد القادر طاش)!

* تربوي وكاتب في صحيفة (الوطن)

أمّا فيما مضى فلم يتورع أحدهم بذكر أدنى معلومة، أو مقال يُطمئن فيه أحباء طاش.

رحمه الله ـ على وضعه الصحي، طيلة سبعة أشهر!

يا هؤلاء.. يا من تُكرِّسون فينا هذه العادة القبيحة: ما بالكم لا تتذكرون بعضكم إلاّ عندما يموت؟!

خاتمة: رحم الله عبدالقادر طاش رحمةً واسعة، وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وترجّل الفارس

بقلم: د. جميل اللويحق *

في كثير من الأحيان لا يتنبّه الناس إلى مقدار بعضهم وفضله كما ينبغي، إلاّ حين يفجأهم الموت بفقده، فإذا التفتوا إلى تاريخه الذي تكون في ذاكرتهم، ورأوا أثره في حياتهم، علموا حينها عظم مصيبتهم بفقده وغيابه، ولاموا أنفسهم على تفريطهم في حقه إبان حياته، وكيف غفلوا عنه، وفاتهم أن ينتفعوا بكل ما لديه حين كان ذلك ممكناً، ويعودون إلى الحوقلة، واجترار الذكريات.. وهي في النهاية إحدى سنن الحياة فيما يبدو، وقليل هم أولئك الذين يعرف قدرهم في حياتهم.

لقد ترجّل الدكتور عبدالقادر طاش، وغادرنا راحلاً إلى آخرته في زمن تمر فيه قضيته الكبرى، وهي قضية الإعلام الإسلامي بمنعطف لم يسبق له مثيل في التاريخ. فقد أصبحت الآلة الإعلامية بأشكالها المتعددة، والتعامل معها إبداعاً وتلقيًّا - بزعمي - هي أكبر التحديات التي تواجه الأمة، سواء في اختراقها لميدان الأفكار والمفاهيم، أو لاختراقها لميدان الأخلاق والقيم، بل حتى وصولها وملامستها لحاجات الحياة اليومية. لقد كان أبو عادل - رحمه الله رحمة واسعة - من أوائل من حمل عبء هذا الهم، ومن أوائل من تعاطى مع هذا المشكل الضخم برؤية إسلامية دعوية واعية تدريساً وتأليفاً وممارسةً في الدوائر الأكاديمية، والصحفية، والفضائية. وكان يمثل رمزًا إسلاميًّا بارزًا في هذا السياق لا يمكن تجاوزه، ويطغى التمثيل به على غيره عند الحديث عن إشكالية وبدايات الإعلام الإسلامي، لقد تحرّك في زمن كان الكثيرون

* أكاديمي بجامعة الطائف وكاتب بصحيفة (المدينة)

فيه يقفون موقف المحذّر من الممارسة الإعلامية، ومن كل مخرجاتها، أو على أحسن أحوال طائفة منهم على موقف المتردد والمتفرج الذي لا يتجاوز الاستقبال، فكان صاحب طرح واضح، متعقل، يدرك طبيعة المرحلة، ووعورة البداية، ولسنا ننسى المثال المتواضع الذي كسر به ـ رحمه الله ـ الحاجز، وهو برنامجه المبكر (المجلة الإسلامية)، والذي كان يبث في التليفزيون المحلي لفترة من الزمن، ولكنه كان ذا نكهة خاصة لم يألفها الناس.. ثم تطوّرت الممارسة التي خاضها بعد ذلك إلى آفاقٍ أرحب وأوسع، وكان أكثرها صخباً وتأثيرًا تجربته في جريدة (المسلمون)، والتي كانت الوحيدة تقريباً في ميدان التمثيل للنموذج والرؤية الإسلامية الصحفية، وقد خاض الدكتور ـ رحمه الله ـ من خلالها في مجالات جديدة لمّا يألفها المتلقي في المطبوعة الإسلامية، فكانت منبرًا حرًّا للسجال في الصف الإسلامي الذي كان حينها يفتتح مرحلة جديدة من أبرز سماتها الشفافية المتزايدة، وشيوع المحاورات العلنية، والسجال الثقافي. وكالفارس النبيل تحوّل الدكتور بعد ذلك إلى الفضائية الإسلامية الأولى وهي قناة (اقرأ)، واجتهد أن يجعلها ـ ووفق ظروف نشأتها وتبعيتها التجارية ـ بداية لإعلام إسلامي فضائي منافس، وهو تحدٍّ كبير لم يزل قائمًا، وحاضرًا، ومتجددًا. فكانت محاولاته تلك رصيدًا تاريخيًّا مهمًا في طريق المحاولات الإسلامية لخوض هذا الغمار، واستثماره لصالح المشروع الإسلامي الشامل، ونحن هنا نستشعر صعوبة البدايات وعذاباتها، والتي تمتد من انطلاقة الفكرة إلى خروجها مجسّدة في الواقع المادي، والذي كان يعني مادة إعلامية ناضجة مستلهمة للإسلام، ومنطلقة في إطار ضوابطه، تلامس روح الأمة، وتقترب من مشكلاتها. وبرغم تلك الصعوبات فقد نجح الدكتور ـ رحمه الله ـ في وضع بصماته على تلك المرحلة، وعاد بعدها إلى عالم الصحافة ليترك لنا ـ وبمعونة بعض تلاميذه ـ ملحقاً صحفيًّا متميزًا، وهو ملحق (الرسالة) عنوان ذكرى، ومبعث شجى يذكّرنا بمؤسسه كل أسبوع،

وخصوصاً حين يخرج في حلّته ومنهجيته التي سبقت صحافتنا المحلية الإسلامية، بل وغير الإسلامية، وكانت في مهنيتها الصحفية وفي جانبها الفكري تحديدًا نموذجًا لم يُنافس إلى الآن! وإن غمطه المنافسون حقه. وهي شهادة من يرى واقع صحافتنا من زاوية واسعة تحيط بأطرافه، ولابد من تسجيلها ولو للتاريخ فقط.

كل هذه المنجزات والأدوار التي مارسها فارسنا الراحل، وبرغم دوّيها الكبير، وغبارها الثائر كان يمارسها بسمت هادئ رزين، ووقار ظاهر، وخلق رفيع، وأدب جم، وتواضع عفوي. كان - رحمه الله - يحرّك هذه الزوايا الساكنة، والقضايا الخاملة، ثم يتركها باسمًا، ويتناولها الناقدون، ويسهرون جرّاها ويختصمون خلف مثيرها السائر، رحمك الله أبا عادل.. فكم فقدنا بفقدك، وعوضك الله دارًا خيرًا من دارك، وأهلاً خيرًا من أهلك، وآجر الأمة في مصابها بك، (إنا لله وإنا إليه راجعون).

رحم الله أبا عادل..

الذي أنشأ أول مجلة إسلامية عربية

بقلم: د. سعيد إسماعيل صيني *

كانت أول معرفتي بالدكتور عبدالقادر طاش أني حصلت على اسمه من جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، إذ كان كلانا مبتعثًا من قِبلها لدراسة الدكتوراة في الولايات المتحدة. وكان في مدينة كاربونديل بولاية إلينوي ملتحقًا بجامعة جنوب إلينوي، التي يتجول الطالب في حرمها الجامعي وكأنه يتجول في حديقة جميلة، ببسطها الخضراء، وأشجارها وارفة الظلال.

وكنت في مدينة لم أرتحْ فيها، فاتصلتُ به ليفيدني عن الجامعة التي هو فيها والكلية، فزوّدني بمعلومات مشجّعة. فاتفقتُ معه على إحضار أوراقي لزيارة قسم الصحافة فيها، وتقديم أوراقي إلى عمادة التسجيل فيها.. وشاء الله - وما شاء فعل - أن تقدمتُ بأوراقي في الحادية عشرة صباحًا، وكان خطاب القبول في يدي في الواحدة ظهرًا جاهزًا لإجراءات نقل الكفالة من الجامعة التي كنت فيها إلى هذه الجامعة. وقد بدأتُ عملية التقديم في قسم الصحافة، ثم مررتُ بعمادة القبول والتسجيل، وجلستُ لاختبار تحريري وشفوي في مركز تعليم اللغة، ثم عدتُ إلى عمادة القبول والتسجيل التي سلّمتني خطاب القبول بعد نصف ساعة.

وكان النشاط الإسلامي عريقًا في هذه الجامعة، حيث أنشأت مجموعة من شباب المملكة، ومن دول أخرى، أول جمعية طلابية للنشاط الإسلامي فيها حوالى عام ١٣٨٤ للهجرة. وكان من هؤلاء الشباب الدكتور عبدالحميد أبو سليمان - شقيق الشيخ

* أكاديمي متقاعد من جامعة الإمام محمد بن سعود

الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان عضو هيئة كبار العلماء. غير أن هذه الأنشطة اختفت إلاّ من نشاط طلبة إيران الخمينيين، والطلبة الماليزيين الذين كانت لهم جمعياتهم المسجلة في الجامعة، ويزاولون أنشطة خاصة بهم.

وعندما حلّ المرحوم أبو عادل بمدينة كاربوندیل حوالى ١٤٠٠ للهجرة ليدرس الدكتوارة، قادمًا من أكلاهوما التي أكمل فيها الماجستير، نشط لبعث جمعية الطلبة المسلمين من جديد، ولإقامة صلاة الجمعة في المدينة، ليس تحت لواء قومي، ولكن تحت لواء الأخوة الإسلامية التي تجمع الطلبة والطالبات من مختلف الدول. وتم انتخابه أول رئيس لهذه الجمعية، يفوز برئاستها سنويًّا حتى غادر مدينة كاربوندیل عائدًا إلى وطنه يحمل شهادة الدكتوراة في الصحافة. ولم تقتصر إسهاماته على القيادة والجهد، ولكن شمل أيضًا العون المالي لاستئجار مكان صلاة الجمعة في الجامعة أسبوعيًّا، ثم استئجار منزل ليكون مركزًا، تُدار فيه الأنشطة الإسلامية، وتُؤدّي فيه الصلوات الخمس. ثم عمل جادًا في الإسهام بدور أساس في إنشاء أول مركز إسلامي في كاربوندیل، تعترف به حكومة ولاية إلينوي كمؤسسة خيرية، وقد وافقت حكومة الولاية على الطلب الموقّع من مواطنة أمريكية مسلمة، ومواطنين مسلمين آخرين. وهذه المسلمة هي زوجة المهندس نبيل عبدالغفور قاسم، أحد أبناء مكة المكرمة. وكانت قد أشهرت إسلامها على يد أبي عادل، وهو الذي عقد قرانها على زوجها. وكان على رأس أهداف المركز الإسلامي المعترف به من الحكومة (مساعدة المسلمين في المنطقة لتنفيذ الأنشطة الإسلامية، باعتبار الإسلام منهج حياة تشمل المعتقدات الدينية، والأنشطة الحضارية، والتعليمية، والاجتماعية وغيرها. (وتم الحصول على الترخيص خلال أقل من أسبوع واحد، ودفع خمسين دولارًا أمريكيًّا فقط في ١/٢٥/ ١٩٨٢م، أي تقريبًا عام ١٤٠٢ للهجرة. وكان من ثمار هذا المركز أن تمكّن عام ١٩٨٤م من إحياء مادة دراسية عن الإسلام في الجامعة، تم فيما بعد إضافة مادتين إليها،

ولكن تجمّدت بوفاة مدرسها المسلم، الدكتور رياض زبيري. يرحمه الله..

كما عمل أبو عادل على جمع التبرعات اللازمة التي أثمرت عن شراء منزل بجوار الجامعة، تم تحويله إلى مركز إسلامي دائم. فأثمرت هذه الجهود بعده بشراء منزل آخر، وقطعة أرض أقيم عليها مركز يفي بمعظم احتياجات المسلمين لصلاة الجمعة، ولتنفيذ برامج التوعية الأسبوعية للذكور وللإناث وللأطفال.

وحرصًا على توفير اللحوم المذبوحة بالطريقة الإسلامية، شجّع أبو عادل أحد الماليزيين بإنشاء جمعية تعاونية، تُلحق بالمركز الإسلامي، لتوفِّر اللحوم المذبوحة إسلاميًّا، وبعض الكتب الإسلامية، والمأكولات الشرقية، والملابس.

وكان للمرحوم قدرة متميزة في استقطاب الشباب المسلم العربي خاصة، وتشجيعهم على المساهمة في الأنشطة الإسلامية. مع أن كثيرًا منهم كان لا يعبأ بالإسلام أو يحرص على أداء الصلوات، ومنها صلاة الجمعة.

فأسّس في أواخر عام ١٤٠١ للهجرة مجلة إسلامية شهرية سمّاها (الأمل)، كانت تصدر من مدينة كاربونديل، ثم تطوّرت فأصحبت المجلة الرسمية لرابطة الشباب المسلم العربي، وتصدر من مدينة بلومنق تون في ولاية إنديانا، تتابع على الإشراف عليها الدكتور أحمد سيف الدين تركستاني، المشهور بطلاقة لسانه في اللغة الإنجليزية (عديل الدكتور عبد القادر طاش)، والدكتور عبد الرحمن الشمراني.

والحقيقة، إن نشاطه لم يقتصر على أن يقوم هو بدور بارز في الأنشطة الإسلامية، ولكن في حثّ زوجته الكريمة (أم عادل) في عمل جلسة أسبوعية بالتعاون مع المرحومة أم أيمن، لتوعية الأخوات المسلمات، وللتصدي لبعض الأفكار المنحرفة عقديًّا، التي كانت بعض النشطات من دول أخرى يحاولن دسّها ونشرها بين المسلمات.

رحمك الله أبا عادل . .

بقلم: د. حبيب الله بن محمد رحيم التركستاني *

تنقضي الأيام بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار على صورها وقصرها، ويعود الناس إلى ربهم بعد أن أمضوا فترة الامتحان على ظهر الأرض. قال تعالى: (كما بدأكم تعودون). رحل عن الأبناء والأصدقاء والأحباب، ورحل عن الجيران وغير الجيران. لقد رحل عن الدنيا الدكتور عبدالقادر طاش الإعلامي القدير. وبرحيله فقد الوطن مفكرًا إعلاميًا متزنًا ورصينًا، وقبل ذلك داعيًا فذًا معتدلاً في آرائه وطروحاته.

هذا الرجل الإنسان قبل علمه، تخلّق بخلق الإنسان المسلم. فقد عُرف عنه التسامح، وحب العمل في سبيل إسعاد الناس. وبذلك استطاع أن يكسب محبة الجميع، ومحبة كل شخص التقى به ولو لفترة بسيطة.

لقد فقد المجتمع الإعلامي مفكرًا إعلاميًا من الطراز الأول، يعرف كيف يوظّف الكلمة، ويتقن اختيار العبارات السليمة. يوظّف قلمه في تعليم الناس حب الخير، ويعلّم الناس حب الوطن، ويعلّم الناس الإخلاص في العمل، والجد والاجتهاد. قام بتكوين اثنينية مع إخوانه وأقربائه، يلتقي بهم كل يوم، يؤكد مفهوم صلة الرحم والتواصل مع الأصدقاء. هذه الاثنينية اشتهرت بشكر الله، ومناقشة المواضيع الاجتماعية، والمواضيع العلمية. يلتقي فيها الأصدقاء لمناقشة كل ما يفيد، وكل ما فيه خير للإنسان. حينما يزور البعض الاثنينية - لأول مرة - يشعر وكأنه مشارك مهم في اللقاء منذ سنوات. وكان - رحمه الله - يستضيف المفكرين والمبدعين في الأدب والفن

* أكاديمي بجامعة الملك عبدالعزيز

والتقنية، حيث كان محبًّا للعلم، يشعر بالسعادة وهو يحاور المتحدثين ويناقشهم، ويتفق معهم، ويختلف معهم.. وهكذا تجده ثريًّا فكريًّا ناهضًا بطروحاته ومداخلاته، يستثير الآخرين للمشاركة في النقاش. شاركت معه العمل في مجال الإعلام، وتعلمت منه الكثير في مجال التخصص، ووجدت فيه مدرسة في الإعلام، وعبقريًّا في نقل المعرفة للغير! فقد تعلّمت منه أسلوب العمل الإعلامي والنشر، وتعلّمت أسلوب الحوار والمناقشة. تتعلم منه وأنت لا تشعر بأنه يقوم بتعليمك ذلك! فأسلوبه المتميّز، والذي اكتسبه من عمله في السلك الأكاديمي لسنوات عديدة وفي جامعة الإمام محمد بن سعود، تتلمذ على يديه الكثير من العاملين في مجال الإعلام. يتعامل مع موظفيه بكل رفق وأدب؛ لذلك كسب محبة جميع العاملين. ينادي بالرفق في القرار، وينادى بالعدل في التعامل، ويتعاطف مع الصغير، ويحترم الكبير، ويثق في الجميع حتى لو كان لا يعرفه. فهو حَسن الظن بالآخرين، لا يتسرّع في الحكم على الأمور التي تخص شؤون العاملين معه، ويتأنى في اتخاذ القرار. وبذلك يصل إلى القرار الذي يرضى به الجميع. يحب العمل ولا يكل ولا يتعب. قام بإنجازات عظيمة في مجال الإعلام.. من رئاسة تحرير بعض الصحف، إلى رئاسة تحرير مجلة (جدة)، والتي عكست حبه لهذه المدينة الساحرة، وكان يعشقها إلى درجة أنه لا يفتأ أن يسأل عنها. احتفل قبل عام بإصدار العدد الأول، ووجّه الدعوة إلى جميع الإعلاميين، ثم مضت السنة كالبرق! وطلب أن يكون هناك احتفال بمناسبة مرور عام لإصدار المجلة، ووافق المشرف العام على المجلة معالي أمين محافظة جدة، ولكنَّ الموت كان أسرع من أن يحقق هذا الحلم. لقد كان يحرص في جميع أعماله الناجحة أن يُشرك الجميع. فهو مولع بإقامة المناسبات، ودعوة كل من له صلة بهذا الأمر وإن كان مخالفاً له في الرأي! فهو يبتسم للجميع ابتسامة صافية، تجعل المختلف يتفق على إنسانية هذا الرجل. عندما بدأتُ أعمل معه أصبحتُ أتردد في الكتابة بعد أن عرفت أن الكتابة أسلوب واحترافية

لا أملكها! ومع ذلك كان دائم السؤال عن كتاباتي إذا ما لاحظ عليها الفتور أو القلة، كان يسألني عن مقالاتي في الاقتصادية، حيث اعتاد على قراءتها كل خميس ولمدة ١٣ سنة. فأجبته بأنني توقفت، لأنني شعرت بأنه لا جديد لديّ! وكان يقول هذا كلام غير مقبول، ولابد أن تستمر في الكتابة. هذا الأسلوب الصحفي أو الحس الصحفي، هو الذي جعل الكثير يشعر بأسلوب هذا الرجل، ويجعل الجميع يعشق أن يكون عند حسن ظنه.

حينما أخبره الأطباء عن مرضه.. قال لي: أنا مؤمن بقضاء الله، ولن أتوقف عن العمل. وكان شجاعًا في أن نشر خبر مرضه، وجعل الجميع يدعون له في حياته حتى لاقى وجه ربه. واستمر في العمل ومعه الدواء يتناوله في المكتب بإشراف ابنه الدكتور عادل، الذي لازمه طيلة أيام مرضه، ولم يتركه حتى غادر هذه الحياة الدنيا.

اللهم نسألك أن ترحمه، وتجعل قبره روضة من رياض الجنة. ولا نقول إلّا كما قال - عليه أفضل الصلاة والسلام - : العين تدمع، والقلب يحزن، وإنّا لفراقك أبا عادل لمحزونون.

دكتور طاش..

داعية الإعلام حيث ما حلّ نفع

بقلم: د. علي بن حمزة العمري *

لم تزل صورة المجاهد المربي الكبير أحمد ياسين تزاحم كل صور الخيال، وتشغل كل خواطر الفكر، حتى أتت صورة الداعية الإعلامي الكبير عبدالقادر طاش. رحمة الله. لتثبت بحق أمام صورة ذلك الإمام البطل.

ومن عجب أن كلا الرجلين. رحمهما الله. كانا يحملان رسالة كبيرة، ومبدأً إسلاميًّا عظيمًا ألا وهو مبدأ الجهاد. فالمجاهد أحمد ياسين كان يحمل راية جهاد السنان، والمجاهد عبدالقادر طاش كان يحمل راية جهاد الكلمة والبيان. وبمجرد أن علمت عن وفاته. رحمه الله. وإذ بالذكرى تعود لمواقف وقصص لا تُنسى، ولا ينبغي للأوفياء أن يتناسوها، ولذا فإني أحتسب في هذه المقالة أجري على الله، وأجعل عبرها لمن استفاد منها في ميزان حسنات ذلك الداعية الجليل، فقد كان. رحمه الله. هو أول أستاذ علمي، وشجّعني على مهنة الكتابة في الصحافة، عندما كان رئيساً لتحرير (المسلمون)، أرسلت له حينها خمس مقالات بلا عنوان!!، فقام. رحمه الله. بوضع العناوين الجذّابة لها، واتصلتُ على مكتبه بعدها أشكره على هذا التشجيع، والدعم الكبير، الذي لا يصنعه إلاّ المربون والمعلمون. وأستلهم في هذا المقام هذه الوقفات من حياته:

١. كان داعية إسلاميًّا يحمل رسالة الإعلام:

فهو داعية في المقام الأول، تجده في المراكز الإسلامية، والمراكز الصيفية، والمنتديات الأدبية، والمخيمات الطلابية، والمواسم الثقافية، لا يتوانى أبداً عن نشر

* رئيس تحرير مجلة الفتيان

رسالة الإسلام، ويذكّرك في كل مجلس يجلس فيه بقضية الإعلام، وضرورة التعاون لنشر الفكرة الإسلامية، لم يكن همّه سوى إصلاح المجتمع، وتغيير الواقع نحو ما يرضي الله، لم تجرفه فتن الإعلام، ووسخ الدنيا ليتاجر بثوابت الأمة، بل تحمّل لأجل ذلك ما تحمّل.

٢. كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر:

لقد سخّر قلمه الساحر المشرق للدفاع عن قضايا الأمة، فلم يبلغه منكر لا يرضي الله تعالى ولا رسوله ﷺ، إلّا حرص على إنكاره، وإن مقالاته المدوّية لتشهد بذلك، كما في مقالته عن الاختلاط عند شواطئ البحار، والمسكرات والمخدرات، والتدخين المسموح به في بلاد المسلمين، وإنكاره على القنوات الفضائية الهابطة. لقد كان رجل قضية، وصاحب مبدأ، وجرّت عليه صراحته في الحق ما يدعوه للتوقف عن هذا الإنكار، ولكنه لم يرضَ بذلك، ولم ييأس.

٣. كان حيث ما حلّ نفع:

سلوا عنه صحيفة (المسلمون)، وقناة (اقرأ)، وملحق (الرسالة)، وملحق (البوارق)، لا يرضى أبداً أن يكون على هامش الوجوه، شعاره (لنا الصدر دون العالمين أو القبر!!).

وكانت همته تأبى القعود أو التراجع، بل هو في حرص دؤوب على التطوير والتجديد، ورفع مستوى الإعلام الإسلامي إلى أحسن صورة، وبطرق متدرجة تواكب الجميع. حتى أنه دائماً ما يقول: كنت أستشير الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عن عملنا في قناة (اقرأ)، وما نواجهه من تحديات، وما نتمنى أن نحققه لعموم المسلمين الشاردين عن الحق. فكان الشيخ ابن باز - يرحمه الله - يشد على عضده، ويثبته على منهجه، ويدعوه لمواصلة المسيرة، والصبر فيما يلاقيه في الطريق.

٤. كان يحسن التأسيس وبناء الرجال:

لم يكبت هذا العِلم في نفسه، ولم يسخّر حياته لذاته، بل كان حريصًا غاية الحرص على تربية جيل من الناشئين المسلمين. ليتعلموا فنون الصحافة والإعلام بالصورة العلمية المتقنة، حيث أسس مركزًا إعلاميًّا وتدريبيًا، وأفاد كثيرًا من الشباب، وكان دائمًا ما يكرر: (أنا تحت خدمتكم، وأنا مستعد للجلوس مع أي إنسان منكم يريد الاستفادة والتعلّم).

كان - بحق - أبًا مربيًّا قبل أن يكون إعلاميًّا كبيرًا. كل الذين عاصروه وجالسوه كانوا يحسّون بالأبوة والرحمة في التعامل، وهذا - لعمر الحق - هو الذي ميّزه على كثير. وهو في الوقت نفسه يربي كل التلاميذ الصغار ألّا يتزببوا قبل أن يتحصرموا، وألّا يلقبوا أنفسهم السادة الكبار، ويخوضوا المعارك الكتابية من غير حجة، أو حسن أدب. ومن تأمّل مئات المقالات التي كتبها، يجد أنها تحمل الحجّة، مع حُسن الأدب والحوار.

٥. كان منفتحًا لا إقصائيًّا:

منذ أن عرفه عموم القراء، وهم يدركون تمامًا أن هذا الرجل لا تتسلل إليه سوءات العمل الإعلامي الإسلامي، من التصنيف، وإقصاء الآراء، ومصادمة أصحاب الأفكار، كلاّ.. بل كان يتقبل الجميع، ويفتح قناته وصحافته التي تحت يده للجميع. يقبل النقد، ويدعو للحوار، ويشجّع المبتدئ، ويسايس المخالف، بروح الإسلام، ومنهجية الداعية المربي. يضرب بذلك أروع المثل لكل أرباب العمل الإعلامي الإسلامي أن يصححوا نيّتهم، وأن يتعاونوا فيما بينهم، وأن يسمحوا لأنفسهم باللقاء والحوار على طاولة الإسلام، ولم يكن يسمح أبداً بفتح العيار على أحد، ولم يأذن بالمعارك اللفظية بحجة الفبركة الإعلامية، بل كان سجله نظيفًا، يجمع بين أصالة الفكرة وجمال الجذب للقراءة، بلا تكلّف، أو تصنّع، أو كذب!!.

هذه صفات أو مقوّمات كان يتصف بها هذا الرجل الإعلامي الإسلامي الكبير الداعية عبدالقادر طاش - رحمه الله - الذي أخذ القلم بحقه، فهل يعي جيل الإعلام الإسلامي اليوم هذه الأمور، ويحسّنوا فيما ائتمنوا عليه؟ نرجو ذلك.

عبدالقادر طاش.. الذي زاملت

بقلم: د. أحمد سيف الدين تركستاني *

ماذا عساني أن أقول، وقد شاءت قدرة المولى . عز وجل . أن يرحل عنا أخ عزيز، وصديق كريم، وزميل حبيب.. قضيت معه أكثر من خمسة وثلاثين عاماً في رحلة علمية وثقافية ودعوية، وزمالة في الرياض، والولايات المتحدة، ومكة المكرمة، وجدة، والطائف؟!

إن رحلتي مع الراحل القريب إلى القلب الدكتور عبدالقادر طاش محمد كانت رحلة عمر، عرفت فيها خصاله الكريمة، وأخلاقه النبيلة، ودينه القوي، وتمسكه بمبادئه الإسلامية في عزم وسماحة، وفهم والتزام. لقد مرّت بي في صحبته مواقف وأحداث، فكانت كفيلة بأن تكشف عن معدنه الأصيل، وما منحه الله تعالى من عزم وطموح، وحُسن خلق، ووداعة قلّما رأيتها في كثير من الرجال. كان عبدالقادر يشيع روح الأخوّة والألفة مع من حوله، ويرحب بزائره سواء أكان في منزله أم في مكتبه. إذا زرته شعرت أنك لا تريد المغادرة لحسن ما تلاقيه من كرم النفس، وجود اليد. ما أذكر أنه ردَّ سائلاً سأله شيئاً، ولم أتذكر أن كلّف أحدًا أمرًا يشق عليه، بل كان هو يحمل المشقة، ويتحمل الآلام لإسعاد غيره.

أعرف عن حياته الأسرية ما لا يعرفه كثير من الناس، فعبد القادر طاقة حب تفجّرت في الأسرة والأقارب. أحبته زوجه أم عادل حبًّا ما عرفت مثله بين رجل وزوجته. لقد عاشت معه أجمل الأيام وأصعبها. فكانت تثق فيه، وترى فيه الأب والأم لها حينما فقدت أباها مبكرًا وأمها وهي ما تزال مع زوجها في أمريكا يطلبون العلم، وينظرون

* أكاديمي بجامعة الإمام محمد بن سعود

بابتسام إلى المستقبل. رحلت معه إلى بلاد كثيرة وهو يحنو عليها، ويقدّرها، ويعاملها بنبل وإحسان. لقد تعلّق به أولاده، الدكتور الطبيب عادل، والإداري اللامع خالد، وبناته الأربع، وابنه الجذع عبدالعزيز تعلّقًا شديدًا، كان إذا دخل بيته أشاع السرور في جنباته، رغم أن استماعه كان أكثر من كلامه، وابتسامته لا تسمح لتجهّم أن يظهر على شفتيه. كان يداعب أولاده الصغار بكلمات حنونة.. يناديهم بها بعد سلامه عليهم، فترددها أرجاء المنزل تحيةً وحبورًا، كان يكرم البنات والبنين، ويوجههم بلطف وحنو عجيبين.

أمّا موقفه مع والديه، وموقفهما معه، فحدّث ولا حرج عن حُسن تلك العلاقة، ومكانة ذلك الموقف. لقد كان أكبر إخوانه الاثني عشر من البنين والبنات، كانت والدته. وما تزال. تعده تاج رأس الأسرة، يقول أحد إخوته. رغم عظيم تقديره له. ما أدركتُ حجم الفاجعة فيه إلاّ بعد رحيله! غادر ولم أتشبّع من أخلاقه، وتوجيهاته، وحُسن تعامله بعد!!. أمّا والده الذي كبر سنّه، وشاب شعره، فإنه يعدّه أباه!! ويفخر عند حديثه في كل مجلس. لقد كان فقده على والديه عظيمًا، ومصابهم فيه جللاً بلا ريب.

لا يمكن لي أن أسجل ما مرّ بنا من مواقف، رأيت فيها صبره وإيمانه يتجلى عند اشتداد الأمور، مرّت مواقف صعبة على أسرته، فما تضعضع، ولا رفع صوتًا، ولا أبدى تذمرًا، بل كان يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل بهدوء واطمئنان.

لماذا أتحدث عن حياته الشخصية وأترك حياته العامة التي حفلت بالأعمال الجليلة، والطموحات المثالية رغبة في إعلاء كلمة الله، والدفاع عن قضايا المسلمين، والعيش مع آمالهم وآلامهم؟

لقد أردت أولاً أن أبيّن جانبًا شخصيًّا لا يعرفه من الناس إلاّ القليل، حتى أقول: إن الداعية يصنع الكثير بحُسن خلقه إلى جانب علمه الرصين وحُسن استقامته على أمر الدين. لقد حاز أخونا الحبيب عبدالقادر. ولا نزكيه على الله تعالى. قدرًا كبيرًا

من كل ما سبق، فجمع بين العلم والاستقامة، والاعتدال وحُسن الخلق. فقد أحبه إخوانه وزمـلاؤه في الدراسة والعمل، وكل منهم يرى فيه خصلة قلّما يجدها في غيره. ولعلّ هذا هو سر حب كثير من الناس له. لقد سرّني وأذهلني أيضاً ما رأيت وسمعت من تعزية الناس بعضهم لبعض في فقده، فهؤلاء العلماء يعزّون، وها هم الأمراء يتأملون ويشيدون، وها هم زملاؤه يذكرونه بأحسن ما يذكرون به ميتاً، وها هم الدعاة يذكرونه في ميادين الدعوة، ها هي مؤلفاته التي تزيد على عشرة كتب، ومئات المقالات والأعمدة في الصحف والمجلات، وها هي برامجه التلفازية تشهد له بما كان يدعو إليه. كان يريد نصر الأمة، ورفع راية التوحيد. كان يفخر ببلاده ويحسن تمثيلها أينما ذهب. فنعم عبدالقادر من داعية، ونعم عبدالقادر من إنسان.

اللهم عوّضنا في فقد أبي عادل خيرًا، وأسبغ عليه وافر نعمتك، وتغمده بواسع رحمتك، ووسّع مدخله، وأكرم نزله. اللهم جازه بالحسنات إحسانًا، وبالسيئات عفوًا وغفرانًا. اللهم جازه عن أمته التي أحبها، واهتم لها خير الجزاء. اللهم جازه عن وطنه الذي أحبه، وبذل له عمره وماله وعلمه أحسن الجزاء.

اللهم ألهم أهله الصبر والاحتساب، واجبر كسرهم، وعظّم أجرهم، واجمعنا وإياهم به في مستقر رحمتك، في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ولله الحمد على ما أخذ وما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى.

عبد القادر طاش..
البقاء لله.. والعزاء للوطن

بقلم: محمد بن ناصر الأسمري *

في أمسية وطنية ولقاء اجتماعي جميل، وفي ضيافة الجمعية السعودية للإعلام والاتصال الأسبوع الماضي، كان هنالك جمع من المنتسبين، حين جرى التداول بالآراء والمناقشة لكيفية تنشيط أعمال الجمعية الفتية، كان يجلس إلى جواري الصديق الزميل الدكتور احمد سيف الدين الذي له صلة قرابة مع المرحوم الدكتور عبدالقادر طاش. غفر الله له. سألته عن وضع الرجل، فأبلغني بما كدّر عليّ أن الرجل يطلب الدعاء لتردي حاله، وكنتُ أرغب في محادثته، وعلمت أن صوته قد عاد إليه، ولم تمضِ بضعة أيام حتى فُجعتُ بخبر وفاة الرفيق الفاضل، والزميل الصادق عبدالقادر، ولهول الفجيعة تكدّر خاطري، وغص حلقي بالدمع لا جزعًا من قضاء الله، ولكن حزنًا على فراق رجل شهم، وعالم في فنون وعلوم الاتصال والإعلام، وقائد رأي اتّسم بالاعتدال والنطق الحر. إن فقد مَن في مقام عبدالقادر خسارة وحسرة، ففي ساحات الفكر الواضح البعيد عن الغلو والتطرف، كان للرجل مقام ومقال، ومثال وقدوة.

كنت والرجل قبل ثلاثة أعوام في كوبنهاجن، في ملتقى خادم الحرمين بدعوة من وزير الشؤون الإسلامية الرجل الفاضل صالح بن محمد آل الشيخ، وكم كان لوجوده من طيّب الأثر في التحدث والشرح بلغة إنجليزية بارعة، وأسلوب إقناعي علمي عميق. تحدثت وإياه إلى بعض وسائل الإعلام الدانمركية، وأجاب عن أسئلة كثيرة عن سبب

* باحث ومستشار إعلامي

عدم مشاركة المرأة السعودية في الملتقى، وكذلك كان الحال للدكتور المهندس طارق السويدان - حفظه الله -، والدكتور الإداري البارع عبدالرحمن هيجان، وكان لي معهم محاولة واجتهاد. لقد سعد المشاركون والمشاركات من المسلمين في الدانمرك، والسويد، وبعض البلدان الأوروبية بما كان لنا من مداخلات وإجابات، وتدريب على أساليب ممارسة الدعوة والإعلام والتسويق والتشويق.

فرقتنا مشاغل الحياة، لكني وأنا منذ بضعة أشهر في ألمانيا قرأت في الطائرة نبأ مرض الرجل الطيب - بالمرض الخبيث - وهو في إجازة مع أسرته في لبنان، وتكدرت، واتصلت هاتفيًّا على هاتفه، ورد عليَّ ابنه الطبيب عادل، وأخوه أحمد، وأبلغاني بعدم قدرته على الكلام، وقمت في ألمانيا بحجز موعد له مع أحد أشهر الأطباء في علاج أمراض السرطان في مدينة أيسن، وأبلغت ابنه الطبيب عادل - بارك الله فيه - بهذا واستعجال السفر، ومضيت انتظر حتى عدت للوطن، وعلمت أن الأمر جارٍ لاستكمال بعض الإجراءات للسفر. فقد انهالت منابع الخير للتكفّل بعلاجه في لندن، خادم الحرمين الشريفين - أعزه الله - والأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز، والأمير عبدالعزيز بن فهد.. وغيرهم من ذوي النخوة والإيثار. وبحمد الله تمكنتُ من التحدث إلى حبيبنا، وبالكاد - غفر الله له - كان يتكلم، وأبدى لي أنه قد استخار الله، والبقاء مستسلمًا لقضاء الله وقدره، ولا يرغب في السفر! والمؤمن في ساعات الضيق يجد في الرضا بالقضاء والقدر فسحة من الضنك والعجز. ويبدو أن المرض قد أخذ مسارًا عصيًّا على العلاج.

عبد القادر طاش كان رجل علم وفضل، وصدع بالحق، فقد طوّر في ممارسته المهنية في منابر الإعلام التي عمل بها وأدارها، سواء في مجلة (الدعوة) التي فتح لها هو والزميل القدير داود الشريان مفاتح خير كثيرة، لم تصمد أمام سيول جارفة بعد أحداث الحرب بين إيران والعراق، وما تتالى من بعدها. كما أن تطويره للإعلام في

رابطة العالم الإسلامي كان يمكن أن يورق ويثمر، وفي قناة (اقرأ) أوجد مدرسة في قدرة الحوار من المؤهلين من أبناء وطننا قبلة الأمة، ولم ينغلق على قطر بعينه في اختيار المتحاورين، وموضوعات الحوار. كان يعمل بالنصح، ويستزيد منه من ذوي الأحلام والنهي. وأحمد الله أنني كنت ممن يحسن الظن بهم، ويستمع منهم وإليهم. ولا أنسى أنني كتبت مقالاً بعنوان (لسنا وهّابيين، بل بالله مؤمنين، وبرسوله مقتدين)، استعصى على بعض الصحف المحلية نشره، فنشره في صحيفة (البلاد)! فكان جوابًا لمن يتّهموننا أننا أتباع وهّابية ظلمًا وعدوانًا، والحمد لله فقد جاء ذلك المقال بعد لقاء ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز - أعزه الله - بنخبة من العلماء بعد أحداث حرب العراق الظالمة على الكويت، كان هذا عملاً رائعًا في قمة المسؤولية والشعور الوطني.

لقد رحل الأخ الحبيب، والرفيق الرفيق، والصديق الزميل تاركًا لنا في الوطن، وفي الساحة الفكرية لوعةً وحرقةً وألمًا، لكن ما يخفف من كل هذا ما خلّفه من إرث علمي وفكري سيبقى - بحول الله - علمًا نافعًا، وصدقةً جارية تستقوي بها الأجيال في إثراء معارفها، وتطوير مهارات التعامل والأداء في مجالات الإعلام والاتصال بكافة أنواعه وأنماطه ووسائله، والحمد لله فله بنين وبنات، وقبل ذلك أبوان هم لمسارب ومآرب الخير أقرب، وفي دعائهم عمل صالح غير منقطع بالدعاء الجميل إلى رب العرش واهب الرحمة والغفران. أمّا ما خلّف من ثروة الحب لدى الدارسين عليه، والمجايلين له من الممارسين والممتهنين للصحافة والإعلام دربةً ودراسةً وبحثًا، فلا شك أنها قد بدت في التوريق والإزهار في هذا الكم الكبير من الحب والإشادة فيما كُتب عنه، وما يجري من جميل الإطراء والترحم عليه. وهنا فالعزاء هو في هذا الجزاء في مقابل ما كان له من جميل العطاء. لقد كان عبدالقادر طاش رجل عدل واعتدال، ووسطية في الفكر والتعامل، طرح الكثير من الرؤى والمعالجات الفكرية بجرأة أدب

رفيع بعيدًا عن الانغلاق الفكري والأحادية والغلو. نقد بمثالية محاسبة النفس والرجوع عن الخطأ، في الخطاب الدعوى الذي لم يفسده سوى النكوص عن العرفان بالحق وفضيلة الرجوع إليه في بعض مساراته واجتهادات متطرفة، تقوقعت على فقه الجمود، وذهنية الإلغاء، وثقافة الإقصاء. إن فكر عبدالقادر طاش الذي ورَّثه لأجيال الأمة، هو أمانة يجب إشاعته وإشعاعه، وتكفّله من قِبل الباحثين والدارسين بالبحث والتطوير والتجديد، فهو فكر حر نزيه، يقر بالخطأ في القول والعمل والاجتهاد.

عبد القادر طاش قمة وقيمة في مسار حياته، وهو كذلك في مماته، والقمم دائمًا تستعلي بها القيم، رحل أبا عادل، وبقيت له في مهجنا وسوداء قلوبنا قيم كلها زرع ما فلح له، وثماره هذا الحب الدافق له من أرجاء الوطن، وإذا كان المحبون في الساحل الغربي قد ساروا في جنازته، فقد كان كل الوطن مشيعًا متقبلاً للعزاء.

البقاء لله.. والعزاء للأمة والوطن. ولعلّ من جميل الوفاء أن نطلب إلى جامعة الإمام تسمية إحدى قاعات قسم الإعلام باسمه، وفي الجامعة أوفياء للرجل كما هم أوفياء وأمناء للوطن.

العزاء لوالديه.. عزاء منا إخوته ورفاق مسيرته، والنفع من علمه وفضله. العزاء لبنيه وبناته.. عزاء منا محبيه وعارفي فضله وعلميته.

العزاء لحرمه أم عادل.. ونقول لها: إن كان عبدالقادر لك زوجًا وحبيبًا وأخًا، فلن تُعدمي فينا من هو لك أخ لم تلده أمك. وما نقدمه لك اليوم في مصابك الجلل، هو الدعاء لك بالثبات والصبر والاحتساب.

عبد القادر أيُّها التقيُّ النقيُّ الصابرُ المحتسبُ.. طبت حيًّا وميتًا، رحمك الله، وأحسن إليك، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرت إليه.

وشكرًا للإعلام السعودي الذي تفاعل مع الحدث. فلقد كان عبدالقادر قمرًا غاشيًا لساحات الوطن، ومدارًا باثًّا لقنوات الخير والصلاح والإصلاح.

(إنّا للّه وإنّا إليه راجعون)

وداعاً.. أيُّها النبيل

بقلم: نزار عثمان *

مع قناعتي الأكيدة بأن الموت حق، فقد صعُبَ عليَّ، للوهلة الأولى، تصديق نبأ وفاة الدكتور عبدالقادر طاش، الذي نقله لي. بطريقة مؤثرة وحاسمة كقدر. الصديق أحمد عدنان مساء الأحد ٤ أبريل ٢٠٠٤، حتى أكدت لي صحف اليوم التالي صحة ما نقله عدنان لي، وذهبت إلى حزني الخاص.

والحزن على طاش ليس الضريبة الوحيدة لأحبابه الذين تدرّبوا في كنفه على الحنان، والطيبة، والنبل، والإنسانية، واحترام المهنة، الأرجح أن الحزن عليه يترادف مع حزمة من المشاعر التي يصعب تفتيت أوجاعها إلى عناصر.. فقد كان رجلاً مهذبًا، عفيفًا ومعمورًا بالحكمة والصبر.. ممتلئًا ببلاغة المعلمين البواسل، والمربين الكادحين.. والذي عرف طاش، يعرف كيف أن الرجل كان آسرًا في صمته وكلامه، ولابد أن تلاحقه ضحكته البهية إلى أقصى جهات النداوة الممكنة، للدرجة التي يشعر معها بأن الدكتور خُلق من عجينة أخرى، ليس فيها مَلْمَحٌ من شُبهة الكائنات البشرية الحديثة، واسألوا أعداءه. إنْ كان ثمة من أعداء له. قبل أصدقائه عن مثل هذا الشعور!

قدّمني إلى طاش أول مرة، في جريدة (البلاد) إبّان كان رئيس تحريرها ويعسوبها المجدّ المثابر، أخي وصديقي الأثير عبدالعزيز قاسم، الذي أستطيع أن استشعر درجة حزنه وذهوله من أثر الفجيعة.. وغمرني طاش. كما هي أخلاقه مع كل الزملاء. بفيض من نبله وإنسانيته المدهشة، ودهمني بثقة رفيعة أعترف بأنها أخافتني كثيرًا، لكنها عمّقت فيَّ الإحساس بالمسؤولية..

* أديب وصحفي سوداني

ومنذئذٍ، كان تعامل طاش معنا في الجريدة، مثار دهشتي وإعجابي.. فقد كسر - باكرًا - ذلك السياج الفاصل بين الرئيس والمرؤوس، ووطّن ثقافة فريدة للتعاطي مع المهنة.. لا تجده إلّا مبتسمًا، حتى في أحلك الظروف! ومسربًا إليك تطمينات راقية تدفع بك دوماً إلى الأمام، وعلى هذا الأساس أستطيع أن أزعم بأن عددًا كبيرًا من الزملاء في (البلاد) كانوا صابرين على آلام تلك الجريدة (الأم)، بسببٍ من وجود طاش فيها، ومحتملين (تصحّرها المادّي)؛ لأن إشراقات الدكتور قمينة بإذابة الإحساس بالعوز، مع يقينهم التام بأن الصحافة ليست مهنة مثرية ماديًّا، لكنها في (بلاد تلك الأيام) لم تكن توفّر حتى الحد الأدنى من أن يعيش موظفوها بقدرٍ من الكرامة..

لكنه أتي ذلك اليوم الذي تعذر فيه على الدكتور طاش أن يسرّب فيه التطمينات للزملاء، كما كان يفعل.. وبدا أن سعة الصبر الممنوحة له والمخصصة للاختبار في مؤسسة (البلاد) قد نفدت، فبادر إلى اتخاذ موقف أثّر فينا غاية الأثر، وغمرنا بالأسف، وانعدام الوزن، حين تقدّم باستقالته من رئاسة التحرير، وترك المنصب، كما جاء إليه أول مرة، بأدب جم، وأخلاق رفيعة. ومضى كما لو كان يقول لنا: لقد استقلتُ من أجلكم!! ومن بعده، استشكل على كثيرين البقاء، فآثروا الابتعاد للبحث عن جهات أرحب.

الحسرة ملأت أعماقنا في ذلك اليوم الذي ودّعنا فيه رئيس التحرير الفذ، وكنّا يومها كمن يودّعون أنفسهم، ويتفقدون - للمرة الأخيرة ربما - جانبًا مضيئًا من حياتهم المهنية، ويتأسفون على زمالة كان يمكن أن تثمر أكثر فأكثر، لولا تلك الرياح المشاغبة التي حرمت سفن (البلاد) من نعمة الرسو بسلام..

الآن.. وقد استقال طاش من الدنيا بأجمعها، ونحسبه في جناتٍ عالية - بإذن الله - فإن أصدقاءه، وزملاءه، وطلابه، وكل من تعرّفوا إليه، ومسّهم فيض من إشراقه المبهر، لا يسعهم إلا أن يرفعوا أكف الضراعة إلى الله - عز وجل -، أن يرحم الفقيد

العزيز، ويُحسن إليه، بقدر ما أعطى لأمته ودينه ومهنته.. وبقدر ما رسّخ من مفاهيم (أخلاقية) في مهنة فقدت - منذ أزمان - كثيرًا من شروط أخلاقياتها.. وبقدر ما كان يحقن محبيه بأمصال الأمل، وينثر عليهم غمام اليقين، والصبر الجميل..

رحم الله عبدالقادر طاش - وموجعة جداً الكتابة عن رحيله، وشديدة الإرباك - وألهم أسرته، وأصدقاءه، وزملاءه، الصبر والسلوان، ويقيني أنه سيظل مقيمًا في الركن القصيّ من ذاكرتنا، ووجداننا، وستظل عيناه الذكيتان تشعان في دروب ممشانا المهني ما حيينا، وضحكته البهية تربّت - مليًّا - على أكتافنا..

عبد القادر طاش..
الإنسان والإبداع

بقلم: د. علي بادحدح *

الكتابة عن الأشخاص ليست سهلة؛ لأنها تتضمن . بشكل أو بآخر . لوناً من المحاكمة والتقييم، وتشتمل . بصورة أو بأخرى . على موقف مؤيد أو ناقد، ولابد من برهان لكل اتجاه، لكنني وأنا أكتب عن الراحل الكريم (الدكتور عبدالقادر طاش) لا أجد شيئاً من الصعوبة من تلك الناحية، إذ إن كل قول ورأي ذُكر عنه نراه ظاهرًا بوضوح وجلاء، وإن كل موقف عليه شواهد متكاثرة، وأدلة متعاضدة، والأجمل من ذلك أن ما تصل إليه من النتائج تجدها متطابقة مع ما توصل إليه عشرات من الكتّاب لا تربطك بهم صلة، ولا تتفق معهم في مكوناتك الثقافية، ولا مسيرتك الفكرية.

ولعلّ الأعجب والأكثر تفرداً هي أنك تجد التوافق والتقارب في الرأي عن الراحل الأثير، بين من عرفه ومن لم يعرفه، وبين من يوافقه ومن يخالفه، وذلك في جانبي الإنسان والإبداع، وهذه هي أول مزية أبدأ بتقريرها في كلماتي عن الراحل العزيز، وهي مزية أعتقد أنها لا تتوفر إلاّ للقليل من الناس.

وأما الثانية فتتصل بالعنوان، إذ إن عددًا غير قليل من المشاهير تتعارض عنده ثنائية إبداعه مع السمات الإنسانية في شخصيته، وآخرين قد لا يوجد عندهم تعارض، لكننا نجد التوهج عندهم في أحد الجانبين هو اللافت للنظر، المستحق للإشادة، والجانب الآخر باهت ضامر لا يجد المرء فيه شيئًا يُذكر، وأمّا صاحبنا فقد كان

* أكاديمي وداعية إسلامي

التوهّج في الإنسانية يسطع بقوة، تكاد تنسي توهج الإبداع رغم سطوعه وانتشاره، فكان الإشراق في راحلنا العظيم محيطاً به من هنا وهناك.

تلك هي المنطلقات التي جالت بخاطري عندما دُعيت لأكتب عن الراحل الحبيب، وهأنذا أمضي بك ـ عزيزي القارئ ـ لنقف سويًّا على تلك المنطلقات.

طاش الإنسان: كان الرجل يحمل بين جنبيه نفسًا سمحة، وقلبًا كبيرًا، تجلّى ذلك في ابتسامة مرتسمة على محيّاه حتى في أحلك الظروف، ومع أكلح الوجوه، وتجلّى كذلك في سمت الهدوء الآسر الذي لا تستفزه المواقف، ولا تخرجه عن طوره واتزانه الأزمات، لكن تجليه الأظهر والأكبر كان في استيعابه للناس، وقدرته على التعامل معهم ـ على اختلاف مشاربهم ـ بأريحية ومنهجية، ومن المعلوم أنه (لا يجمع الناس على (فكر) رجل إجماعهم على خلقه)، إذا كان صاحب (خُلق حَسن)؛ لأن الفكر يخضع للرأي والاجتهاد والقبول والرفض، والناس في ذلك مذاهب شتى. أما حُسن الخلق فهو كالمرآة التي تعكس الحقيقة الواحدة التي لا يختلف عليها اثنان)) (مقالة دكتور محمد أبوبكر حميد، بعنوان: عبدالقادر طاش فلسفة حياته، وريادته في الإعلام الإسلامي، ـ جريدة الجزيرة ـ السعودية، العدد ١٥٩، تاريخ ١٤٢٧/٥/٢٠هـ،٦/٢٦/ ٢٠٠٦)، ومن مدرسة أخرى يقول الكاتب مشاري الذايدي: (إنه أفضل من يستطيع أن يقنع الناس بدماثته. كانت لديه (ترسانة) من الحب والسماحة). (جريدة الشرق الأوسط، العدد٩٢٦١،تاريخ ١٤٢٥/٢/١٥هـ، ٢٠٠٤/٤/٦م). وبلغة حميمية ومخاطبة عزائية، وجَّه الكاتب والإعلامي تركي الدخيل إلى عادل ابن الفقيد هذه الكلمات الجميلة: (تذكر أنت وإخوتك يا عادل أن أحدًا لن يأتيك في غد ليقول سرقني عبدالقادر، أو ظلمني، أو أساء لي والدك، هل ترى ذلك سهلاً؟ لا واللّه، فقد قضى أبوك ـ رحمه الله ـ عمره كله ليكون دمث الخلق، طيب السجايا، حسن الخصال).

وبالنسبة لي فإن خُلطتي به، وقربي منه كان محدوداً، والذي يبقى في أذهان غير

المقربين يكون أكثر دلالة على السمات والمعاني، وقد خرجت من لقاءاتي ومقابلاتي المحدودة بأن الراحل الجميل كان يجذبك بسلاسة، ويؤثر فيك وأنت مقتنع، ويقنعك وأنت تبتسم، وذلك لما كان عليه من الأدب والود والابتسام والهدوء، إضافة إلى قوة الطرح وبراعة الإقناع، وقد قلت - ومازلت أقول -: إنه الوحيد الذي أقنعني وحفّزني أن أكتب أسبوعيًا لمدة لم أكن أتوقع أن أستمر وأنتظم خلالها.

وكان الراحل الرائع محاورًا مقنعًا؛ لأنه مؤمن بالحوار، محب لسماع وجهات النظر، ولعلك عندما تقرأ له عن الحوار تتأكد أنه كان ممارسًا للحوار ومجيدًا فيه، فها هو يقول: (إن الحاجة إلى الحوار حاجة مستمرة، بل أحسب أنها ضرورة حضارية لكل مجتمع، ولو تأملنا في منهجنا - الإسلام - لوجدنا في نصوص الكتاب الكريم، وفي ممارسات وسيرة رسولنا العظيم ﷺ ما يؤكد هذا النهج الذي يقوم على قاعدة أن الحوار ضرورة حضارية لبناء المجتمع وتطويره والارتقاء به.

أعتقد أن المشكلة تكمن أساسًا في التربية، فأمتنا - للأسف الشديد- فقدت كثيرًا من معالم منهجها التربوي الأصيل خلال العصور المتأخرة، وأصبح الإنسان لدينا - أو الفرد في المجتمع المسلم - في الغالب الأعم ينشأ على منهجية لا تعتمد على الحوار، ولا تشجّع فضيلة الحوار، ولا ترسخ المبادئ التي يقوم عليها الحوار).

طاش الإعلامي: لعلّي أبدأ هنا بإيجاز للسجل الإعلامي الذي حرره الكاتب إمام محمد إمام بقوله: ((لا يمكن لأحد أن يتحدث عن الدكتور طاش، ويتجاهل إمكاناته الأكاديمية والفكرية والعملية في قضايا الإعلام، إذ عمل أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا مشاركًا، ورئيس قسم الإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. كما عمل رئيس تحرير لصحيفة (المسلمون) الأسبوعية الصادرة عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ثم رئيس تحرير صحيفة (عرب نيوز) اليومية الصادرة باللغة الانجليزية عن الشركة نفسها. والفقيد كان مؤسسًا ومديرًا

لقناة (اقرأ) الفضائية. وكان أيضاً مؤسسًا ومشرفًا على تحرير ملحق (الرسالة) الإسلامي الصادر عن جريدة (المدينة المنورة) السعودية، ومديرًا عامًا للإعلام والعلاقات العامة والمؤتمرات في رابطة العالم الإسلامي، ورئيس تحرير صحيفة (العالم الإسلامي)، وقبل أن ينتقل إلى العمل الخاص تولى رئاسة تحرير صحيفة (البلاد) السعودية. وله كتابات في عدد كبير من الصحف والمجلات السعودية وغير السعودية. كما أصدر العديد من المؤلفات والإصدارات). (جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ٩٢٦٢ ـ تاريخ ١٤٢٥/٢/١٦هـ ٧م٤/٢٠٠٤م). وهذا الإيجاز يُعفي من بيان عراقته التخصصية في الإعلام دراسة وتطبيقاً.

وأمّا الجانب الآخر هنا فهو العمل الدؤوب، والريادة المحلِّقة التي تسنَّمها الراحل الحبيب في ميدان الإعلام الإسلامي. إذ كتب عن دلالته ومنهجيته، ومارس تجسيده في الصحافة، وفي القنوات الفضائية، وفي المؤسسات الإعلامية، وأفضل ما يمكن أن يُذكر في هذه العجالة هو الرؤية الشمولية الواضحة للإعلام الإسلامي، مع النظرة النقدية الواعية للمفاهيم الخاطئة التي اقتطف من كلمات الراحل المتخصص ما يبرزها:

فها هو يوضّح مفهوم الإعلام الإسلامي بسعته وشموليته، وحضوره وفاعليته، فيقول: (المفهوم الحقّ للإعلام الإسلامي هو المفهوم المنهجي، الذي لا يجعل مقاييس إسلامية الإعلام مبنية على أساس الحدود الجغرافية والمكانية، أو الوضعية التاريخية المحدودة، أو الممارسة الواقعية الخاطئة للإعلام في الحياة، بل يبني تلك المقاييس والمعايير على أساس المنطلقات الرئيسة، والأطر الفكرية والاجتماعية والإنسانية المنبثقة من روح الإسلام وتصوراته الكلية، وقيمه السامية، وعلى أساس الضوابط الشرعية التي ينبغي أن يسير الإعلام على هدي منها، ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة، وممارساته الواقعية.

إن الإعلام الإسلامي - بهذا المفهوم المنهجي - روح تسري في النشاط الإعلامي كله، تصوغه، وتحرّكه، وتوجّهه منذ أن يكون فكرةً إلى أن يغدو عملاً منتجًا متكاملاً، مقروءًا كان أو مسموعًا أو مرئيًّا. وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجًا قويمًا تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كافة الوسائل والقنوات، دون أن يحيد نشاط واحد منها عن الطريق، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى، سواء في الوسيلة الواحدة أو الوسائل المتعددة. وبذلك - أيضاً - يصبح الإعلام الإسلامي حكمًا موضوعيًّا تتحاكم إليه جميع هذه النشاطات الإعلامية، ثم لا يجد نشاط منها حرجًا في التسليم لحكمه والإذعان لتوجيهه).

وها هو يفنّد محدودية النظرة القاصرة للإعلام الإسلامي فيقول: (فالإعلام الديني هو جزء من الإعلام الإسلامي، ولذلك لا ينبغي أن نحصر الإعلام الإسلامي في الإعلام الديني، ونحن نقصد بالإعلام الديني الإعلام الموجّه، الذي يخدم المجالات الشرعية والدعوية بشكل مباشر، وهذا أمر مطلوب، وحاجة الأمة إلى مثل هذا النوع من الإعلام ماسّة وكبيرة، لكن هذا هو أقرب ما يكون إلى الإعلام المتخصص الذي يتناول جانبًا واحدًا من جوانب الحياة، ونحن منهجنا الإسلامي منهج شامل لكل جوانب الحياة، ومن ثم فهناك جوانب سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وترفيهية، وما إلى ذلك من قطاعات الحياة المختلفة، والتي لابد للإعلام الإسلامي أن يغطيها، والإعلام الديني والدعوي قد لا يستطيع أن ينزل إلى مستوى يغطي هذه الجوانب المختلفة؛ لأن الإعلام الديني والدعوي يجب أن يكون له سماته التي تتناسب مع طبيعة المادة والرسالة التي يخدمها في مثل هذا، سواء كانت برامج دينية، أو صفحات متخصصة في الصحف، أو أشرطة مسجلة أو غير ذلك من وسائل الإعلام المختلفة، لكن ماذا عن الجوانب الأخرى، كيف نغطي الجانب السياسي وقضايا الناس والمجتمع، والقضايا الاقتصادية في هذا الجانب، كيف نستطيع أن نوجد إعلامًا

ترويحيًّا وترفيهيًّا للناس، أمّا إذا تركنا هذه المهمة، وقلنا إن الإعلام الإسلامي لا يختص بهذه القضايا، فمعنى ذلك أننا عملنا ذلك الفصل. فنحن نقول إن الإسلام دين شامل، وإنه دين ودولة، دين للحياة كلها، فكيف يستقيم فهمنا للإسلام على أنه منهج شامل للحياة؟ وبين هذا التقسيم بما فيه من الحدّية ما يجعلنا نقول: إن الدين والدعوة مقصورة في هذه الجوانب، وأمّا الجوانب الأخرى فلا علاقة لها بالدين، إذاً المطلوب هو أن نوجد علاقة تكامل وتواصل بين مختلف جوانب الحياة، من خلال تناولنا لمصطلح ومفهوم الإعلام الإسلامي).

وعن حقيقة مواجهة التغريب الثقافي المهيمن على وسائل الإعلام يقول: (إن الأساس الذي ينبغي أن ينطلق منه الإعلام الإسلامي في أدائه لدوره في مواجهة التغريب الثقافي هو تحرير الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي من أثقال التبعية، حتى يكون قادرًا على تحمّل تبعات هذه المواجهة، ولن يتحقق هذا التحرر من أثقال التبعية إلا بإرساء قواعد متينة لنظام إعلامي جديد، يستند إلى فلسفة إسلامية للإعلام، تحدد إطاره الفكري العام، وغايته الكبرى، ووظائفه العامة والخاصة، وأساليبه، وطرقه، ووسائله، وقنواته، ونظمه، وسياساته. وبعد ذلك يتم تطبيق هذا النظام الإعلامي الإسلامي في الواقع العملي في ظل مناخ سياسي واجتماعي راشد، يقوم على التميز الفكري، وإرادة التغيير الحضاري في ظل حرية مسؤولة، وتسامح مقبول.

وفي عصرية الإعلام وإشكالية سلبياته من الضعف والتبعية والهامشية، نقف أمام رؤية ثاقبة في قوله: (أصل البلاء هو أننا استوردنا الإعلام بوسائله المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون من الغرب؛ لأن هذه ليست وسائلنا. وعندما استوردنا هذه الوسائل فنحن لم نستورد فقط الآلات، ولكن استوردنا الفكر الذي يدير هذه الآلات، ومن ثم تكوّن لدينا ما سمّيته بثقافة إعلامية مستغربة، فأصبحت معاييرنا الإعلامية هي معايير غربية، وعندما نحكم على هذا البرنامج بأنه ناجح أو غير ناجح، ما هي

المعايير التي نطبّقها حتى نحكم على ذلك؟ هي المعايير الغربية، أنا لا أعني أن كل هذه المعايير الغربية خاطئة، ولكن أقول: إننا نأتي بهذه المعايير ونطبّقها في حياتنا، وهذا هو ما نسمّيه بالتغريب الثقافي، والتغريب الإعلامي، وفيما يتعلّق بالنوعيات الإعلامية ليس لدينا بحوث ودراسات تبعث من مجتمعاتنا، وتبحث ظواهر ومشكلات وقضايا إعلامية تتعلّق مباشرة بحياتنا العربية والإسلامية).

إن ريادة طاش في مجال الإعلام الإسلامي ليست محل نقاش، ولعل ما أوردته من أقوال يسيرة تكشف بقوة عن عمق نظرته، ووضوح رؤيته، وأصالة منهجيته، وعصرية فكرته، وبمكن أن أوجز جوانب ريادته الإبداعية قي الإعلام الإسلامي في الجوانب التالية:

١. الأصالة المنهجية، والمعرفة النظرية الأكاديمية التخصصية، وهذا ما ظهر في كتبه ومقالاته عن الإعلام الإسلامي.
٢. التوسع التخصصي، والتعمق الأكاديمي وخاصة في الإعلام السعودي، وهذا تجلّى في مسيرته الإعلامية الأكاديمية كباحث متخصص، وأستاذ يدرّس ويدرّب، ومشرف أكاديمي يوجّه ويناقش، ورئيس قسم يخطط ويطوّر.
٣. الممارسة العملية والتحدي المتميز الذي ظهر في تسلمه رئاسة التحرير لصحف متعددة، كان في أكثرها مؤسسًا أو مجددًا، فضلاً عن ريادته وتقدمه الإسلامي في خوض مجال الإعلام الفضائي، بتوليه إدارة قناة (اقرأ) منذ تأسيسها، إضافة إلى توليه إدارات ومؤسسات إعلامية، ومن ثم لم يكن أكاديميًّا منظرًا، ولا ممارسًا محدودًا.

لقد كان الراحل الأديب: (يحلم بالارتفاع بالإعلام العربي إسلاميًّا إلى مستوى التحديات التي تواجهها أمتنا في عقيدتها، وثقافتها، وخلقها، وأسّس منهجًا مميزًا للأعمال الصحفية والإعلامية التي أدارها. ومنحه الناس لقب الإعلاميّ الإسلاميّ

دون غيره من أبناء جيله) (مقالة دكتور محمد أبوبكر حميد، بعنوان: عبدالقادر طاش فلسفة حياته وريادته في الإعلام الإسلامي، جريدة (الجزيرة) السعودية، العدد ١٥٩، تاريخ ١٤٢٧/٥/٢٠هـ،٢٠٠٦/٦/٢٦ م). (وقد وهب الدكتور عبدالقادر طاش فكرة الإعلام الإسلامي، كل شيء في حياته. ونذر نفسه للاعتدال الإسلامي إلى آخر قطرة من روحه). (من مقال للكاتب مشاري الذايدي، جريدة (الشرق الأوسط)، العدد٩٢٦١، تاريخ ١٤٢٥/٢/١٥هـ، ٢٠٠٤/٤/٦م).

المدرسة الممتدة: إن قناعتي تتركز في أن بعض ما سبق قد يشترك مع دكتور طاش غيره، إلّا أن الأمر المميز الذي أعتقد أنه تفرّد به في مجال العمل الإعلامي عمومًا، والإسلامي منه خصوصًا أنه أسس مدرسة خاصة تتمثل في كوادر إعلامية ربّاها على عينه، ودرّبها على نهجه، وأسسها على رحابة الفكر، ووسطية المنهج، ومهنية الإعلام، وغرس فيها حب الإعلام الإسلامي، وأهمية دوره، وجعلها تؤمن به رسالة في الحياة، وأثّر فيها بأخلاقه، فإذا بها تعمل تحت إدارته، وهي تستشعر أخوّته وأبوّته، وفي الوقت نفسه تقتبس من مهنيته، وتتلمذ على أستاذيته، وتفتخر بالانتساب إلى مدرسته.

لم يكن للراحل المربي كتب ودراسات كثيرة بقدر تخصصه وممارسته؛ لأنه انشغل بصناعة الرجال في مجال عزيز، وتخصص نادر، ولم يصنعهم صناعة القول والمعرفة، بل صناعة الروح والمنهج، وها هم اليوم في وسائل إعلامية متنوعة يسهمون بأقلامهم وأفكارهم وجهودهم، ولعلّ هذا الكتاب الذي تندرج فيه هذه المقالة شاهد صدق على ذلك.

ومن الصعب مغادرة الحديث عن هذه المدرسة بهذا الإيجاز، لكن الأصعب هو إبراز حتى القليل من جوانبها المتعددة، ومزاياها المتنوعة، غير أني أشير إلى ما أعدّه أقل من القليل، مركزًا على شهادات ناطقة في هذا الشأن، فمحمود صادق يقول:

(تميّزت شخصيته الإدارية بالقدرة على التجميع حتى المخالفين له في الرأي والهدف. ومن الصعب أن نجد أحدًا تعامل معه أو عرفه، ويحمل في قلبه ضغينة له، أو كرهًا! فشخصيته تجبر الآخرين على حبه، وإن اختلفوا معه). (مقالة محمود صادق، بعنوان: ورحل الإعلامي الشامل، جريدة (الشرق الأوسط)، الثلاثاء ١٤٢٥/٢/٢٢هـ، ٢٠٠٤/٤/١٣م، العدد ٩٢٦٨)، وأعجب من هذا وأكثر دلالة على سمو الراحل الراقي ما قاله الدكتور محمد أبوبكر حميد: (لا بدّ أن أشهد له بخصلة أعتبرها من مفاتيح نجاحه مهنيًّا، فقد كان يحرص كل الحرص. ولا يستكبر. على أن يسأل من يزوره من زملاء المهنة، ورجال القلم، وأصحاب الرأي عن رأيهم في مطبوعته، ولا يكتفي بأن يكون ذلك بينه وبينهم. بل يدعو في معظم الأحوال الذين يعملون معه في التحرير للحضور والاستماع والنقاش.

وأذكر أنني عندما زرته - لأول مرة - بعد توليه رئاسة تحرير (المسلمون) فعل ذلك، وجمع المحررين، وظل يصرّ على الاستماع للعيوب والنواقص، وعندما حاولت التنصل حياءً، قال لي بلطفه المعهود: (المحاسن نحن نعرفها، ولكن تخفى علينا عيوبنا أثناء العمل اليومي، فلا نكاد نتعرف عليها، وما الذي يمكن أن نفعله في المستقبل ترى أن الإنسان المسلم بحاجة إليه؟) فما أروع الإدارة! وما أسمى الخلق!

ومن المناسب الإشادة بتميّز هذه المدرسة في الوسط الإعلامي المتّهم - عند كثيرين - بالانتهازية والمصلحية، وحينئذٍ يكون للنزاهة والموضوعية قيمة أكبر، وتظهر كقمة أعلى، ويُعرف قدر الصعوبة في انتهاجها والتزامها، وهكذا كانت مدرسته أصيلة، ومستعلية على المزالق والإغراءات التي تبعدها عن منهجها، كما وصفه دكتور محسن العواجي بقوله: (آثرت الصعود على جبل القيم والمبادئ، حملت لواء الوسطية الإعلامية من منظور إسلامي أكسبك احترام الغالبية، فما قُرئ لك تشفٍّ من أحد، ولا انتهازية لموقف، ولا استعداء لسلطة، بل كنت حريصًا على العبارة الشرعية المشروعة، فثبتك الله وسط أعاصير المزالق الرسمية، والأهواء البشرية التي راح ضحيتها الكثير ممن عاصروك).

إشراقات إنسانية:

وبعد التطواف المحدود في جانب الإعلام عند الراحل المبدع، أعود لأختم مرة أخرى بالحديث عن الراحل الإنسان؛ لأن هذا ما اتصلت به أكثر معه رحمه الله، ولأنه هو الذي كسا إبداعه بحلة جميلة، وهو الذي جمع حوله الموافق والمخالف، لأنه كان خلوقًا عطوفًا (والحَسَن الخُلُق إذا كان صاحب فكر، وصاحب التزام، فإن حُسن خلقه يحميه من كيد الذين يختلفون معه في الفك؛ فخلقه يطفئ لهيب صدورهم إن كانوا من الحاقدين، ويكسبه احترامهم، ويُحيّدهم إن كانوا من المنصفين) ولا شك (بأن أعظم ما في هذا الرجل كان خلقه مع الناس؛ فأحبه كل مَن عرفه، أو عمل معه،

أو جلس إليه من كل الطوائف الفكرية والأجناس، مهذبًا، صبورًا، متسامحًا، شديد الحياء، يدرأ بالحسنة السيئة، يدفع بالتي هي أحسن، لا يعاقب، يلتمس لغيره العذر، كاظم لغيظه، لم يسمع منه أحد من الذين عملوا تحت إدارته كلمة نابية، أو جارحة قط، بل كان بلسماً، يداوي جراح الجميع بهدوء ورقّة وتواضع) (مقالة دكتور محمد أبوبكر حميد، بعنوان: عبدالقادر طاش فلسفة حياته وريادته في الإعلام الإسلامي، جريدة (الجزيرة) السعودية، العدد ١٥٩، تاريخ ١٤٢٧/٥/٢٠هـ،٢٠٠٦/٦/٢٦)، وهذه شهادة أخرى وجيزة، لكنها بليغة: (كان نزيه اليد، طاهر اللسان، لم تُسجّل عليه إساءة، أو غمز، أو لمز لأحد ممن كانوا حوله، من قريب أو من بعيد؟) وقائلها معالي الدكتور محمد عبده يماني، (مقالة بعنوان: رحمك الله يا عبدالقادر، جريدة (الشرق الأوسط)، الثلاثاء ١٤٢٥/٢/٢٢هـ، ٢٠٠٤/٤/١٣م، العدد ٩٢٦٨)، وتأكيد على تأكيد، ونور على نور يتوهّج بشهادة منهجية نصها: (احتفظ الدكتور طاش في قلوب الجميع بود نادر، وتقدير فائق، وهذا ـ وربي ـ ميزة ما يُلقّاها إلاّ الذين صبروا، وما يُلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم... الدكتور طاش عينة واقعية تثبت أن الذي يحمل في جنباته مخزونًا من الصدق، والإخلاص، والسماحة، واللطف، والمحبة، قادر على التغيير والتأثير والإقناع) (مقالة الدكتور حمد الماجد، بعنوان: رمّانة الميزان، (جريدة الشرق الأوسط)، الاثنين ١٤٢٨/٣/٢١هـ، ٢٠٠٧/٤/٩م، العدد ١٠٣٥٩)، وشهادة تأتي بعد عشرين عاماً من المعرفة والزمالة من الدكتور عبدالحليم عويس حيث يقول: (ويعلم الله أنني طيلة هذه السنوات التي تقترب من عقدين من الزمان، ما رأيت في الدكتور الحبيب عبدالقادر طاش ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ إلاّ القلب النقيّ، والعقل الذكيّ، والسمت الهادئ الوقور، والأخلاق النبيلة، والابتعاد عن مواطن الخلاف والشحناء). (مقالة بعنوان: عبدالقادر طاش.. الإعلامي الداعية الإنسان موقع الإسلام اليوم، تاريخ ١٤٢٥/٢/١٥هـ،٢٠٠٤/٤/٥م).

مسك الختام:

وهأنذا أختم بالأجمل.. إنها شهادة مجهولة من امرأة لا تعرفه، اقتنصتها من شبكة الإنترنت، وأحسست بصدقها وعفويتها، ووجدتها ربما تكون أبلغ من غيرها: (هل أعرف عبدالقادر طاش معرفة شخصية؟ لا، لكني أعرف عنه ما جعلني أشعر بألم انغرز مثل نصل ساخن في قلبي، عندما قِيل لي: (مات عبدالقادر طاش.. التهمه السرطان)، كم هو غريب أن تشعر تجاه إنسان لا تعرفه بمودة خالصة، فقط من خلال ما يقوله عنه الآخرون! لكن هذا ما حصل معي. عرفت عبدالقادر طاش من خلال الآخرين، وأحببته من خلال ما قالوه عنه. لقد بدا دائمًا نقيًّا و(إنسانًا) كما وصفه واحد ممن عملوا معه عن كثب. والأنقياء قلة، كما أنهم يرحلون سريعاً، لأن أرواحهم لا تحتمل درن الحياة طويلاً.

رحم الله عبدالقادر طاش. رحم الله رجلاً قرأت له وأحببت موضوعيته، وأدبه في التحاور مع الآخرين، واعتداله، وبُعده عن التعصب الأعمى.

رحم الله رجلاً فتنني أن يقول عنه من عملوا معه إنه لا يغتاب الآخرين. رحم الله رجلاً كان يفعل ما يقول، وما يؤمن به دون نفاق أو تزلّف. رحم الله عبدالقادر طاش، وأدخله فسيح جناته، وألهم ذويه الصبر والسلوان. وآثرت أن تكون كلمات الذايدي ختام هذه السطور، حيث قال: (برحيله لم نفقد إسلاميًّا معتدلاً فقط، بل فقدنا إنسانًا رائعًا).

توقيعات إعلامي نابه..

وإنسان رائع

بقلم: فراج إسماعيل *

عرفته مفكرًا إسلاميًا مستنيرًا، دارسًا لأصول الفقه، خاصة (فقه الواقع) وباحثًا إعلاميًا، يؤمن برسالة الكلمة وأمانتها؛ فقد ترك الرجل مجموعة من الكتب والدراسات الإعلامية الجادّة المنطلقة من فهم عميق لحضارة الإسلام، وإيمانه الشديد بأن هذا الدين القيّم (عبادات ومعاملات، مصحف وسيف، ودنيا وآخرة).

فكان يعمل قلمه الشريف في هذه المنطلقات الواعية بحقيقة الإسلام.

وكان طاش مثالاً لأستاذ الجامعة النابغة، كما كان عقلانيًا مؤمنًا في طرحه الإعلامي.

كان يرى أنَّ الإعلامي مطالب بتأدية رسالته بصدق وشفافية؛ حتى يتحقق له الهدف من ممارسة مهنة القلم السامية، وهي ابتغاء مرضاة الله تعالى بالدفاع عن المستضعفين، ونصرة الحق حتى تقف أمة الإسلام على أعتاب النهضة، وتؤدي دورها الحضاري تجاه الأمم الأخرى.

كما كان (طاش) إنسانًا بمعنى الكلمة، وانعكست إنسانيته على فريق العاملين بكل مؤسسة كان يترأسها؛ فكان متواضعًا بغير ضعف، مرنًا بغير تساهل.

وكان يقول بصدق وشفافية: (أنا هنا لأتعلّم منكم الصحافة)، وكان لا يضع خطوطًا حمراء على أقلام الشباب، بل كان يترك لنا التفكير والكتابة ما دام ذلك لا يصطدم مع الثوابت، ويستهدف مصلحة الأمة، وكان صاحب مواقف إنسانية رائعة.

* مدير مكتب مجلة (المجلة) اللندنية بالقاهرة

خسارة فادحة

بقلم: د. محيي الدين عبدالحليم *

الدكتور عبدالقادر طاش رجل إعلام من الطراز الأول، وهو صاحب رسالة سامية، ظل يؤدّيها بحكمة واقتدار. ولا نملك أمام أمر الله - عز وجل - إلاّ أن ندعو له بالرحمة والمغفرة، جزاء ما قدّم من أعمال صالحة. مؤكدين أن الإعلام الإسلامي خسر خسارة كبيرة برحيل هذا العَلَم الذي ترك فراغًا لا يعوّضه أحد.

* أستاذ ورئيس قسم الإعلام بجامعة الأزهر

رائد الإعلام الخيري

بقلم: أحمد فراج *

فَقَدَ الإعلام العربي والإسلامي راية شامخة برحيل دكتور طاش، وإن كان فكره باقيا، وأصداء أعماله في خدمة قضايا الأمة راسخةً في عقول كل تلاميذه ومحبيه.

كان (طاش) رائدًا من روّاد الإعلام الإسلامي بوجه عام، والإعلام الخيري على وجه الخصوص. نسأل الله أن يرحمه، وينعم عليه بفسيح جناته.

* إعلامي مصري

صاحب الثقافة الواسعة

بقلم: د. عبدالعظيم المطعني *

دكتور عبدالقادر طاش صاحب تاريخ طويل في الجهاد في مجال الدعوة، عن طريق الكلمة، حيث شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية. وقد عرفه الجميع معتدلاً موضوعيًّا من خلال كتاباته، التي أثرت مختلف الصحف والمجلات. ناقش من خلالها العديد من قضايا الأمة، بتحليل جادّ. عرف طريقه نحو الحيدة، والنزاهة، والموضوعية. ولعلّ الدعوة الإسلامية في حاجة دائمًا إلى أمثاله من أصحاب الثقافات الواسعة، والفكر الناضج، والعقل الراجح، واللسان العفيف، والقلم السيّال.

* الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

صاحب المبادئ

بقلم: د. سعود مختار *

رحم الله أخانا الحبيب عبدالقادر طاش، زرته في آخر مرة بالمستشفى، ومع إنهاكه ومرضه، كان يقترح عليَّ كتابات مفيدة، وفوجئت يومها بالأوراق والكتب متناثرة بجوار سريره! فسألته ألا تستريح يا دكتور؟ فردَّ عليَّ: الكتابة لا تزيد المرض! أليس كذلك؟ يومها تذكرت أصحاب الأفكار والمبادئ مثل أخينا ـ رحمه الله ـ، ومثل الإمام أحمد عندما قال له ابنه عبدالله: يا أبتِ ألا تريح نفسك؟ فردَّ: راحتها أريد!! رحمك الله يا أبا عادل.

* أكاديمي سعودي

عاش لمبادئ الإسلام

بقلم: عبد الرحمن بن محمد الأنصاري *

واكبتُ مسيرة الفقيد، منذ سطوع نجمه في عالم الصحافة والإعلام، إذ كنتُ من لدّاته، يجمعني وإيّاه مشرب واحد، وأشهد لله أنني ما رأيت، أو سمعتُ منه، ولا عنه إلاّ كل خير، ولقد رأيتُ عجبًا حين صكّ أسماعنا الخبر المحزن بفقدنا للعزيز الغالي، وهو: أنه ما من أحد بلغه ذلك النبأ، إلاّ وشعر في قرارة نفسه أنه فَقَدَ واحدًا من أهله، أو عشيرته المقربين. ربطني به الإسلام، ومبادئه التي عاش لها، إلى أن اختاره الله إلى جواره، فكفى بالإسلام رابطًا.

يجب تجديد طباعة ونشر إنتاجه المنشور، وجمع شتات ما لم يُنشر منه، فذلك من العلم المنتفع به، الذي ورد انتفاع الميت به في قبره، بالإضافة إلى الصدقة الجارية، ودعاء الولد الصالح.

* كاتب وإعلامي سعودي

عبد القادر طاش الذي عرفت!!

بقلم: أ.د. صالح عبدالعزيز الكريم *

واكب معرفتي بالدكتور عبدالقادر طاش ـ كمعرفة شخصية ـ مع بداية كتابتي في صحيفة (عكاظ)، لكن معرفتي به كإعلامي كانت منذ سنوات عديدة، وما كنتُ أُدعى إلى لقاء المثقفين والمفكرين والنخبة إلاَّ وأجده في تلك اللقاءات قد تميّز عن المجموعة بفكره المعتدل، وحماسة لدينه. وقد لمحت فيه ما لم ألمحه في غيره من منهجية واضحة في (التأصيل).

فهو ـ رحمه الله ـ لا يرضى بالاجتزاء أو البعضية. عندما اقتربت منه أكثر شعرت بأنه مدرسة إعلامية متميّزة، ويكفي للدلالة على ذلك انه رأس العديد من الصحف، وصاحب مداد للعطاء الثقافي والفكري من خلال مقالاته وكتاباته. أمّا الجانب السلوكي للدكتور عبدالقادر ـ رحمه الله تعالى ـ فقد حددته حياته الشخصية من حب كبير يسكن قلبه، يأبى فيه أن يحقد على أحد، ومن عفّة لسان ترفض أن تذكر حتى من يختلف معه في الرأي بأي عيب.

وقد تعلّمت منه درساً في الحياة من خلال فكره وطرحه بالإنصات للغير، والسماع للآخر دون أن يقود ذلك للتحامل على الغير أو الآخر.

* أكاديمي سعودي

فهم عميق للإسلام

بقلم: محمود خليل *

كان دكتور طاش صورة صادقة للإعلامي المسلم الشامل أكاديميًّا، وصحفيًّا، وتليفزيونيًّا. وكلنا نذكر جهوده العلمية التي جمع فيها بين رسالة الإعلام والإسلام بثقة وجدارة، جعلت من الإعلام الإسلامي علمًا أصيلاً له قواعده ومنطلقاته، بل وله إدارته واقتصادياته. وعلى المستوى التطبيقي كانت كل المواقع الإعلامية التي شغلها الدكتور طاش ـ رحمه الله ـ تفوح بالحيوية النابعة من فهم عميق لواجبات الإعلام الإسلامي المعاصر، وإدراك جيد لطبيعة المعركة التي يخوضها بين مد وجزر، إنقاذًا لسنَّة المدافعة التي علّمنا الله تعالى إياها (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)، ولكن عزاؤنا أن الكبار لا يموتون أبدًا. ألا ليس الرزية فَقْدَ دارٍ ولا شاة تموت ولا بعير

يبقى عبدالقادر طاش ـ رحمه الله ـ واحدًا من أولئك الذين نرتكز على أفكارهم، وننطلق من رؤاهم الفاضلة، التي لا تبغي سوى صلاح الأمة، ونهضتها من كبوتها التي ألمّت بها في معركتنا الشرسة مع أعداء الإسلام.

* مدير إدارة الأسرة والمجتمع بإذاعة القرآن الكريم المصرية

في سجل العاملين

بقلم: عبد الله زنجير *

ذاب كالشمعة في نصرة الإسلام، وتنقّل لميادين متنوّعة مجتهدًا في صناعة الإعلام الحي، الذي يستشرفه كمسلم وإنسان ومحترف. ومَن مِن الإعلاميين لا يعرف دكتور عبدالقادر طاش (١٩٥١م - ٢٠٠٤م)، الرجل الذي نحسبه من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟!

لقد عرفناه من أعماله الصالحة، ودوره الرائد في بلورة فكرة (الإعلام الإسلامي)، ومحاولة توصيفها وتوظيفها على أرض الواقع. كان كاتباً من الطراز الرفيع، ترك عددًا من المؤلفات، وكان عفيفًا، حييًا، دمثًا، شفيف النفس والروح، يندهش الإنسان من إخلاصه، وصدقه، واتزانه، وبكلمات حاسمة. لقد عرف زمانه، واستقامت طريقته.

التقيت معه مرات، إمّا مستمعًا ومتعلمًا من محاضراته القيّمة في مكة المكرمة وجدة وسواها، أو في ندوات عامة، وزيارات خاصة.

رحم الله دكتور عبدالقادر طاش، وعوّض المسلمين خيرًا.

وهنيئًا لك (أبا عادل) هذا المثوى، في جوار السيدة خديجة العظمى، وأسماء، وابن الزبير.

* عضو رابطة أدباء الشام

مكانة متميّزة في قلوب الجميع

بقلم: م. عبدالعزيز حنفي *

وضع (عبد القادر طاش) لنفسه مكانة في قلوب الجميع، وخدم أمته وإعلامها، كما أسهم بأسلوبه الخاص في نصرة قضاياها من خلال الإعلام، وكانت له أوليات إعلامية عديدة ما زالت فاعلة ومستمرة، ومما يميّزه عن غيره، قدرته على نقل أفكاره إلى الواقع. فهو ليس أكاديميًا بحتًا، أو منظّرًا فحسب؛ بل منتجًا، ومبدعًا، استطاع بطموحه، وسعة أُفقه، وتفهّمه للدور المهم للإعلام تسخيره لخدمة الإسلام، وتقديمه نماذج وخبرات أسهمت في الرقي بالعمل الخيري، والإعلام الخيري على أسس علمية متينة.

كما أنه قدّم العديد من الدراسات والأبحاث التي تشخّص الحالة الراهنة للإعلام في العالم العربي والإسلامي، وما تعانيه من قصور في جميع مستوياتها الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية إضافة إلى الهيمنة الغربية والأمريكية بوجه خاص على صناعة الإعلام؛ مما يعد سيطرة واحتكارًا لا يمكن الفكاك منه إلا بتضافر الجهود للانعتاق من ذلك التقليد، وتلك التبعية بتعاون يظهر فعالية الإعلام المبني على مبادئ الدين الإسلامي، ويحمل رسالة سامية، ومضمونًا يعبر عن ثقافة العالم الإسلامي وفكره وخصوصيته، بعيداً عن الثقافات المستوردة التي لا تتوافق مع احتياجاتنا وقيمنا.

كانت ممارسته للإعلام من خلال عمله في المؤسسات الصحفية، والقنوات الفضائية، والمجلات فرصة ساعدته كثيرًا على تجربة ما يمتلكه من إخلاص، ورصيد علمي ونظري، وأوجدت نماذج فاعلة من الإصدارات، والمؤسسات الإعلامية التي كان

* مدير الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة

له السبق في وجودها، سواء في المجال الصحفي، أو الإعلام الفضائي، ومع تلك الانشغالات إلاّ أنه كان ناصحًا صادقًا يعيش هموم أمّته، فترك هذا الإرث الفكري الكبير، ودوّن خبراته وتجاربه؛ ليستفيد منها مَن بعده، وبعضها تم نشره.

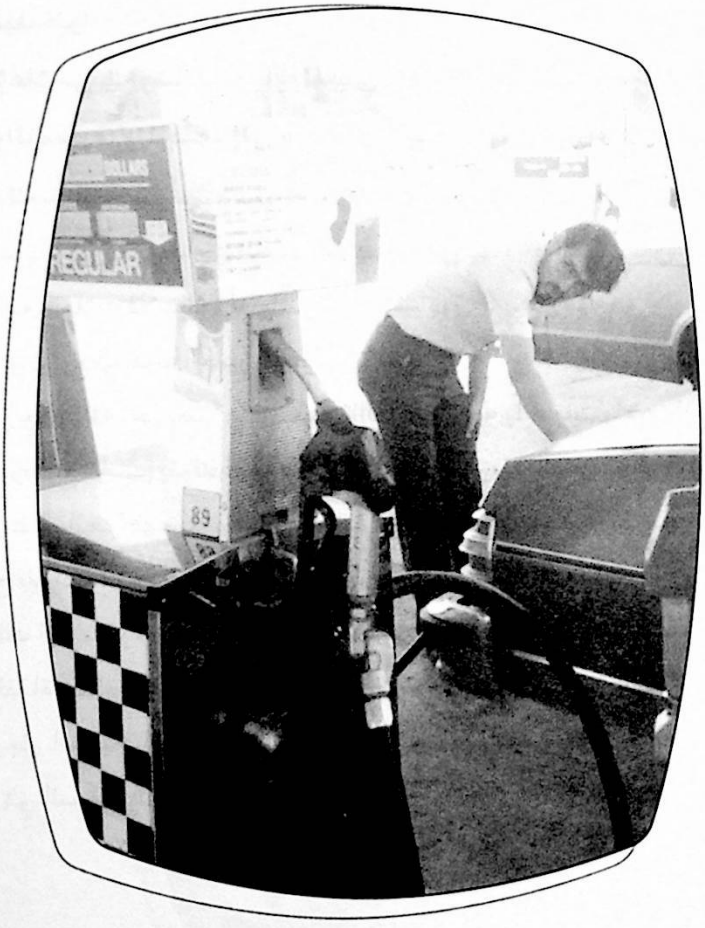

طاش.. مواقف لا تُنسى

بقلم: ممدوح الحوشان *

يعدُّ الفقيد الراحل عبدالقادر طاش من القلة الواعية التي أسهمت في بث الوعي الإعلامي في أوساط التيار الديني، وانتشلوا العمل الإسلامي من حالة الركود، والنمطية، والجمود إلى مجالات أرحب وأوسع من التأثير والمشاركة.

زاملته في العمل الفضائي بضع سنوات، فوجدت فيه من خصال الخير عجبًا؛ فقد كان قائدًا بارعًا لفريق العمل داخل القناة، حريصًا على بث روح المودة بين الزملاء من خلال تنظيم رحلات للاستجمام والترويح بشكل دوري، يكون فيه هو أول الحاضرين والمشاركين بروح الدعابة وحسن الحوار.

كما كان - رحمه الله - حريصًا على تبصير العاملين معه بالغايات والأهداف المرجّوة من إنتاج برنامج ما، ثم يترك لهم حرية الإبداع في طريقة التنفيذ، ويرقبهم عن بُعد للتأكد من عدم انحرافهم عن تحقيق الغاية المنشودة؛ وإن حصل تقصير أو هنة.

كان ينجح ببراعة في زرع مشاعر الود داخل أفئدة العاملين معه.

وكانت - تلك المشاعر - هي أعظم محفز للطاقات والهمم. فكم كان الزملاء العاملين معه في القناة يبذلون خارج أوقات دوامهم وعلى حساب راحتهم الشخصية تقديرا لذلك الرجل العظيم الذي كان يغمرهم بحبه وعطائه، ومودته. ويجدونه دومًا بجوارهم في السرّاء والضرّاء على السواء.

* رئيس تحرير مجلة خيرية

نموذج السلوك الإسلامي

بقلم: د. محمود حسين زيني *

كان (طاش) عَلَمًا من أعلام الثقافة والإعلام والأدب في عالمنا العربي والإسلامي، كما كان بأخلاقه، وأدبه، وسلوكه يمثّل قمة في الأدب والأخلاق، والسلوك الإسلامي.

وكانت نفسه حبيبة إلى القلوب. فلم يكن له عدو، وما أكثر أصدقائه ومحبيه.

ترك بصمات في كل مجال من المجالات التي عمل بها، سواء في الإعلام المقروء، أو المسموع، أو المرئي في قناة (اقرأ) التي أسسها على الخير والمثل والثوابت الإسلامية في الإعلام.

كما كان أحد مؤسسي ملحق (الرسالة) الإسلامي في جريدة (المدينة) والذي ظل إلى الآن نموذجًا يُحتذى به بين المطبوعات التي تُعنى بقضايا الأمة الإسلامية.

* أستاذ الأدب الإسلامي بجامعة أم القرى

نموذج رائع

بقلم: د. محمد سليم العوا *

الدكتور عبدالقادر طاش له تاريخ نضالي مشرّف في خدمة الإسلام وقضاياه المهمة، ويصعب أن يتكرر هذا النموذج في عصرنا الحالي، الذي أصبحت تتكالب فيه علينا الأمم وأعداء الإسلام.

كانت سماحته لا تخطئها عين، وهو ما لمسه كل من تعامل معه من قريب أو بعيد. أكثر ما عُرف عنه كثرة عطائه في المجال الإعلامي، وخاصة الإعلام الخيري.

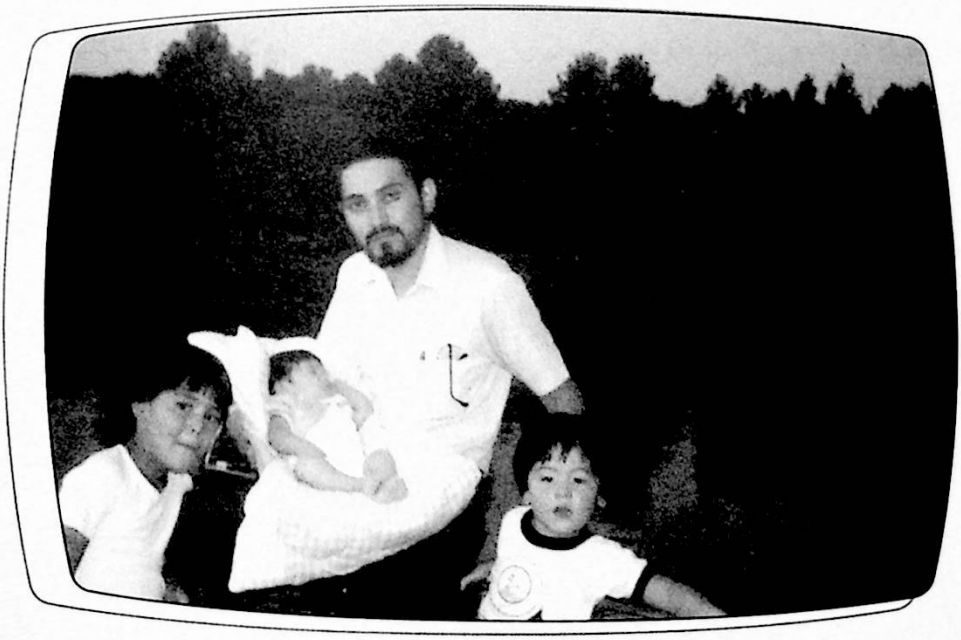

* أمين عام اتحاد علماء المسلمين

دكتور طاش..
ومسيرة إعلامية راسخة

بقلم: د. خالد بن عبدالله القاسم *

رحم الله الدكتور عبدالقادر طاش. فقد كان من القلائل الذين أدركوا بحق دور الإعلام في رسالة الإسلام. فقد كان له دور بارز في تأسيس وقيادة وسائل إعلامية مؤثرة مثل (المسلمون. اقرأ. مجلة رابطة العالم الإسلامي. وصحيفة البلاد اليومية) وغير ذلك من الكتابات، والمشاركات، واللقاءات.

كما كان له دور كبير في التعليم، وتدريس الطلاب في الجامعات، والإشراف على الرسائل، وتخريج الباحثين والمتخصصين، وكان في كل ذلك له رؤيته الصحفية المتجاوزة للخلافات الهامشية، والصراعات المحلية، والمصالح الشخصية التي ينشغل بها الكثير ناشدًا مصلحة أمته، ومدافعًا عن رسالة ربه بكل ما أوتي من وسيلة، في مجلة، أو صحيفة، في كلمة، أو حوار، في لقاء، أو تعليق بأسلوب حكيم معتمد على الحقائق والمعلومات، حيث جعل هدفه أسمى من التحزّبات الضيّقة إلى عز أمته، ونصرة دينه في وقت نشهد فيه تراشقًا كلاميًّا مقيتًا، وتفسخًا إعلاميًّا مخزيًّا.. غير مبالٍ بقيم أو صراع لما يدور في فلسطين أو العراق.

ونحن اليوم نفقد شيخًا، وصديقًا (دكتور طاش) والعالم الإسلامي بحاجة إلى أمثاله، الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، والرؤية والعمل.

نسأل الله تعالى أن يجعله من الشهداء. فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن المبطون شهيد.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

* أكاديمي بجامعة الملك سعود

فراقُكَ لا يهون

شعر: د. عبد الرحمن صالح العشماوي *

رحل الصديق عبدالقادر طاش عن الدنيا، وهل يهون رحيل صديق عن صديق؟!.

إلى أَينَ اتّجاهُكَ يَا دَلِيلُ ... هَجَرْتُكَ قَاصِدًا وَمَضَيتُ وَحْدِي

كأَنَّكَ لَسْتَ تَفْهَمُ مَا أَقُولُ ... وَبَعْضُ الهَجْرِ مَحْمُودٌ جَمِيلُ

أَرَاكَ إلى اليَسَارِ تُغِذُّ سَيرًا ... أَلَسْتَ تَرَى الأَحِبَّةَ حِينَ غَابُوا

وَعَن يُمْنَاكَ تَزْدَهِرُ الحُقُولُ ... وَجَدَّ بِهِم عَنِ الدُّنْيَا الرَّحِيلُ؟

لِمَاذَا تَرْتَدِي لَيلاً بَهِيمًا ... مَضُوا عَن هَذِه الدُّنْيَا سِرَاعًا

وَفِي أَعْمَاقِكَ الفَجْرُ الجَمِيلُ؟! ... فَمَا فِيهَا لِلُقْيَاهُم سَبِيلُ

لِمَاذَا يَا دَلِيلُ سَلَكْتَ دَرْبًا ... تُبَعِّدُنِي مَطَايَا الحُزْنِ عَنْهُم

يَطِيبُ لِغَيرِ سَالِكِهِ الوصُولُ؟! ... كَمَا ابْتَعَدَ الصَدَى عَمّا نَقُولُ

أَرَاكَ تُجْمِّد الإِحْسَاسَ حتّى ... وَتُدْنِينِي خُيولُ الصَّبْرِ مِنْهُم

تَنَكَّر صَاحِبٌ وَجَفَا خَلِيلُ ... وَكَم تُدْنِي مِن الحُلُمِ الخُيولُ

* أديب وشاعر سعودي

وَمَازِلنا نَرَى فِي كُلِّ حِينٍ ... وَمَدَ حِبَالَهُ اللَّيلُ الطَّويلُ

لَنَا قَمَرًا يُغَيِّبُه الأُفُولُ ... لَكَ الخُلُقُ النَّبِيلُ بِهِ شَهِدْنَا

نَعَى النَّاعِي أَخًا بَرًّا كَرِيمًا ... وَكَم سَيَسرّكَ الخُلُقُ النَّبِيلُ

فَوَرْقَاءُ الوَدَاعِ لَهَا هَدِيلُ ... أَرَى أَرْقَامَ هَاتِفِكَ اسْتَحَالَت

بِكَفِّكَ أَيُّهَا النَّاعِي حُسَامٌ ... سِيوفًا فِي دَمِي مِنْهَا صَلِيلُ

وَرُمْحٌ مِن جَوَانِحِنَا بَلِيْلُ ... تُذكِّرُ حِيْنَما أَرْنُو إِلَيهَا

أَتَحْسَبُنِي نَسِيتُ شِغَافَ قَلْبِي ... بِأَنَّ سَمَاعَ صَوتِكَ مُسْتَحِيلُ

وَنَارُ الشّوقِ لَيْسَ لَهَا مَثِيلُ؟! ... أَعَبْدَ القَادِرِ، الدُّنْيَا غُثَاءٌ

نَعَيتَ أَخًا إِذَا ذُكِرَ التَّآخِي ... تُبعِّدُه عَنِ المَجْرَى السّيولُ

فَصِدْقُ إِخَائِه الطَّرفُ الأَصِيلُ ... فَلَا جَزَعٌ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا

أَعَبْدَ القَادِرِ اضْطَرَبَتْ حُرُوفِي ... أَيَجْزَعُ مَن بِخَالِقِهِ يَصُولُ

وَسَمَّرَ عَينَ قَافِيَتِي الذُّهُولُ ... وَمَا نَفْعُ الغُثَاءِ، إِذَا دَعَانَا

وَأَلْزَمَنِي التَّوجُسُ بَابَ صَمْتِي ... إِلَى النَّبْعِ النَّقِيِّ السَلْسَبِيلُ؟

فَصَمْتِي مِثْلَ آلَامِي ثَقِيلُ ... أَخِي وَأَخَا الوَفَاءِ يُسرُّ قَلْبِي

وَثَارَت زَفْرَةٌ مِن بَعْدِ أُخْرَى ... وَفَاءٌ عَن وَفَائِكَ لَا يَمِيلُ

وَيَرْفَعُنِي الرِّضَا بِقَضَاءِ رَبِّي ... وَلَا ابْتَهَجَت بِحِكْمَتِهَا عُقُولُ

فَمَا لِي عَن ذُؤَابَتِه نُزُولُ ... أَخِي وَأَخَا الحُروفِ البِيضِ إِنَّا

فرَاقُكَ لَا يَهُونُ عَلَى مُحِبٍّ ... وَإِنْ كَانَت مَدَامِعُنَا تَسِيلُ

رَأَى أَطْيَافَ صَاحِبِه تَزُولُ ... لَنَحْتَسِبُ الأَحِبَّةَ عِنْد رَبٍّ

وَلَولَا الصَّبْرُ مَا سَارَت خُطَانَا ... جَمِيعُ الكَائِنَاتِ لَهُ تَؤولُ

وَلَا طَابَ المَبِيتُ وَلَا المَقِيلُ ... لَنَا فِي رَحْمَةِ المَوْلَى رَجَاءٌ

وَلَا احْتَمَلَت مَوَاجِعَها قُلوبُ ... بِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ نَجُولُ

الفهرس

الإهداء	٥
طاش.. حياً ركبت الموت كي يسامرك الخلود بقلم: الطيب بريز يوسف	٦
طبتَ حياً وميتاً بقلم: معالي الدكتور محمد عبده يماني	١٠
أسطرة أستاذ في وجدان مريد بقلم: د. عبدالعزيز محمد قاسم	١٦
دكتور طاش.. بدايات العلاقة وأجواء التلمذة	١٦
رحلة مع العلم والحياة	٢٧
رحلة الحج الأشواق	٣٢
النجارة مهنة الوالد	٣٣
ملامح التربية الأسرية	٣٥
أجواء الطائف في الستينيات	٣٦
بين حلقة التحفيظ والمدرسة الابتدائية	٣٧
معلمون محفورون في الذاكرة	٣٨
المناهج وطلاب ذلك الجيل	٤١
بواكير الصحافة	٤٢
مناخات المرحلة المتوسطة	٤٣
معهد آل الشيخ	٤٥
شخصيات مؤثرة	٤٦
علاقات الطلاب بمعلميهم	٤٨
الشغف الأول مع الكتاب	٤٩

الاقتراب من فكر سيد قطب	٥٠
خالص جلبي كان حاضرا	٥١
الإخوان المسلمون في رؤية دكتور طاش	٥٢
التيار الإخواني في المملكة	٥٣
النكسة وخطأ تاريخي للتيار الإسلامي	٥٥
مجددًا مع الصحافة	٥٦
الرؤية الناقدة للصحوة	٥٨
حديث عن قصة القفص الذهبي	٥٩
صفحة دراسية جديدة مع كلية الشريعة	٦٠
أساتذة كلية الشريعة إذاك	٦٢
العائلة يلتم شملها	٦٣
مقررات الجامعة وطرائق التدريس	٦٤
الملك فيصل وعبدالناصر	٦٥
ولوج بوابة الإذاعة	٦٧
عودة إلى الصحافة	٦٩
عن النشاطات الطلابية	٧٠
أسماء جامعية في الذاكرة	٧١
المفكر الجزائري مالك بن نبي	٧٣
قراءات أثّرت في دكتور طاش	٧٤
قصة الابتعاث للدراسات العليا	٧٦
إلى بلاد العم سام	٧٧
الصدمة الحضارية الأولى	٧٨
حياة اجتماعية جديدة	٨٠

برنامج الماجستير	٨٢
أسباب انحسار الفكر القومي	٨٣
رابطة الشباب المسلم العربي	٨٤
آليات التواصل والطلبة الجدد	٨٥
الانبهار بالثورة الخمينية	٨٦
ثورة حماة في سوريا	٨٧
تلاقح الثقافات	٨٩
بين الوطنية والأممية	٩٠
الرابطة والتكتلات الحزبية	٩١
رؤية في الحضارة الأمريكية	٩٢
ندم على عدم التفاعلية مع الغرب	٩٥
موضوعات ودراسات علمية	٩٦
النظرية الأمريكية للإعلام	٩٧
العلاقة مع المشرفة الأمريكية	٩٨
دراسات جامعية عن الإعلام السعودي	٩٩
الصحافة السعودية مهنة أم هواية؟	١٠٠
بين (عكاظ) الليبرالية و(المدينة) المحافظة	١٠٣
الجزء العملي في الرسالة	١٠٤
تقييم لكليات الإعلام في الجامعات	١٠٥
أساتذة إعلام ملهمون	١٠٧
التفاعل مع المؤسسات الأمريكية	١٠٨
عودة إلى أرض الوطن	١١٠
ميلاد وعلم	١١٢

مسيرة أكاديمية	١١٣
الطريق إلى مهنة المتاعب	١١٤
التأسيس العلمي لأبحاث الإعلام	١١٥
عضوية الهيئات واللجان	١١٥
شذرات قلم ومؤلفات الفقيد	١١٦
مرب وأسرة	١١٧
ذاكرة هدف	١١٧
عبدالقادر طاش.. كاتبًا صحفيًا	**١١٩**
دراسة تحليلية	١٢٠
مشكلة الدراسة	١٢٢
أهمية الدارسة	١٢٤
أهداف الدراسة	١٢٦
تساؤلات الدراسة	١٢٧
نوع الدراسة	١٢٨
المناهج المستخدمة في الدراسة	١٢٨
أساليب وأدوات الدراسة	١٣٠
الإطار الزمني للدراسة	١٣١
مجتمع الدراسة	١٣١
عينة البحث	١٣١
نتائج الدراسة التحليلية	١٣١
نتائج الدراسة	١٣٧
شهادات المعاصرين	**١٤٧**

هذا الرجل شيمته الصبر! بقلم: حمد بن عبدالله القاضي	١٤٨
د. عبدالقادر طاش (رحمه الله) بقلم: د. سلمان بن فهد العودة	١٥٠
فقيد الوسطية بقلم: د. محسن العواجي	١٥٤
عبدالقادر طاش.. كيف عرفته؟! بقلم: عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس	١٥٧
في ذكرى عبدالقادر طاش بقلم: محمد صلاح الدين	١٦٠
أبو عادل.. كما عرفته بقلم: د. إبراهيم بن محمد أبو عباة	١٦٢
الدكتور عبدالقادر طاش بقلم: د. سعيد بن ناصر الغامدي	١٦٤
ورحم معه (إعلام الأخلاق) بقلم: د. عبد الرحمن الشبيلي	١٧٣
عبد القادر طاش في سجل الخلود بقلم: د. عوض بن محمد القرني	١٧٥
أستاذ الصحفيين بقلم: جمال خاشقجي	١٧٧
الأستاذ بقلم: بكر بن إبراهيم بصفر	١٨١
دكتور طاش (رمّانة الميزان) بقلم: د. حمد الماجد	١٨٤
الاعتدال عند الدكتور طاش بقلم: محمد المختار الفال	١٨٦
ذكريات مع عبدالقادر طاش بقلم: د. صالح بن سليمان الوهيبي	١٩١
العطاء الرائع والنموذج الأروع بقلم: ياسر الزعاترة	١٩٣
مؤسس الإعلام الوديع! بقلم: زياد الدريس	١٩٥
ستظل مشتعلاً في دواخلنا بقلم: أمجاد محمود رضا	١٩٧

ذلك الطيف الذي رحل	بقلم: د. عاصم حمدان	١٩٩
أحد صالحي العصر	بقلم: د. محمد الهرفي	٢٠١
الإعلامي الداعية الإنسان	بقلم: د. عبدالحليم عويس	٢٠٣
عاش في محاولة الإمساك بالأمل	بقلم: مشاري الذايدي	٢٠٥
ورحل الإعلامي الشامل..	بقلم: محمود صادق	٢٠٨
فلسفة حياته وريادته في الإعلام الإسلاميّ	بقلم: د. محمد أبو بكر حميد	٢١١
الانطلاق والريادة والنجاح		٢١٣
الثبات على المبدأ والعطاء المتنوع		٢١٥
رائد متعة الإعلام الهادف	بقلم: سليمان بن علي العلي	٢١٦
الآن وقد توفاه الله!!	بقلم: صالح الشيحي	٢١٨
وترجّل الفارس	بقلم: د. جميل اللويحق	٢٢٠
الذي أنشأ أول مجلة إسلامية عربية	بقلم: د. سعيد إسماعيل صيني	٢٢٣
رحمك الله أبا عادل . .	بقلم: د. حبيب الله بن محمد رحيم التركستاني	٢٢٦
داعية الإعلام حيث ما حلّ نفع	بقلم: د. علي بن حمزة العمري	٢٢٩
عبدالقادر طاش.. الذي زاملت	بقلم: د. أحمد سيف الدين تركستاني	٢٣٣
البقاء لله.. والعزاء للوطن	بقلم: محمد بن ناصر الأسمري	٢٣٦
وداعاً.. أيُّها النبيل	بقلم: نزار عثمان	٢٤٠

الإنسان والإبداع بقلم: د. علي بادحدح	٢٤٣
وإنسان رائع بقلم: فراج إسماعيل	٢٥٥
خسارة فادحة بقلم: د. محيي الدين عبدالحليم	٢٥٦
رائد الإعلام الخيري بقلم: أحمد فراج	٢٥٧
صاحب الثقافة الواسعة بقلم: د. عبدالعظيم المطعني	٢٥٨
صاحب المبادئ بقلم: د. سعود مختار	٢٥٩
عاش لمبادئ الإسلام بقلم: عبد الرحمن بن محمد الأنصاري	٢٦٠
عبد القادر طاش الذي عرفت!! بقلم: أ.د. صالح عبدالعزيز الكريم	٢٦١
فهم عميق للإسلام بقلم: محمود خليل	٢٦٢
في سجل العاملين بقلم: عبد الله زنجير	٢٦٣
مكانة متميّزة في قلوب الجميع بقلم: م. عبدالعزيز حنفي	٢٦٤
طاش.. مواقف لا تُنسى بقلم: ممدوح الحوشان	٢٦٦
نموذج السلوك الإسلامي بقلم: د. محمود حسين زيني	٢٦٧
نموذج رائع بقلم: د. محمد سليم العوا	٢٦٨
دكتور طاش.. بقلم: د. خالد بن عبدالله القاسم	٢٦٩
فراقُكَ لا يهون شعر: د. عبد الرحمن صالح العشماوي	٢٧٠

الحمد لله رب العالمين

من الجميل أن نسجل سير النابهين من أصحاب الفكر والتخصص في مختلف المجالات وفاءً وعرفاناً لهم وتكريماً لما قدموه لمجتمعهم، ولكن الأجمل أن تكون هذه السيرة إرهاصة لتحرك أكبر أثراً في الاستفادة من جوانب فكر صاحب السيرة وإحياء لها.

د.محمد عبده يماني

إن الحديث عن د.طاش هو حديث عن مجتمع، وترجمة لعصره الذي عاشه متفاعلاً مع قضاياه، حتى بات من أهم الشخصيات الإعلامية على المستوى المحلي والعربي، فمن خلال مجهودات فذّة واعية، حاول إخضاع نظريات الغرب الإعلامية وتوظيفها لخدمة الإسلام.

د.سلمان العودة

لابد أن يشير المرء إلى أن الله سبحانه وتعالى، قد وهب أخي الدكتور عبد القادر طاش، الكثير الكثير من دماثة الخُلق، وحُسن المعشر، وكريم الخصال، واستقامة السلوك، مما هو أساسي ولا غنى عنه لنجاح الإعلامي وأصالته وإنجازه

محمد صلاح الدين

إني لأحسب أبا عادل ممن سيسّره يوم القيامة ما كتب طيلة العقود التي أمضاها في خدمة الكلمة الهادفة، فلقد نجح في المحافظة على لغة إعلامية معتدلة، لم تفقده الموقع القيادي، لكنها لم تذهب به مذاهب الآخرين الذين إن أُعطوا منها رضوا، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون.

د.محسن العواجي

كم نحن بحاجة إلى أصوات إعلامية مثلما كان نهج الراحل العزيز.. أصوات تسعى إلى تقديم إعلام إسلامي واعٍ، ينشر فضيلة التسامح، وثقافة التعدد، ورؤية الإسلام التي لا أحسب أن دينا آمن بالتعددية مثلما آمن الإسلام.

حمد القاضي

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٥٢٤ ردمك: ٩ ـ ١٥ ـ ٦١ ـ ٥٧ ـ ٩٩٦٠